جامعة الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالب: عثمان حساني

الأستاذ المشرف: الدكتور: بن يوسف تلمساني

أعضاء اللجنة المناقشة:

! د/ أحمد رضوان شرف الدين رئيسا

! د/ تلمساني بن يوسف مشرفا

! د/ أحمد مريوش عضوا

! د/ إبراهيم مياسي عضوا

السنة الجامعية 2007/2006

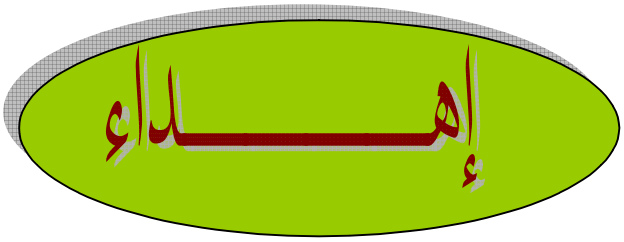

أهدي هذا العمل المتواضع إلى شهيد العلم زميلي في الدفعة

عبـد الكـريـم بـن عـمـر تغمده الله برحمته الواسعة.

عثمان

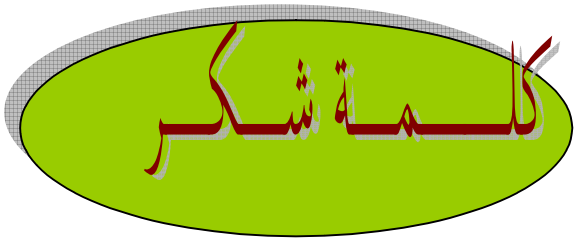

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور المشرف بن يـوسـف تـلـمـسـاني على نصائحه وتوجيهاته، وعلى سعة صدره، كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد، جزاهم الله عنَّا كل الخير.

عثمان

بعض الاختصارات:

م و ك : المؤسسة الوطنية للكتاب.

م ث : مجلة الثقافة.

م ت : مجلة التاريخ.

م أ : مجلة الأصالة.

كلم: كيلومتر.

كلغ : كيلوغرام.

م: متر.

سم: سنتيمتر.

ش و ن ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ط: الطبعة.

م ج ط: المؤسسة الجزائرية للطباعة.

Office des Publications Universitaire :Opu

Revue Africaine :R A

Revue Algérienne et Coloniale:R. A. C

Société Nationale d'Edition et Distribution:SNED

Imprimerie :Impr

مقدمـة:

ظلت الصحراء بعيدة عن حكم السلطة العثمانية في الجزائر، فيما عدا سنة (1552م-959هـ)، في عهد صالح رايس الذي وصل إلى المناطق الشمالية للصحراء الجزائرية مثل تقرت، ورقلة، وبسكرة، التي كانت محل اضطرابات، وظلت تحت حكم محلي حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

ولم يصلنا عن الصحراء سوى تقارير الأجانب، من خلال الاستكشافات الجغرافية والعلمية، وأحيانا بغرض الجوسسة، واتخاذ الصحراء كقاعدة استعمارية لهم وخاصة بعد انفصال بريطانيا مع أمريكا سنة (1776م-1190هـ)، حاولت إيجاد بديل أخر تهتم به وبقيت الصحراء في معزل عن الشمال الذي كان محور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالرغم من دورها الفعال، بداية من الجنوب الغربي إلى الجنوب الشرقي، بما في ذلك أقصى الجنوب المتمثلة في الطوارق بحيث شكلت البيئة الاجتماعية اهتماما لدى المكتشفين من ذكر للشعوب والسلالات وتعدد مواقع سكناهم وطريقة تعاملهم ونمط معيشتهم مع مختلف الظروف الصحراوية الصعبة، وكيف أن علماء الدين والمرابطين وشيوخ الزوايا يحظون بقيمة عالية بين السكان، كل هؤلاء استطاعوا أن يحافظوا على كيان المجتمع بالرغم من التنافر الذي كانت تعيشه القبائل، ومع ذلك كانت عوامل الوحدة كثيرة التي حافظت على تماسك هاته القبائل، وفي مناطق صحراوية معزولة، ومن بين هاته العوامل، الدين الإسلامي واللغة العربية، و القوافل التجارية وأثرها على الحياة الاقتصادية والدينية والفكرية، بالإضافة إلى التناسق

الاجتماعي الموجود والمصلحة المشتركة من الناحية الاقتصادية كالترحال بحثا عن الكلأ، أو تبادل البضائع التجارية.

ويذكر المؤرخ والرحالة محمد بن الحسن الوزان، عدد السكان، وكيفية تقسيمه للصحراء إلى خمس مناطق، كما ذكر العياشي في رحلته "ماء الموائد" الكثير عن أهل الصحراء. من عادات وتقاليد ومدن وقرى.بالإضافة إلى تقرير الرحالة هنري دوفيريي(Henri Duveyrier)، الذي لاحظ بأن بعض أعمار الطوارق تفوق المائة سنة.

وكانت الهجرة الجماعية عادة سكان الصحراء، بسبب الظروف المناخية كالغطاء النباتي، وتوفر المياه ، مع العلم أن أودية الساورة، إغرغار وادي تافسيت وادي تمنغاست، مازالت حتى وقتنا الحاضر. أو بسبب الظروف الاقتصادية الخاصة بالجباية والضرائب التي أثقلت كاهل السكان، ففروا إلى المناطق الداخلية، أو بسبب الظروف الأمنية في الصحراء المتمثلة في قطاع الطرق والغارات التي يشنوها على السكان البدو الرحل والقوافل التجارية المارة عبر الإقليم.

أما عن البيئة الاقتصادية فكانت المقايضة هي السمة الغالبة، ومن أهم الموارد المستعملة، في ذلك الوقت هي الملح المستخرج من السبخات، وأنواع التمور على مختلف جودتها، وبذكرنا للأودية نستخلص وجود الزراعة التي تمثلت في النخيل والزيتون، الذي كشف عنه من خلال عدد كبير من أحجار المعاصر الرومانية في بعض مناطق الهضاب الصحراوية، إضافة إلى اعتمادهم على رعي المواشي(الجمال الماعز، الغنم)، وعدم اهتمام أهل الصحراء بالزراعة ربما لكثرة تنقلاتهم، حيث توكل الأرض إلى الخدم لحرثها ومع ذلك كانوا يشتغلون بالحدادة والنجارة، وصناعة السروج والأواني والأدوات التي تصنع من النحاس.

وتتم تنقلاتهم لبيع ما أنتجوه، وشراء التمور والملابس والأسلحة والأدوات والتوابل، والملح، الذي كان المورد الهام، المستخرج من ملاحات تاديني وايجل وامدرار بالقرب من الهقار.

كما نشير إلى هؤلاء الرحالة والروَّاد والمكتشفين، الذين استعانوا بأهل الصحراء من خلال كتاباتهم، أو استخدموا كدلائل مهمتهم تذليل الصعوبات ولدرايتهم الكافية بخبايا الصحراء، رغم وعورتها وأراضيها المتواصلة القاحلة ورمالها المترامية الأطراف، إلاَّ أنَّها كانت محط استقطاب من طرف الانجليز ابتداء من سنة(1788م-1203هـ) من طرف الجمعية الإفريقية التي بدأت بإرسال مبعوثيها وعلى مختلف جنسياتهم.

وعلى العموم بدأ الاهتمام بالصحراء في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ولعل تخوف البعض منها، هي الأحكام المسبقة، المتمثلة في الجوع والعطش والحر الشديد ووجود الحيوانات المفترسة والحشرات السامة، إضافة إلى قطاع الطرق والاعتقاد بالخرافات والأساطير، ومع ذلك كانت أغلبية المدن الصحراوية منبعا للعلم ومركز إشعاع حضاري امتدت آثاره إلى المشرق العربي وإلى أوروبا نفسها ومن أمثال ذلك محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في نشر الإسلام ببلاد السودان وكانت له مراسلات بين الأمير محمد الأسقيا وبينه، ومنطقة ميزاب في القرن الثامن عشر الميلادي، في دور العالم الجليل والمصلح، رائد النهضة العلمية عبد العزيز ضياء الدين الثميني(1718م-1808م) (1230هـ-1223هـ)، فقد حارب البدع الضارة والجهل والتعصب المذهبي، وكان يدعو إلى الوئام والوحدة الإسلامية والمعرفة العلمية الصحيحة فاتخذ المسجد منبرا لهذه الدعوة الإسلامية الإصلاحية وأمست الأسئلة تنهال عليه من الجزائر، والعالم العربي والإسلامي هناك علامة

وفقيه آخر وهو محمد بن يوسف أطفيش الملقب بقطب الأئمة الذي عاش في القرن التاسع عشر.

قمنا بانتقاء مجموعة من الرحالة والمستكشفين على سبيل المثال لا الحصر وهذا حسب قدرة هاته التقارير على ترجمة الحياة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء وإبراز أهميتها الاستراتيجية.

ولمسنا أن القرن الثامن عشر لم ينل الحظ الكافي من الرحلات الأوروبية التي تعكس لنا المنطقة، وتصورها بكل جوانبها الحضارية، فاكتفينا بالرحالة الطبيب الإنجليزي توماس شو، الذي أقام بالجزائر مدة اثنى عشرة سنة ، من خلال كتابه المترجم إلى الفرنسية ومؤخرا إلى العربية (Voyage dans la régence d'Alger) لما يحتويه من معلومات وافية عن المواقع الفلكية والجغرافية للمناطق التي زارها، ودوَّن أهم ملاحظاته فيما يخص بعض العادات والتقاليد لمختلف المجموعات السكنية في إيالة الجزائر واستعان بعدة خرائط جغرافية ساعدته على تحديد مواقع المدن والجهات وتحديد المنابع والمصبات المائية، وقد اعتمد في تحليله على معلومات ليون الإفريقي(Léon L'Africain) وبتولمي(Ptolémée).

أما القرن التاسع عشر فمصادره متعددة نظرا للاهتمام باكتشاف مناطق إفريقية حيث ركزت الجمعيات الجغرافية الإفريقية مجهوداتها في إرسال مبعوثيها على مختلف جنسياتهم لاكتشاف هذا الجزء من العالم، الذي ظل مغمورا، حيث شملت التقارير مختلف الجوانب الحضارية.

وما لفت انتباهنا ونحن بصدد إنجاز هذا البحث، أن هاته المصادر الأجنبية التي اخترناها للدراسة، تعتمد على أفكار وكتابات الرحالة العرب (الإدريسي،والوزان والعياشي، والبكري، وابن خلدون، وابن بطوطة، والتمقروتي، والحاج ابن الدين الأغواطي ...) ويشيرون إلى ذلك في كتاباتهم لمعرفة مختلف

الجوانب الحضارية للمناطق المكتشفة، ومع ذلك فهناك دعوة صريحة لعدم الاعتماد عليها وعدم الثقة فيها أضيف إلى ذلك نظرة الاستعلاء والسخرية من السكان، ومع ذلك فمعظم هؤلاء الرحالة استعانوا بالأهالي لإتمام مهامهم أو رحلاتهم، ومنهم من أسمى نفسه بأسماء عربية والبعض من تنكر بالزي العربي. ولكن لولا المصادر العربية ، لما توصلوا إلى الدقة التي يقصدونها، فهاته المصادر سهلت عليهم عناء البحث والاستكشاف، وأصبحت كتاباتهم مكملا للمصادر المحلية، فتناولت أحداث داخلية ونشاطات اقتصادية وعلاقات اجتماعية ونجد أنفسنا أمام حتمية الاعتماد على هاته المصادر الأوروبية نظرا لدقتها في تناول مختلف الجوانب الحضارية.

وعلى هذا الأساس تم دراسة البيئة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن التاسع عشر، لعدد لا بأس به من الرحالة، نظرا لتوفرهم، وراعينا في ذلك الأهم منهم، في الاعتماد على الحقائق التاريخية والقدرة على تغطية مجمل الأحداث التي من شأنها أن تنقل لنا صورة حية عن الواقع في تلك الحقبة التاريخية، هناك المكتشف دوماس ملشيور جوزيف اوجان (Daumas Melchior Joseph Eugène) وهو العينة الأولى موضوع دراستنا في فترة القرن التاسع عشر الميلادي، هذا الرجل العسكري الذي تقلد عدة مناصب، ودوَّن أكثر من كتاب، في مختلف النواحي الحضارية فيما يخص تاريخ الجزائر، ابتداء من سنة (1835م-1250هـ)، فلقد ألمَّ بجميع العلوم والمعارف وترجمها في عدة كتب لا غنى للباحث عنها، فأبرز طرق القوافل التجارية الهامة وعرَّف بالمدن وخصوصياتها وذكر التركيبات الاجتماعية بدقة متناهية للعديد من العشائر الصحراوية، لأنه أحصى القبائل والفروع، واعتمد في ذلك على أهل المنطقة في جرد تلك القبائل ومعرفة مضاربها على العلم أنه يصعب تحديدهم جغرافيا كما ذكر، كما درس الحياة الاقتصادية والبشرية والاجتماعية بالتفصيل للمنطقة.

والملاحظ أن هاته التقارير غطت فترة طويلة إلى حد ما، كما أنَّ المواضيع التي تناولوها على قدر كبير من الأهمية، ومع ذلك لم نغفل عن باقي الكتابات التي تطرق إليها الرحالة والمستكشفين الباقين، وأوردنا أمثلة منها فمثلا اعتمد قويون (Guyon) في وصفه للطوارق على الجنرال دوماس (Gl Daumas)، ويقول توجد جنوب بسكرة الصحراء الكبرى، أين يسكن الطوارق وهم شعب أبيض وتشبه لغتهم لغة الأوراس (يوجد تشابه كبير بين اللهجات الجزائرية لكن لهجة الطوارق مازالت لهجة خام، لم تتأثر إلا بالشيء القليل). وإذا أردنا البحث عن الوضعية الجغرافية للطوارق، فهي مازالت غير مضبوطة وحياتهم ذات ميزة خاصة هذه المساحة المحاطة بتيديكلت في توات، نزولا إلى تمبكتو وعلى طول النيجر من الغرب إلى الشرق صعودا إلى فزان وغدامس وهي أقصى نقطة لإيالة طرابلس الغرب، هذه المساحة تعتبر محيط والطوارق قراصنته. وهذه نظرة احتقار مثلما كانت في القرون السابقة أي من هو خارج عن الحضارة الأوروبية، يعتبرون وحوش يحتاجون إلى التحضر والتمدن.

أما العينة الثانية هو هنري دوفيريي (Henri Duveyrier) ، ويعتبر موضوع دراستنا، الذي كان شغوفا بالعلم وحب الاستطلاع، جعلاه يكتشف الأماكن البعيدة والجديدة بالصحراء، منذ سنة (1859م-1275هـ) حيث استطاع أن يكتب عن أهم القبائل وأقواها وهم الطوارق، واعتمدنا على كتابيه طوارق الشمال، و يوميات الطريق، لما يحتويه هذان الكتابان من أهمية بالغة، أي هي دراسة شاملة، حتى أن أحد المؤرخين ذكر بأن دوفيريي هو أحد الذي تدين لهم الصحراء بالكثير. وما توصل إليه كان نموذجا لشارل دوفوكو الذي أوضح ما غفل عنه سابقيه أو تعرضوا له بالذكر القليل، فنجده يحلل الحياة الاجتماعية ويذكر بطون القبائل ومضاربهم من ورقلة وما تتكون مثل الشعانبة، متليلي سعيد عتبة، بني ثور، بني براهيم ، بني واقين بني سيسين. أو قبائل أولاد نائل، مثل الأرباع، أولاد عيسى، أهل بوسعادة، أما عن الطوارق ففروعها كثيرة وتختلف من قبائل الشرق، إلى قبائل

الغرب، وتختلف التسميات للسادة أو الحكام أو الشيوخ، ففي منطقة الشمال يسمى الحاكم، وفي منطقة الصحراء يسمى الشيخ، وعند الطوارق يسمى امنوكل أما في بلاد القبائل، وبني ميزاب والأوراس يسمى اقليد.

كل هذا جعله يسجل ملاحظاته ومذكراته بعناية ودقة متناهية في كتاب قيم عن الطوارق الذي مازال يعتبر من الوثائق الأساسية التي لا يستغني عنها باحث في معرفة الطوارق. والكتاب عبارة عن دراسة شاملة لمنطقة الطوارق الشمالية، تضمن الجغرافيا الطبيعية، وطبقات الأرض والأحوال الجوية، وموارد المياه، كما شمل ملاحظات تتعلق بالحيوانات والنباتات، وأحوال المعيشة، والطقوس الدينية، وأخلاق الطوارق وعاداتهم وتقاليدهم وأصلهم.

أما العينة الثالثة من الرحالة وهو بول سولييه(Paul Soleillet)، الذي طرح لنا من خلال كتابيه (l'Afrique occidentale, Algérie, Mzab, Tidikelt) و (Avenir de la France en Afrique) كيف يحرص على مستقبل فرنسا خارج حدودها الجغرافية وضرورة السيطرة عليها في وقت قصير، سنة (1870م-1287هـ)، مع بعض المقترحات التي عرضها على الغرفة التجارية كإنشاء مستودع للبضائع بالأغواط وتعمير تلك المناطق المعزولة من أجل النهوض بالتجارة والحركة الاقتصادية، مع العلم أن كل المناطق التلية كانت تحت وطأة الاحتلال، لكن مقترحاته باءت بالفشل. فضرورة وأهمية تقارير الرحالة لما يكتبونه من معلومات إيجابية حول الاحتياجات الاقتصادية، لتجارة الصحراء والسودان، وواحة عين صالح، وهذا ما قام به شخصيا بول سولييه سنة (1872م-1873م)(1289هـ-1290هـ) والدكتور وارنر(Warner) والجنرال ميرشر(Mircher) في مشروع رحلة من الجزائر إلى واحة عين صالح لكن هذا الشيء لم يرق لكثير من الغرف التجارية الفرنسية، و لكن ما حاولوا تطبيقه من المواضيع المقترحة، خط سكة حديد، ومع ذلك فشل بسبب انعدام الأمن، وانتهى الحلم باغتيال منفذيه. وأوضح بول سولييه صراحة في كتابه مستقبل فرنسا في

إفريقيا موقفه الاستعماري العدائي بضرورة الاستيلاء على الأراضي الخصبة في الجزائر بهدف الوصول إلى السينيغال، وضم ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وربط العالم الجديد بالعالم القديم.

لكن أفكاره لم تلق صدى، بسبب إتجاه الأنظار نحو إنشاء سكة حديد بالصحراء، ولم يخف إعجابه وتعلقه بالصحراء لما تعود به من فائدة على فرنسا لكن يقول يجب أن يتحقق هذا التحوّل في إفريقيا بمختلف الوسائل. ففي مجال التجارة يجب أن تكون ثورة في النقل (خط السكة الحديد)، لكن من أين لها أن تحقق بدون سواعد ولا دون إعمار مناطق الصحراء، ولذا يجب معرفة الأهمية الإستراتيجية عند ضم ضفاف البحر الأبيض المتوسط لفرنسا، وهذا ما قامت به روسيا أمريكا و بريطانيا ضمت أجزاء من العالم إليها.

فدوفيريي صاحب النظرة الشاملة مكّن الجيش من معرفة أحوال المناطق التي اكتشفها، وبول سولييه بنى إستراتيجية عسكرية لفرنسا وضرورة تحقيقها على أرض الواقع، أما شارل دوفوكو وهو العينة الرابعة الذي اختار العامل الديني للسيطرة على المنطقة.

فشارل دو فوكو (Charles De Foucauld)يعتبر من بين الذين زاروا الصحراء وهو من أخطر المبشرين، وله عقلية علمية من الدرجة الأولى(وهو خريج مدرسة سانسير) ويحمل في نفسه شعلة متقدة من الإيمان ويجد لذة في المتاعب وفي التضحية بالراحة ومتعة الحياة. حيث ترك كتابا هاما، و قاموس فرنسي طوارقي فهو مثال حي على السياسة الاستعمارية تحت غطاء الإنسانية الإثنية، الجغرافية بحيث أن كل أعمال الرحالة تهدف لدراسة سكان كل منطقة ومعرفة لهجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وهذا يخدم المنفعة الاستعمارية، في التقرب من السكان لضمان السيطرة عليهم وتغذيه الصراعات القبلية والعشائرية بينهم.

كما تناولت الآنسة قواشون(Goichon) المعارف في سوسيولوجيا المسلمين ومعرفة اللغة العربية والبربرية، وتكوين المجتمع الميزابي وتشريعاته العائلية وكحكم تعسفي على هاته المنطقة فهي مبالغة في الإدلاء برأيها بوصفها لوادي ميزاب بحياة البؤس والعقم على الرغم من أنه أنجب الكثير من العلماء والفقهاء.

أما كولونيو الذي بدأ رحلته إلى الصحراء الجزائرية انطلاقا من نواحي البيض حتى ورقلة، وسجل إعجابه الشديد بالحياة العامة للأهالي ودوَّن ملاحظاته في كتاب لا يكاد يخلو من الوصف والتعابير الأدبية.

وتطرقنا إلى رحلة فرومونتان (Fromentin (E.) التي تطرق فيها إلى وصف الصيف في الصحراء وذكر المحطات الهامة في طريقة إلى مدينة الأغواط، ووصف قراها.

كما لا يفوتنا أن نذكر تقرير المهندس دو بونشال(Duponchel) مع فرقته ومهام فلاترس(Flatters) من أجل إنشاء خط السكة الحديد وما توليه فرنسا من أهمية بالغة للاعتناء بالمواصلات في إفريقيا لربط أجزائها ببعضها البعض، بواسطة هذا النوع من المواصلات، فالدراسات وضعت من قبل المختصين إذ كونت لجنة يرأسها فري سينات(Ferry Synate) تحت قيادة بيكار(Picard) لدراسة النتائج المتوصل إليها من خلال البعثة العلمية للصحراء مكوَّنة من بويان، شورزي وفلاترس(Pouyanne,Chorzy et Flatters)، الأول درس الجنوب الوهراني، الثاني ناحية الأغواط إلى ورقلة والثالث للبحث وصولا إلى بلاد السودان بين النيجر والتشاد ولم يكونوا يحبذون وجود البعثة العسكرية وإنما تكون الحراسة من الأهالي فقط.

كما اهتدى دي بونشال (Duponchel) أن يبدأها من تقرت إلى تمبكتو ثم رأى أن فريق واحد يمكن له أن ينشىء سكة حديد ابتداء من بوغار إلى الأغواط ثم وادي ميزاب فالقليعة فعين صالح ثم تمبكتو فالسينيغال، وجعل تكلفة الكليومتر الواحد ثلاثمائة ألف(300.000) فرنكا، بما فيها إنشاء المحطات والحقوق الخاصة للتموين بما فيها الماء. فماذا لو اكتمل هذا المشروع؟.

وطرحنا الإشكالية التالية في معالجة هذا الموضوع، والتي قسمناها على عدة تساؤلات، حسب طبيعة الموضوع، والتي يبدو لنا أنها تزيل الغموض عن المنطقة وخاصة أنها كانت بعيدة عن حكم الدولة العثمانية، وحتى أن الاحتلال الفرنسي، لم يتسن له الوصول إلى تلك المناطق إلا بعد فترة زمنية، تكاد تتعدى الجيلين أو الثلاثة، فإلى أي مدى استطاعت هاته التقارير تسليط الضوء على الصحراء؟ وما هي الدوافع الخفية والظاهرة لاكتشاف الصحراء؟ وهل استطاعت أن تؤرخ لنا مختلف الجوانب الاجتماعية منها والاقتصادية؟

ومن أسباب دوافع اختياري للموضوع، هو أن هاته المنطقة لم تنل حظها من الدراسة، وأظن أن جزء من تاريخها بقي مغمورا، وخاصة في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، بالمقارنة لما تزخر به هذه المناطق من تنوع بيئي، ورصيد تراثي وتاريخي هام، رأيت نفسي منجذبا إلى معرفة تاريخ هذا الجزء من الوطن، وسندرس هاته التقارير ونعمل على مقارنتها بالمصادر العربية، فيما إذ بقيت النظرة الأولى لدى الرواد الأوائل عن الجزائر، بأنها عش اللصوصية، وعصابة أشرار، فهل هذا الحكم مطلق على كل الجزائريين؟ أعني المناطق الشمالية والجنوبية معا؟ ومع ذلك سنرى كيف وصف أحدهم منطقة الطوارق، بأنها محيط من الرمال والطوارق قراصنته، كدليل على انعدام الأمن وفرض الإتاوة على القوافل التجارية العابرة للمنطقة، كما قام أخر بوصف وادي ميزاب بالعقم، وهذا دليل على انعدام الحياة عندهم من علم ومعرفة. ويصف أحدهم منطقة الجنوب الغربي، بأنه جزيرة خضراء محاطة بالنار.

ولم أنس في نفس الوقت أن أبرز أهمية الدراسة، وسبب اهتمامي بالموضوع من ناحية، حيث خصصت الكثير إلى تحليل الموقف الفرنسي خاصة من الاهتمام المفرط بالصحراء وفي المجال التجاري خاصة، كما أبرزت كيف أنَّ العامل الديني كان رابطا أساسيا في الحفاظ على كيان التجمعات السكانية عبر الصحراء، رغم بعد المسافة بينهم وعناء السفر من نقطة إلى أخرى.

أما المصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث، فتشمل تقريبا كل ما كتب باللغة الأجنبية-مع أنه لا يمكن حصر كل ما كتب-، ومن الرحالة أو المستكشفين أنفسهم، دون اللجوء إلى من كتب عنهم، اللهم إلا في بعض الحالات، وقد وقفت على معظم المناطق المكتشفة من طرف المكتشفين أو الرحالة من خلال زيارتي لها.

وقد دعمت هذا البحث بملاحق سواء كانت صور أو خرائط أو الأشكال التي أراها أنها تساهم في توضيح الموضوع، وأوليت عناية خاصة بوضع دراسة تقييمية للعينة المدروسة، أي التقارير التي تناولت البيئتين الاجتماعية والاقتصادية للصحراء سواء من الناحية الجغرافية كالخرائط مثلا، أو من الناحية الاجتماعية كجداول إحصاء السكان وصور تبين نموذجا من تلك المناطق، أو من الناحية الاقتصادية من خلال جداول تبين إحصاء عدد النخيل مقارنة مع عدد السكان.

أما عن الصعوبات التي واجهتني، هي كثرة التنقلات وعناء السفر يجعلك تدخر الجهد، في إعطاء الأفضل، وأصحاب المكتبات عبر نقاط معينة من الصحراء يثقلوك ببيروقراطية مقصودة، ومع ذلك لم يخب أملنا في إتمام موضوع الدراسة بالرغم من النزر القليل الذي تلقيناه من عندهم.

واستخدمت منهجين في بحثي، المنهج المقارن أحيانا، وأحيانا أخرى المنهج التحليلي، حسب طبيعة المعلومات التي استقيتها في طريق بحثي.

وقد قسمت بحثي المتواضع إلى مدخل وثلاثة فصول متناولا في ذلك البيئة الاجتماعية والاقتصادية للمناطق الصحراوية في الجزائر خلال القرنين الثامن

عشر والتاسع عشر الميلاديين، وقد تناولت في الفصل الأول البيئة الاجتماعية والاقتصادية للصحراء خلال القرن الثامن عشر، و قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث، متطرقا إلى كل بيئة على حدا، مع التعرض إلى تقارير الأجانب، ولم أكتف بهذا، بل حاولت مقارنتهم مع الرحالة العرب عموما، لأبرز كيف أنَّ القرن الثامن عشر الميلادي، كان بداية محتشمة للرحالة الأوروبيين ابتداء من الدكتور الانجليزي شو، ثم قمت بتحليل الجانب الاجتماعي والاقتصادي لهاته الفترة.

أما الفصل الثاني فقد خصصته كذلك إلى الشيء نفسه لكنه خاص بالقرن التاسع عشر، وبينت كيف شملت الاستكشافات الجغرافية، على مختلف جنسيات الأوروبيين وكيف استطاع هؤلاء خوض غمار الصحراء بالرغم ما قيل عنها، وهم كثير، سواء من باب الإطلاع والمغامرة أو بتكليف من الجمعية الجغرافية أو من خلال مهام رسمية من طرف حكوماتهم وتطرقت إلى العديد من الرواد والرحالة من أمثال دوماس اوجان(Daumas Eugène)، هنري دوفيريي (Henri Duveyrier) بول سولييه(Paul Soleillet)، الدكتور هنري بارث(Henri Barth) وغيرهم.

أما الفصل الثالث خصصته إلى مقارنة ما توصلت إليه من خلال التقارير الأجنبية والعربية عموما وما توصلت إليه من نتائج خلال دراستي لهذا الموضوع ثم حاولت تقييم المصادر التي اعتمدت عليها، في تناولي أحد الموضوعات –الاجتماعية والاقتصادية - التي أراها مهمة عن تاريخ الصحراء في هاته الحقبة الزمنية.

ثم أنهيت البحث بخاتمة عامة ، لخصت فيها مجمل النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع ككل، وعلى العموم حاولت الإحاطة بجوانب الموضوع من خلال، ما ورد في تقارير ورحلات امتدت خلال القرنين موضوع الدراسة.

وأظن أن العديد من المواضيع المغمورة الخاصة بالصحراء الجزائرية عبر ثلاث مناطق أراها ضرورية جدا، في الجنوب الغربي منطقة توات و تيديكلت، منطقة وادي ميزاب وخصوصيتها المذهبية وتنظيمها الاجتماعي والحياة الثقافية بها، ومنطقة أقصى الجنوب والمتمثلة في حياة الطوارق وتشكيلاتهم بالرغم من صعوبة تحديدهم أماكنهم جغرافيا نظرا لاتساع الرقعة الجغرافية التي يشغلونها، كما أنَّهم في تنقل دائم حسب طبيعة أهل الصحراء في البحث عن موارد رزقهم، هاته المناطق أظن أنَّها ما زالت تحتاج إلى الدراسة والاهتمام من طرف الباحثين، وإبراز دورها التاريخي والحضاري.

مدخل :

نبذة تاريخية عن الرحلات ودور العرب فيها:

لقد مرَّت البشرية عبر تاريخها الطويل بالعديد من التطورات ولعلها وأكثرها تأثيرا على الإنسان في تقويم سلوكه، هي الرحلات والاكتشافات الجغرافية، وتدوينها حيث استطاع من خلالها أن يسجل معارفه وخبراته، وأن يتم نقلها وتداولها عبر الأزمان المختلفة.

و كانت الرحلات العربية عامة، منارة بما حفلت به من علوم متنوعة استطاع الغرب أن ينهل منها، فيستفيد ويفيد، وأن يعتمد عليها لبناء حضارته، ولربما زالت الأمم والشعوب، لكن بقيت آثار الرحالة والمكتشفين، وظلت شاهدة على حضارة شكلت دعامة للغرب التي يعتز ويفخر بها علينا[1].

ولم يكتف المسلمون بالسماع والنقل من كتب الأقدمين للوصول إلى المعلومات الجغرافيّة الدقيقة، بل اتجهوا نحو الرحلة واكتشاف المجهول، ليس للاستمتاع باكتساب معارف جديدة فحسب، ولكن التجربة والمشاهدة هما السبيل الأمثل للحصول على المعلومات الصحيحة وكشف أوجه الحياة، وظلّت رحلات المستكشفين المسلمين في القرون الوسطى مصدراً هاماً من مصادر علم الجغرافية حيث جاب الرحّالة المسلمون العالم القديم[2]، وسجّلوا ملاحظاتهم ودوّنوا معلومات في غاية الأهميّة عن التضاريس الجغرافيّة من جبال وسهول

---

[1] - ابن خرداذبة: المسالك والممالك، تقديم: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1988، ص120.

[2] - ابن سعيد المغربي علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد العنسي المدلجي، أبو الحسن، نور الدين: كتاب الجغرافيا ، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري،بيروت، 1970.،ص 153.

ومواقع المدن الكبرى وأهميتها الاقتصاديّة والسياسيّة، ودرسوا البحار والأنهار والخلجان، والحدود ومواقع المدن، وتحدّثوا عن طرق المواصلات وقاسوا المسافات بينها، وسجّلوا في مدوّناتهم أحوال السكان الاجتماعيّة والاقتصاديّة وربطوا بين البيئة والنشاط البشري، لما للعوامل الجغرافيّة

من أثر على السكّان وصفاتهم وأخلاقهم، وعاداتهم[1]، ولاحظوا أثر مناخ الإقليم في العلوم والصنائع والمباني والملابس والأوقات والنباتات والحيوانات التي أكدها العلاّمة ابن خلدون وبيَّن أثرها، ودوّنوا الأحداث التي وقعت خلال رحلاتهم. وكانت المعلومات الجغرافيّة الوصفيّة والسكانيّة، ومعرفة المسالك وطرق القوافل البريّة، والخطوط البحرية بين موانئ مدن الإسلام، ذات أهميّة بالغة بالنسبة لدولة إسلامية مترامية الأطراف نشطت فيها حركة النقل والتجارة بسبب ما تمتّعت به من أمان واستقرار وازدهار اقتصادي.[2]

كما عُرف العرب بالترحال وكثرة الأسفار، على اختلاف نياتهم فمنهم من سعى في الأرض طلبا للعلم، وعرفت هاته بالرحلات العلمية ومنهم من قصد بيت الله الحرام، وعرف هذا النوع بالرحلات الحجازية دوَّن فيها العرب ملاحظاتهم متطرقين إلى الجغرافيا البشرية، وما تحتويه من سكان ومدن، ثم اتسع المجال إلى الجغرافيا الوصفية والفلكية فأعطوا شيئا متكاملا، وبالتالي يمكن أن نميز ستة أنواع من الرحلات وهي[3] :

- الرحلات العلمية طلبا للعلم والثقافة وتوسيع المعارف.
- الرحلات الحجازية لزيارة البقاع المقدسة.
- الرحلات الزيارية لزيارة أضرحة الأنبياء والأولياء.
- الرحلة نحو حواضر العالم الإسلامي.

---

(1) - اليعقوبي:كتاب البلدان، تحقيق: دي غويه،ليدن، 1892.ص250.
(2) - المقدسي أبي عبدا لله البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: دوخوية، ليدن، 1872، ص111.
(3) – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ط 2، م و ك، الجزائر، 1985،ص 390.

! الرحلات السفارية أو الدبلوماسية لتمثيل الحكام والدول[1]. مثل الوزير الغساني مبعوث مولاي إسماعيل لدى ملك إسبانيا، أو التمقروتي[2] سنة (1580م- 988هـ) عندما كلفه أحمد المنصور إلى الذهاب إلى اسطامبول، أو الوزير الزياني[3] سنة (1786م- 1201هـ) الذي عين لسفارة إلى اسطامبول.

! الرحلات التجارية، وهي رحلة القوافل الأفقية والعمودية.

وفي عهد الموحّدين كشف الرحالة المسلمون بحيرة (فيكتوريا نيانزا) ومن بين هؤلاء الشريف الإدريسي الذي رسم في إحدى خرائطه المحفوظة في متحف (سان مارتين) بفرنسا، منابع النيل.[4] ومنهم الأمير المغربي أبو دبوس بن أبي العلي، أحد أمراء بني عبد المؤمن الذي وصل منابع النيل في أيام هربه من بني عبد الحق ملوك بني مرّين، فسبقوا بذلك المكتشفين: (سبيك Spek) و(جرانت Grant) اللذين اكتشفا البحيرة عام (1862م-1279هـ) وسمياها باسم الملكة الإنجليزيّة فيكتوريا.[5]

وقام الرحالة المغربي ابن فاطمة برحلة بحرية جنوبي مراكش وتوغّل في كشف الساحل الأفريقي الغربي، فوصل إلى أبعد مما كان معروفاً عند الأوروبيّين حينذاك، وغرقت سفينته في موضع ساحل الذهب، ولكن وجود هاته الرحلات التي بقيت محل شك لديهم[6].

---

[1] – مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،ط 2، ش و ن ت، لجزائر، 1981،ص16.

[2] هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي التمقروتي نسبة إلى قرية تمقروت بوادي درعة بالمغرب الأقصى، ولد حوالي سنة (1560م-) له رحلة سماها النفحة المسكية في السفارة التركية، توفي بمراكش سنة (1594م-1003هـ). نفس المرجع، ص16.

[3] –هو أبو القاسم بن احمد بن علي الزياني، ولد بفاس (1734م-1147هـ) رحالة وأديب ووزير مغربي، له عدة مؤلفات: في التاريخ العام له الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، وفي تاريخ الدولة العلوية، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف، وفي السياسة له رسالة السلوك فيما يجب على الملوك، وفي رحلاته خارج المغرب الأقصى له الترجمان الكبرى، توفي سنة (1833م-1249هـ). نفس المرجع ،ص22.

[4] – أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص392.

[5] - عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، 1989م، ص78.

[6] – أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص393

دوافع الرحلة:

والرحلة لا تبدأ إلا بتصور قبلها، سواء كفكرة اختمرت في العقل وأراد صاحبها تطبيقها على أرض الواقع، أو من خلال مجموعة من المعطيات والأفكار والكتابات السابقة، ورأى صاحب الرحلة أنها لا تشفي غليله في معرفة المزيد عن هاته المنطقة أو البلاد ، أو ربما بتكليف من السلطات الأوروبية آنذاك بحثا عن مجالات أوسع لمستعمراتها، أو من خلال الجمعيات الجغرافية التي عادة ما تكلف أشخاصا للقيام بهاته المهام حسب النية(علمية، استكشافية، تجسسية أو دينية).[1]

وحرص البلدان الأوروبية على هاته الرحلات، فإنها كانت تموِّلهم، وتنتظر من روَّادها الكثير، والاعتناء بثراتهم لرسم استراتيجيات مستقبلية بعيدة المدى في السيطرة واحتواء هاته المناطق. وهذا ما حدث بالفعل فتقريبا كل الرحالة والمكتشفين أوصلوا تقاريرهم إلى الدول الأوروبية آنذاك؛ بالسيطرة على الصحراء الكبرى لما لهاته الأخيرة من أهمية إستراتيجية (سياسية، اقتصادية وثقافية).[2]

الكتابات العربية:

ونلاحظ أن أغلب ما كتبه العرب من رحلات حجازية أو مغاربية لم يتعد ذلك المخطوط، أو ذلك الكتاب، بما يحمله من آراء وأفكار ودراسات حضارية مختلفة لكن نجد أن الغرب سبقنا إليه في الكثير من الأحيان، للاهتمام بهذا التراث[3]، وأصبح ينشر من خلال كتاباتهم، والآن عبر صفحات الويب بشبكة المعلومات الدولية عبر الإنترنيت، لكن ما نخشاه على هذا التراث، التزييف والتحريف وإعادة نشره.

إضافة إلى بعض العائلات الجزائرية ممن ورثت هاته الرحلات المدوَّنة جعلته حكرًا عليها، وضربت حصارًا على الباحث، فيبذل جهدًا كبيرًا في الإقناع،

---

(1) – إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، م و ك، الجزائر، 1985، ص 18.
(2) –نفس المرجع،ص 22.
(3) – أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص394.

وبذلك يضيع الباحث وقتًا ثمينًا ، وهكذا تندثر الحقيقة بين صفحات ذلك الكتاب أو المخطوط لينسى عبر الأزمان وتزداد صعوبة لغته وكشف رموزه وأسراره.

وقد لفت اهتمامنا في هذا البحث المتواضع أن الصحراء ظلت تشكل المحور الأساسي، ومركز الثقل للتطورات التي عرفتها[1]، وهذا ما جعل الاهتمام بالماضي من الأمور الضرورية التي يفرضها تكامل التاريخ الجزائري وتحتمها وحدة الكيان، لإبراز مدى ارتباط كل أجزاء الجزائر ببعضها.

لكن ماضي الصحراء رغم الأهمية التي اكتسبها والتطورات التي عاشتها ظل مهملا وغامضا في أغلب فتراته، فكل ما يعرف عنه لا يتعدى في واقع الأمر خطوطا عامة لأحداث متفرقة غير مترابطة، لا تغني البحث شيئا ولا تقدم للقارئ صورة واضحة على أحداث الماضي وتطوراته[2].

الرحلات أثناء القرن السادس عشر الميلادي:

ولعل أكثر الفترات غموضا ونسيانا تبدأ من القرن السادس عشر الميلادي حتى القرن التاسع عشر الميلادي، والتي اختلفت الكتابات فيها من آراء وتعدد وجهات نظر لأن الصحراء رغم وعورتها ووصفها بالقفار ظلت محط أنظار المغامرين والمستكشفين، ممن يحبون المغامرة ومعرفة أغوارها، وقد اعتمد الباحثون الأوروبيون[3]والذين مروا على فترات متعاقبة من تاريخ الصحراء على مصادر عربية وأجنبية، بحيث نلمس بعض التواصل في الكتابات فيما يخص المعلومات والتركيبات الاجتماعية الخاصة، والأنشطة الاقتصادية بكل منطقة، وكما كان يستعان في كل مرة بالخرائط الجغرافية والمواقع الفلكية الدالة على كل مناطق الصحراء.

وهناك مجموعة من العوامل دفعت بالأوروبيين خلال القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، **(انظر الجدول رقم 01 و 02 في الملحق)** إلى القيام

---

(1) – إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص25.

(2) - فارس محمد خيري: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مطابع ألف-باء، الأديب، دمشق،1969،ص 121.

(3) - نفس المرجع، ص 122.

بتلك الاكتشافات، متمثلة في عوامل اقتصادية بحثا عن المعادن النفيسة لإنتاج القطع النقدية وحاجتهم للبضائع الآسيوية كالقطن والتوابل والبحث عن طريق بحرية جديدة ومباشرة لتجاوز الوساطة الإسلامية والإيطالية إضافة إلى العوامل الدينية، التي شجعت رجال الدين الأوروبيين لنشر الديانة المسيحية بعد انتشار الروح الصليبية الهادفة لمحاصرة المسلمين.[1] واعتنى الكاردينال لا فيجري بهذا، عندما كان كل مرة يوجه الآباء البيض في مهام يعتبرها سامية ونبيلة لإخراج البشرية من الظلمات التي تعيشها، لكن في كل مرة، كان الآباء يغتالون من طرف الأهالي، وظل لافيجري يقول أنهم ماتوا في سبيل الله، ويعاود الكرَّة بإرسال موفدين أخرين.[2] إضافة إلى تلك العوامل، هناك عوامل أخرى ساعدت على انطلاق حركة الاستكشافات كظهور الطباعة ونشر كتب الرحلات والخرائط، إضافة إلى الاختراعات التقنية والعلمية كالإسطرلاب والبوصلة وصنع سفينة الكرافيلا(نوع من السفن)، حيث بدأت البرتغال الاستكشافات باحتلال مدينة سبتة المغربية سنة (1415م-821هـ)، إلى أن وصلوا لأقصى جنوب إفريقيا (رأس الرجاء الصالح)، ثم للهند سنة (1498م-904هـ)، على يد فاسكو دي گاما[3].(Vasco De Gama).

---

[1] – مولاي بلحميسي: !!سياسة الضرائب بالجزائر في العهد العثماني"، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، وهران،1983،ص75.

[2] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 26.

[3]- بحار برتغالي ولد سنة (1469م- 875هـ) وتوفي سنة (1524م-931هـ). المصدر: 1343p, le petit Larousse

كما ركز الإسبان رحلاتهم غربا بالطواف حول الكرة الأرضية للوصول للشرق، حيث اكتشف كريستوف كولومب[1](Christophe Colomb) سنة (1492م-898هـ) جزر أمريكا الوسطى معتقدا أنها الهند، ثم جاء أمريكو فسبوتشي[2] (Amerigo Vespucci) ليؤكد اكتشاف القارة الأمريكية، ليتمم بعده دي ماجلان فريناند[3] (Fernand De Magellan) الطواف حول الأرض بوصوله إلى الهند.[4]

أدت الاستكشافات الجغرافية إلى تكوين الأوروبيين لإمبراطوريات استعمارية بعد تأسيس مراكز تجارية ساحلية والاستيطان بها، ثم عملوا على جلب العبيد من القارة الإفريقية، مثلما توغلوا إلى القارة الأمريكية، استوطنوها ونهبوا خيراتها، كما دمروا مدنا كاملة وشنوا حرب إبادة ضد السكان الأصليين من الهنود الحمر، وقضوا على حضارتهم.[5]

وتحولت الطرق التجارية من حوض البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلنطي، مما أدى إلى القضاء على الوساطة التجارية العربية والإيطالية وتدهور تجارة القوافل الصحراوية، حيث تدفقت كميات كبيرة من الذهب والفضة على أوروبا مما أدى إلى ارتفاع كبير في الأسعار فتضررت الفئات الشعبية؛ في حين اغتنى كبار التجار وازدادت أهمية البنوك ونمت طبقة البورجوازية التجارية.[6]

الرحالات أثناء القرن السابع عشر :

لم تكن فرنسا وحدها تسعى لمعرفة سواحل إفريقيا التي تظهر صعب المنال والدخول، لما تحتويه من غنى اقتصادي متمثل في العاج، والفحم، ومواد أخرى، حيث سبق في ذلك(البرتغال والاسبان) فالبرتغاليون اتجهوا نحو جنوب الكونغو

---

(1) – بحار ولد بجوناس سنة (1451م- 851هـ) وتوفي سنة (1506م-912هـ).المصدر: 1243p,le petit Larousse

(2) – بحار ولد سنة (1454م- 861هـ) وتوفي سنة (1512م- 918هـ). ,1763 Ibid p.

(3) – بحار برتغالي، ولد سنة (1480-700هـ) وتوفي سنة (1521م-928هـ).Ibid ,p.1493

(4) – محمد فارس خير: تاريخ الجزائر، ص124.

(5) – نفس المرجع،ص 127.

(6) – نفسه، ص 130.

وإلى ساحل موزنبيق وتوغلوا فيه وهم يعرفون أن الكونغو بها بحيرتين، وعرفوا ودوَّنوا ذلك في خرائط مملكة ماكوكو وبحيرة نياسا (بحيرة ملاوي) واحتفظوا بملاحظاتهم أثناء القرن السابع عشر الميلادي.[1]

تمت أهم الرحلات الاستكشافية على يد البرتغال و الاسبان حيث ساهمت الظروف بشبه الجزيرة الإيبيرية في انطلاق حركة الاكتشافات الجغرافية فمثلا البرتغال تحققت الوحدة السياسية في بداية القرن الخامس عشر (15 م)، و أصبح يتمتع باستقرار نسبي إضافة إلى قربه من المحيط الأطلنطي و الشواطئ الإفريقية. أما اسبانيا فحققت الوحدة السياسية داخل البلاد بين مملكة أرغون و مملكة قشتالة (بعد زواج فردناند و إيزابيلا سنة (1469 م-875هـ)، حيث مكنت هذه الوحدة من التخفيف من النزاعات الداخلية و من تعزيز القوة العسكرية لمواجهة المسلمين، و اشتد التنافس بين البرتغال و الاسبان حول المناطق المكتشفة فالتجأ الطرفان إلى إبرام معاهدة "تورد سيلاس "Torde sillas" سنة (1494م-899هـ)، التي منحت البرازيل و إفريقيا و آسيا للبرتغال، و تركت الاسبان حق التوسع في جل الأراضي الأمريكية وبالتالي أسفرت الاكتشافات الجغرافية عن نـتائج متعددة قادت البرتغال و الاسبان حركة استعمارية وحشية بالمناطق المكتشفة:

فالبرتغال نظرا لقلة عـدد سكانها اقتصرت في توسعها على المناطق الساحليـة، و كونت بها مراكز تجارية لتأمين مرور سفنهم، و اهتموا بالمحيط الهندي حيث تجارة التوابل و احتكارها نهجوا سياسة العنف و الإرهاب ضد الأهالي في الهند و ضد السفن العربية المتجهة نحو الهند. كما قاموا باستغلال خيرات البرازيل حيث طوروا زراعة قصب السكر، و دفعتهم الحاجة لليد العاملة إلى جلب الرقيق من إفريقيا
أما اسبانيا فكوَّنت إمبراطورية استعمارية على التراب الأمريكي و مارسوا سياسة

[1] –عبد القادر زبادية، المرجع السابق،ص 81.

الإبادة ضد الأهالي، فتم القضاء على حضارة الأزيتك بالمكسيك و الأنكا في الشيلي و البيرو من أجل الحصول على الذهب و الفضة، وبالتالي تحولت الطرق التجارية لصالح بلدان أوروبا الغربية، وانتقل الثقل التجاري الدولي من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلنطي، و استفادت منه الدول المطلة عليه و مدنها: لشبونة، اشبيلية أمستردام. و كان من نتائج هذا التحول القضاء على الوساطة العربية و الإيطالية فيما يخص تجارة التوابل كما أن احتلال البرتغاليين للسواحل المغربية و وصولهم إلى سواحل أفريقيا جنوب الصحراء وأوروبا.

نتج كذلك عن الاكتشافات الجغرافية تدفق مقادير كبيرة من الذهب و الفضة على أوروبا، و كانت اسبانيا هي المستفيد الأول من هذه الثروات الجديدة، و لكن حاجتها إلى السلع الاستهلاكية جعلت نقودها الذهبية و الفضية تتحول لإغناء باقي بلدان أوروبا.

حيث ترتب عن تطور الاقتصاد الأوروبي ظهور الرأسمالية التجارية، الذي أفرز نمو فئة بورجوازية تجارية، حيث عرف القرن السادس عشر (16 م)، ظاهرة ارتفاع الأسعار بنسب مختلفة حسب المناطق بدأ الارتفاع من اسبانيا و انتقل إلى هولندا و فرنسا و انجلترا و ذلك بسبب تدفق الذهب والفضة على أوروبا.

و أدى ارتفاع الأسعار إلى تضرر النبلاء و العمال و الحرفيين، في حين استفاد التجار من المضاربة و برزت فئة اجتماعية جديدة هي طبقة التجار الكبار و الصيارفة تمكنت من جمع أموال ضخمة و التحكم في التجارة و الصناعة، وازدهر الاقتصاد المركنتلي في أوروبا خلال القرن السابع عشر (17 م)، الذي يقوم على مبدأين أساسيين :

1- أن قوة الدولة مرتبط بمدى ما تتوفر عليه من معادن نفيسة.

2- أن على الدولة توجيه الاقتصاد كالرفع من الصادرات و تقليص الواردات و

تشجيع الصناعة المحلية لمواجهة المنافسة الخارجية و ضمان الأسواق بإنشاء المستعمرات.

و من مظاهر المركنتيلية تأسيس الشركات التجارية الكبرى التي تتمتع بتشجيع الدولة و أصبح لها نفوذ اقتصادية و عسكرية مثل شركة الهند الشرقية الهولندية (1602 م-1011هـ) (التي هيمنت على تجارة التوابل، و شركة الهند الشرقية البريطانية التي نافست الأولى بإصدار قانون الملاحة، و قد لعبت هذه الشركات دورا مهما في التجارة المثلثية). حيث أن إفريقيا لم تكن محط أنظار المستكشفين والرحالة إلاّ مع نهاية القرن الثامن عشر مثل جيمس بروس(James Bruce)، الذي زار منابع النيل الأزرق سنة (1772م-1186هـ)، ومونقو بارك(Mungo Park)، الذي توفي بالنيجر سنة (1806م-1221هـ).[1]

ومن هنا بدأت قوافل الرحالة والمستكشفين وأحيانا عملاء المؤسسات الاستعمارية الذين تحدوهم روح المغامر والمجد والفضول لمعرفة المزيد عن إفريقيا فمثلا لوندر (Lander)، نزل إلى النيجر حتى نو (Noun) ، سنة (1830م-1246هـ)[2]، أما ريني كاييه(René Caillié) (انظر الصورة رقم 05) أول أوروبي زار تمبكتو عابرا الصحراء[3]، واستطاع كل من أبادي(Abbadie) كوبنيون(Compagnon) رفانال(Raffenel) تامزي(Tamasier) كومب(Combes)، ماج(Mage) روشي دي هريكور(D'Héricourt Rochet) لاروندي (LaRenaudier) دنهام (Denham) كلابرتون (Clapperton)، بارث (Barth)، فوجيل (Vogel)، اوفرواق (Overweg)، لينفينغ ستون(Livingstone) عبور إفريقيا الوسطى،[4] من بحر إلى أخر، وتم اكتشاف بحيرات نقامي(Ngami) ونياسا وفيكتوريا في زمباز وبرتون(Burton)، الذي عثر على

---

[1] – إسماعيل العربي،الصحراء،ص29.

[2] – نفس المرجع ،ص 33.

[3] -1825- –(René) Caillié: journal d'un voyage à Tombouctou et l'intérieur de l'Afrique pendant les années 1824 Paris, 1828,p . 1826-1827-1828, Tome II &III, imp Royale,

[4] – إسماعيل العربي: نفسه،ص39.

بحيرة طانجنيكا وسباك(Speke) الذي شاهد بحيرة فيكتوريا، وبيكر(Baker) اكتشف بحيرة البرت بيتريك.[5]

وهناك الكثير من المغامرين و المكتشفين، تحركهم الشجاعة وطاقة مذهلة ساعدوا على إبراز الجغرافية الإفريقية، ودرسوا الموارد المائية بحيث ذهبوا إلى مصب النيل ومصب الكونغو(زائير) وعلاقته بالبحيرات الكبرى ففي سنة (1800م-1215هـ) اكتشف مونقو بارك النيجر، وصل رينيه كاييه إلى تمبكتو سنة (1828م-1244هـ) وواصل دافيد ليفينغ ستون رحلاته بين (1840م-1973م)(1156هـ-1391هـ) واكتشف بارث و اوفرواق الصحراء سنة (1850م-1267هـ)، ووصل جون سباك إلى بحيرة فيكتوريا سنة (1858م-1275هـ)، وأسس مسافور نيون دو يرازا برزا فيل والكونغو سنة (1880م-1298هـ).[1]

أما الاكتشافات الموَّجهة إلى إفريقيا الغربية حيث وصل السير بلفور بيكي (Belfort Piki)إلى النيجر سنة (1854م-1271هـ)، وإلى كانو(Kano) سنة (1862م-1279هـ).[2]

أما عن الفرنسيين ، فقد فكروا في ضم الجزاءين(السينيغال والجزائر) **خلال هاته الحقبة الجغرافية، نجد الصحراء تدين بالكثير إلى كل من هنري دوفيريي(Henri Duveyrier) (انظر الصورة رقم 01)الكولونيل فلاترس (Colonel Flatters) (انظر الصورة رقم 02) المغتال سنة (1881م-1299هـ) قرب بئر الغرامة، وسولييه (Soleillet) (انظر الصورة رقم 03)الذي وصل إلى توات وفي سيغو(SEGOU) نحو النيجر عن طريق السينيغال واكتشف الجنوب الغربي لأنهم جعلوها موضع اهتمام وكتبوا عن ذلك الكثير.[3] ولا ننسى أن نذكر الرحالة سالألماني روهلفس(Rohlfs) حيث عبر المغرب بين سنتي (1862م-1864م)(1279هـ-1281هـ)**

---

[5] - Oscar Lanz : Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara, et au Soudan, 1886,p 55.

[1] – إسماعيل العربي، الصحراء، ص 40.

[2] – عبد القادر زبادية،ص 84.

[3] – Paul soleillet, op cit, p 44.

والواحات الواسعة جنوب الأطلس وفي سنة (1860م-1277هـ)، وغادر البحر الأبيض المتوسط عن طريق مرزوق وبرنو ويعقوبا.[4] (انظر الجدول رقم 03 في الملحق).

الفصل الأول: البيئة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن الثامن عشر

المبحث الأول: تقارير الأجانب عن الصحراء خلال القرن الثامن عشر.

لم تكن تقارير الأجانب في القرن الثامن عشر الميلادي عن الصحراء كثيرة حتى تغطي لنا هاته الحقبة التاريخية من تاريخ الصحراء، عدا تقرير الدكتور توماس شو (Shaw Thomas)، لكن ما هو ملفت للانتباه أن الكتّاب اللاحقين اعتمدوه في كثير من الأحيان لتبرير تقاريره من خلال الكتب التي توصلنا إليها، حيث وجدنا تقارير الأجانب في هذه الفترة شحيحة جدا لعدم اهتمام أوروبا بذلك وكل ما كتبه الدكتور شو لا يتعدى فترة اثنى عشرة سنة التي قضاها في الجزائر، حيث يصف إقليم الزاب بأنه يضم تقرت، وانقوسة ورقلة[1] وبني ميزاب، ويقع جنوب بايلك قسنطينة وغرب إيالة تونس يعني جنوب بلاد الجريد[2]، له مساحات جبلية محاطة به، كانت تسمى في القديم الزاب[3] وعلى ثلاثة مضارب من بسكرة جنوبا توجد هناك زاوية سيد خالد، تحظى بمكانة مرموقة لدى السكان، وعلى شرقها توجد أولاد جلال، وهي قبيلة هامة ومحاربة حيث تعداد رجالها يفوق المائة رجل، وقد احتلها الرومان من خلال الآثار الموجودة هناك، وعلى ما يبدو أنَّ

---

[4] – إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 41.

[1] – يسميها ابن خلدون واركلا ووارركلة وواركلي، وقيل تسمى وارقلان جمع وارقلة(دي سلان في نقل المسالك والممالك-ص،340.)، وهي واحة شهيرة على بعد 160كم جنوب تقرت، وكان أهل المغرب الأقصى يمرون عليها في طريقهم إلى حج بيت الله، ولا نعرف تاريخ تأسيسها بالضبط وقيل شيخها يسمى بالوارقلي فسميت المدينة بوارقلة، ونجدها في الكثير من الكتب تسمى وارجلان أو غرغلة: مولاي بلحميسي:الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،ش و ن ت ، الجزائر، 1981،ص83.

[2] –بلاد الجريد هي واحات رائعة في الجنوب الغربي التونسي. إبراهيم مياسي: التوغل الفرنسي للصحراء الجزائرية أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، الجزائر،2002، ص09.

[3] « Le sud constantinois de 1830 à 1855 », Revue .Africaine, N°56, ((opu)), Alger,1912, : - Commandant Seroka p299.

الدكتور شو[4] على دراية بمصبات المياه واتجاهها، وخاصة أن المناطق التي زارها بها واحات كثيرة. **(انظر الخريطتين رقم 01 و 02).** وسكان هاته المناطق يتغذون من لحم الكلاب مثل ما كان القرطاجنيون، ويقول شو(Shaw) إذا بحثنا عن أصول الكلمات التي يتداولها السكان نجدها فارسية، و سكان هاته المناطق يقومون بتعظيم المرابطين ورجال الدين والزوايا[1]، نظرا لما يحتلونه من قيمة عظيمة لديهم، وفي كثير من الأحيان يذكر السكان دون أن يعطينا عددهم الحقيقي وهذا يدل على أن تلك القبائل الموجودة بهذا الإقليم، إما في حالة حروب دائمة[2] أو في تنقل دائم، وبالتالي يصعب تحديد السكان.

اعتمد الدكتور شو على تقارير الجغرافيين قبله، ويشير في كثير من الأحيان إلى ليون الإفريقي[3](Léon L'Africain)، حيث رأى شو أن منابع الماء بالنسبة لهاته القرى منها ما هو من التل مثل مدينة الدوسن، أما باقي الينابيع والسواقي التي تسقي باقي المناطق تأتي من جهة الصحراء، واصفا مدينة بسكرة أنها تقع بين خطي العرض شمالا 34°-40° وبين خطي الطول شرقا 5° إلى 15°، وتقع على هضبة محاطة بسور من الطوب المجفف[4]، وبها ثكنة تركية، ولم يجهز باي قسنطينة هاته الثكنة التي تقع جنوب البايلك، إلاّ بستة مدافع صغيرة، و تشتغل المدينة بتجارة العبيد[5]، وأغلب سكانها نزهاء ومتحضرين.

---

(4) – طبيب ورحالة إنجليزي، ولد سنة (1692م-1751م) (1104هـ-1165هـ) أقام بالجزائر مدة تقارب اثني عشرة سنة(1720م-1732م)(1133هـ-1145هـ)، وزار تونس ودوّن ملاحظات وآرائه في كتاب ترجم إلى عدة لغات منها الفرنسية والعربية، عائشة غطاس:نظرة حول "تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، مجلة التاريخ، العدد الخامس، الجزائر، 1988،ص116.

(1) - الزاوية هي مؤسسة ليس لها مقابل في الدول الأوروبية، لها أتباع وأصدقاء للعائلة المؤسسة ويأتونها للزيارة في فترات محددة، وهي مسجد يتجمع فيه مسلموا القبائل المجاورة للصلاة جماعة وهي كذلك مدرسة بها جميع العلوم(القراءة ،الكتابة، الرياضيات، الجغرافيا، التاريخ الكيمياء السحر والفلسفة وعلوم الأديان ، وتتكون الزاوية من الطلبة والعلماء وكذلك هي مستشفى وفندق للحالة والحجاج والمرضى، وتملك الزاوية الكثير من الريع (الحبوس) ومن الزكاة يرأسها شيخ وبها مقدم القائم بالأعمال ولها خدام يرعون أرضها أو لخدمة الطلبة. جمال قنان:نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830 ، م ج ط، الجزائر،1987،ص ص 187، 190.

(2) – Thomas Shaw :voyage dans la régence d'Alger, traduit par J.Maccarthy,Paris, 1830, p347.

(3) –وهو حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي(Léon L'Africain)، جغرافي عربي، ولد بغرناطة(1483م/1554م) (889هـ/-961هـ) له كتاب وصف إفريقيا. معجم مشاهير العرب، ص559.

(4) – Thomas Shaw ,. Op cit p398.

(5) – برغم من أنها منعت من طرف أوروبا، ابتداء من الدانمارك ثم انتقلت إلى جميع دول أوروبا ، وقد صادقوا على ذلك في مؤتمر فيينا سنة (1815م-1230هـ)، ورغم ذلك ظلت تمارس في جنوب الجزائر حتى القرن التاسع عشر الميلادي وظلت بلاد السودان الممول الوحيد لهذه التجارة المربحة.

أما الأغواط تقع بين خط العرض 33°-48° وخطي الطول 48°-0° غربا يحدها من الشمال جبل عمور، شرقا أولاد نايل، جنوبا بني ميزاب، وغربا قبيلة الأغواط كسال[1] وتحوي المدن والقرى والقبائل التالية:

الوطية، تاجموت، الحويطة، العسافية، عين ماضي، قصر الحيران، قبيلة الأرباع، أولاد سيدي عطا الله ، والحرازلية. [2]

وتنقسم مدينة الأغواط إلى حارتين مختلفتين، واحدة في جهة الغرب يقطنها أولاد سيرين، والأخرى في الشرق قبيلة حلاف، ولكل حارة رئيس، كما أن لكل حي السوق الخاص به، هاته الأسواق[3] يقصدها كل من قبائل الأرباع، العمور ، أولاد خليف، أولاد شعيب المخاليف أولاد نايل، رحمان، بني ميزاب، الحرازلة، أولاد مختار أولاد سيدي عطا الله، سعيد عتبة أهل بوسعادة، الشعانبة...الخ، فالحرازلة مثلا يجلبون عن طريق تقرت الأسلحة وأحجار البنادق القادمة من تونس، أما أهل بوسعادة فيجلبون الصوف والزيت الزبدة التمر والحبوب القادمة من التل، والماشية والجبن، أما الشعانبة[4] يجلبون السود الذين يعاد بيعهم أو مقايضتهم في التل مقابل الحبوب فقيمة رجل أسود تبلغ من مائة وعشرون (120) إلى مائة وثمانون (180) بوجو. [5]

أما توات فكانت إقليما مفتوحا على هجرات القبائل، وعلى فترات متعاقبة وفي ظروف مختلفة، من الفتح الإسلامي للمغرب العربي، وحتى القرن الثامن عشر الميلادي. بعد أن استقروا في المدن والقصور[6] التي بنوها، تشكّل سكان توات ببطء من ثلاثة عناصر[7]: بربر، عرب وزنوج، وتفاعلت فيما بينها، وأصبحت لديهم عادات وتقاليد وقيم اجتماعية

---

[1] – الأغواط كسال أو الإكسل هم بعض القبائل التي طردت من طرف بني هلال إلى ناحية البيض، وهم أربعة أعراش أما إكسل فهو اسم لجبل بالبيض، انجذب إليه بني الأغواط. إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي،ص 45.

[2] – بن يوسف تلمساني: الطريقة التيجانية ومواقفها من الحكم المركزي في الجزائر (السلطة العثمانية _ الأمير عبدالقادر- الإدارة الاستعمارية) 1782-1900، الفصل الأول،ص 35.

[3] (Ancien curé de Laghouat), Les soirées Algérienne, Corsaires esclaves et martyrs de : - L'abbé Léon Gorard(M.) N[lle] édition, Tours, 1857,p 10. barbarie,

[4] –ينحدرون من علاق، من عوف، من سليم بن منصور، من العدنانية، جاءوا إلى إفريقيا الشمالية مع الموجة الأخيرة للغزو الهلالي في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي.انظر تلمساني (ب)،مرجع سابق،ص 40.

[5] –L'abbé Léon, op cit,p18.

[6] - Schacht(J.) : « Sur la diffusion des formes architectures religieuse musulmane à travers le Sahar »a, Travaux, IRS, Alger, T XI, 1[er]sem.1954,p 175.

[7] - فرج محمود فرج:إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين،م،و،ك، الجزائر،1977،ص11 .

وخلقية ثابتة وموَّحدة بسبب الدِين الإسلامي الذي جمعها بالإضافة إلى الحاجة النفسية الماسة للإنسان في حب التنظيم، والبحث عن الأمن والاستقرار.

ومن البديهي وجود التفاوت الطبيعي، فلقد تحددت الأصول والأعمال والمراكز الاجتماعية لكل طبقة من الطبقات التي تشكل أهل توات، فالطبقة الأولى هي طبقة الأشراف يعود نسبها إلى الأسرة العلوية، قدِموا من المغرب الأقصى، أما الطبقة الثانية وهي طبقة الأحرار، فهم ينحدرون من آباء وأمهات من البربر والعرب ويشتغلون بالتجارة، ويمتلكون الجواري، ومنهن ظهرت الطبقة الثالثة وهم الحر ثانيين يمتهنون الحرف، وأخيرا تأتي في نهاية الترتيب طبقة العبيد [1] ويعملون بحفر الفقاقير المائية[2]، والزراعة والرعي.

و نميِّز في تلك المنطقة وجود ظاهرة القصور، والجدران المحيطة بها التي تدل على قلة الأمن، ولا يخلو قصر من القصور من جامع أو زاوية، أو ضريح لأحد الأولياء.[3]

---

[1] - المنظمة العربية للتربية: مسألة الرق في إفريقيا، تونس، 1985،ص 151.

[2] – يبدو أن الفجارة أو الفقارة اخترعت في فارس، احتمالاً في وقت مبكر من الألفية الأولى السابقة للميلاد، وانتشرت غرباً إلى مصر (بحلول القرن الخامس ق.م.) ولاحقاً إلى عالم البحر الأبيض المتوسط الروماني. أدخلت الفجارات إلى أسبانيا في القرن التاسع الميلادي عن طريق أهل الشمال الأفريقي، وفيما بعد إلى أمريكا اللاتينية عن طريق الكونكيسدادور (المستعمرين الأوروبيين).وتتشكل الفقارة من مجموعة من الآبار التي تبدأ من نقطة مرتفعة، تتجمع بها المياه الجوفية وتسير مياه هذه الآبار في مجرى ذي فوهات لمسافات بعيدة، حيث تنحدر ببطء، عن طريق الانحدار التدريجي لهذا المجرى ،وينتهي المجرى بحوض كبير تتجمع فيه المياه يسمى (ماجن)، ومنه تخرج القنوات تحمل إلى بساتين أصحاب الفقارة كل حسب نصيبه، وكان على أصحاب هذه الفقاقير التزامات مالية ومادية، بصفتهم الطبقة الميسرة منها دفع الضرائب السنوية والمساهمة في تكاليف بناء سور البلدة. فرج محمود فرج، مرجع سابق،ص77. وكذلك الموقع الالكتروني:-www.arkamani.org/prehistory/gramant-agriculture.htm .

[3] –فرج محمود فرج مرجع السابق، ص12.

و إلى جانب تدين أهل توات، امتازوا كذلك بالطيبة والكرم وحسن الضيافة وقد أشار إلى هذه الخصال كل من العياشي في رحلته "ماء الموائد" **(انظر الخريطة رقم 03)** مارا عبر الإقليم باتجاه البقاع المقدسة قصد الحج، فقال عنهم:"أهل تقوى وصلاح"[1]، وكما يصفهم الرحالة الألماني جيرهارد روهلفس(Gerhardt Rohlfs)[2] بالسلم ويحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين.[3]وساعد على الاستقرار والتنظيم الاجتماعي وجود القضاء للفصل في النزاعات والخلافات بين الأفراد وخاصة في البيع والشراء، ومراقبة الموازين والمكاييل بالأسواق العامة، ومراجعة عقود البيع والشراء والمسائل الشرعية والأحوال الشخصية، كالإرث والطلاق، والنفقة، والحلال والحرام في أمور الدين ويعتبر قاضي توات أعلى سلطة قضائية ومقره في مركز الإقليم ، حيث يتمتع باحترام الجميع نظرا لأن القضاة المعنيين من أشهر العلماء في وقتها ونظرا لما يحتويه المنصب من أهمية دينية وسياسية فهو يعين من طرف السلطان (المغربي)

---

(1) – محمد أبو سالم العياشي: رحلته ماء الموائد، طبعة فاس الحجرية، الجزء الثاني،ص24.

(2) – ولد سنة (1832م -1248هـ) ، تعلم اللغة العربية واكتسب معرفة بعادات الأهالي وتقاليدهم لأنه كان في الجيش بمنطقة القبائل، بدأ رحلته إلى الصحراء سنة (1862م-1279هـ)، دخل عين صالح سنة (1864م-1281هـ) ويعتبر المكتشف الثاني لها بعد الميجور لانج. إسماعيل العربي،مرجع سابق، ص 25.

(3) –Malte-Brun (VA): Résumé historique et géographique de l’exploration de Gerhard Rohlfs au Touat et à In-çalah, d’après le journal de ce voyage, challamel, Paris,1866,p100.

أي موافقته نظرا لعامل الارتباط الديني والثقافي والتجار وقربها من المغرب الأقصى. و يخصص للقاضي راتب من بيت مال المسلمين.[4].

ونتيجة للموقع الاستراتيجي لتوات فهي نقطة التقاء القوافل التجارية وهي من بين المراكز التجارية الهامة كغدامس ورحات في مناطق الطوارق ومرزوق، وورقلة وعين صالح.[5]

وكانت هاته القوافل التجارية عاملا مساعدا على نشر المراكز الدينية كالتيجانية[1] بتماسين بوادي ريغ، السنوسية بين طرابلس ومصر، والعائلات الأميرية للمرابطين كالبكاي[2] في تمبكتو، والطريقة القادرية متمثلة في شيخ زاويتها الشيخ المغيلي، وأولاد سيدي الشيخ[3] بالبيض، كل هاته الطرق الصوفية تتمتع بنظام الإخوة ويترأسهم الشيخ أو المقدم (القائم بالأعمال).

---

[4] – Deporter, op citp34.

[5] - وتسمى كذلك إن صالح واختلفت الروايات في تحديد أصل الكلمة ويقال أنها كلمة بربرية، وعين صالح هي واد كبير يسكن بقربه الطوارق بها عين للماء يشرب منها المارة والحجيج، وذات مرة مرض أحد الحجاج واسمه صالح واصله من توات فتركوه وبعد أن شفي حفر بئرا وأسماه عين صالح . للمزيد انظر: الحاج تومي سعيدان:سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، مطبعة دار هومة، الجزائر،2005،ص23.

[1] –التيجانية نسبة إلى أبي العباس أحمد التيجاني، صاحب الطريقة المنسوبة إليه، ولد بالجزائر في عين ماضي، سنة (1737م /1150هـ) وتوفي سنة (1815م /1230هـ) فتعلم فيها المبادئ وحفظ القرآن، أخذ عن الشيخ الطيب الوزاني مبادئ طريقته الطيبية، وعن الشيخ محمد عبد الله التزاني بالريف المغربي مبادئ الطريقة الناصرية، وكخلاصة لهاته الطرائق وكما يقال أنه تلقاه من الرسول الكريم فأسس طريقته وأصبح لها أتباع ومريدين خارج الجزائر، ولما ذاع صيتها أقلق بايات وهران فاتجاه إلى فاس حيث استقبله السلطان سليمان بحفاوة سنة (1796م/ 1211هـ) وكانت للتيجانية أهمية اجتماعية وسياسية خصوصا في عهد الاحتلال الفرنسي، ومن أشهر كتب التيجانية "جواهر المعاني" المطبوع بالمطبعة الأزهرية سنة (1926م /1345هـ)، و"الإفادة الأحمرية" المطبوع بمطبعة الصدق الخيرية سنة (1931م /1350هـ) و"بغية المستفيد" وبهامشه"الجيش" المطبوعين بمطبعة التقدم سنة (1907م /1326هـ)، تلمساني (ب)،مرجع سابق ص35.

[2] - هو الشيخ عمر بن سيد أحمد البكاي المولود سنة (1552م /960هـ)، مؤسس الطريقة البكائية أو البكاوية وهو شيخ تمبكتو، توفي بوالاتة كان له الأثر الكبير في مناطق السودان الغربي، و عندما آلت إليه المشيخة برز نجمه، وعلا شأنه في المنطقة عموما، نظرا لما تمتع به من علم غزير، ومعرفة واسعة، وسعة أفق، وحنكة سياسية متميزة، ودراية فائقة بالشأن العام، وعلاقات محلية، وإقليمية ضافية، جعلته يتخاطب مع سلاطين، وملوك حتى من خارج إقليمه، ونطاقه المحلي، فكانت له مراسلات مع السلاطين، والعلماء في مراكش، والولاة من أسرة أحمد القرمانلي في طرابلس الغرب، بل وتذكر الوثائق أنه جند الجند لنجدة الأهل في الجزائر عشية الغزو الفرنسي للبلاد، وكانت للشيخ اتصالات وسفارات متبادلة مع آل الشيخ عثمان دان فوديو، في إمارة المسلمين في سَكَتُو (في نيجيريا حاليا)، وأثمر ذلك تعاونا طيبا بين الأسرتين في كل إقليم السودان وكانت للشيخ اتصالات، ومراسلات مهمة مع بريطانيا العظمى، وتبادل مع البلاط الإنجليزي الرسائل، والهدايا - رغم بعد الشقة -وكان الحلقة الأولى في هذه الاتصالات الرحالة الألماني الدكتور هنري بارث، الذي زار تمبكتو، منتحلا صفة شريف من أهل الشام (1853م /1270هـ) فحماه الشيخ البكاي، وبفضل أخوه المختار استطاع الدكتور هنري بارث من اجتياز الصحراء، لأنه كان في حمايتهم. عبد القادر زبادية، مرجع سابق،ص 75.

[3] –أولاد سيدي الشيخ قبيلة تنسب إلى سيدي الشيخ بن محمد، لهد عدة أولاد ومنهم جاءت تسمية أولاد سيدي الشيخ، نذكر منهم: سي الحاج جلول، سي الحاج عبد الحاكم، سي الحاج بوحفص، سي الحاج، سيدي عبد الرحمان، سي الحاج محمد بن عبد الله، تمركزوا في حدود الهضاب العليا والصحراء، له تأثير كبير على الجنوب الوهراني حتى قرارة، ومن جنوب المغرب حتى تافيلالت. . إبراهيم مياسي، المرجع السابق،ص129.

واعتبرت ورقلة من أقدم المدن في الصحراء الجزائرية ، وهي بالصعوبة بمكان في تحديد تاريخها، وعلى ما يبدو أن الاحتلال انحصر أكثر في الشمال حتى جبلي عمور والأوراس، وأكد هيرودوت قبل هذا التاريخ الذي قال عن واحة ورقلة أنها هي الأقدم في الصحراء، حيث زارها (الكتاب الثاني،32)، وقطنها في أوائل العصور الشبه أثيوبيين والغرامانت مرة أخرى، واعتبر الغرامانت السكان الأوائل لهاته المنطقة[1] وتحتوي ورقلة على ستة واحات مختلفة وهي: ورقلة، الشط، عين عجاجة، بامنديل رويسات وانقوسة. وهذا ما تطرق إليه توماس شو في كتابه.

ورأى ابن خلدون في كتابه تاريخ البربر، أن بسكرة مدينة هامة في إفريقية الوسطى، أين ربحت ورقلة تجارة كبيرة.[2]

---

(1) - Service des Affaires Arabes et Communiquée par le Gouvernement de l'Algérie : Notes pour servir a (opu), Alger, 1923, p50. l'historique d'Ouargla1885, R .A N°64, 3° et 4° Trimestre,

(2) –ابن خلدون: المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت ، ص255.

وحسب جون ليون في القرن السابع عشر الميلادي، كان بورقلة تجار أجانب من قسنطينة، وتونس يصلون ببضاعة الشمال التي تقايض ببضاعة أرض السود[3] وكان بها أمير يملك 200 حصانا و 150 ألف دوكات.[4]

أما وادي ريغ فهو تجمع أخر للقرى، وتقع إلى الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي وهي الأقرب من الزاب، وهي عديمة المياه حسب شو(Shaw)، بالرغم من أن ليون الإفريقي قال العكس، حيث أن الأهالي يحفرون الآبار وهي أرض غنية بالمياه[5] حيث يوجد مثل شعبي" بحر تحت الأرض".[6] بعد تقرت تأتي انقوسة ثم المدينة الأكثر شعبية[7] وهي ورقلة وحسب شو (Shaw) فإن سكانها ترجع أصولهم إلى الجيتول والغرامانت (وهم سكان إفريقيا القديمة) والمتوزعين على جبال الأطلس والتل، بني ميزاب، وادي ريغ، ورقلة، فزان وغدامس والقبائل البدوية التابعة لهم والمتناثرة عبر الصحراء.

وبها مجموعة من القبائل مثل الشعانبة، سعيد عتبة، مخادمة ، بني ثور، كان بينهم صراع دام أحيانا نتيجة إثبات الوجود أو تضارب المصالح، وتحالفات مختلفة أحيانا أخرى، وأهم فروعها: بني براهيم ، بني سيسين وبني واقين، وبني توجين.

وتبدأ حفلات الزواج في ورقلة، بفصل الخريف، ولعله الفصل الأكثر اعتدالا بالرقصات الليلية وتلقب بالزناتية "تاكوكا"[1]، كما تحتفل كذلك بعاشوراء ومحرم بالنسبة للتقويم الهجري، فكل قبيلة تختار وقت عرسها، وغالبا ما يكون في بداية الشتاء والربيع ويلاحظ أن عدد النساء يكون أكبر من عدد الرجال، وخاصة في زيادة المواليد أو الجنائز التي تسببها التهم(مرض) ولم يكن مولد الأنثى بالأمر

---

(3) - Léon L'Africain, opcit, p 99.

(4) – وهي نقود عموما من الذهب أصلها إيطالي مختلفة حسب كل بلد، وأول من صكت هاته العملة هي البندقية في القرن الثالث عشر الميلادي. . ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني1792-1830، م و ك الجزائر، 1984،ص 197.

(5) – تكاد تكون المياه على بعد خمس أو ستة أمتار ومازالت محل قلق لدى السكان لقربها من سطح الأرض.

(6) - Thomas Shaw, op cit,p 401.

(7) - Barges(P.) : Tableau de la dynastie de Beni Djellab, Sultans de Touggourt, Paris,1858, p105.

(1) – كلمة زناتية، معناها بالعربية وحسب تفسيرات سكان المناطق الصحراوية، أن الإنسان يكون في حالة هيجان ويزداد كذلك كلما زادت الأهازيج والموسيقى.

المستحب، لأنها تنقص من عزَّة البلد في الدفاع عنها، وكانت هاته الحفلات تسهل على الشباب والفتيات التزاوج فالأنانية والغيرة والرغبة تلعب دورا كبيرا في مثل هذا النوع من الأعراس وخاصة فيما إذا كان بين قبيلتين فيظهر القتال والأنانية الضيقة بين العائلات.[2]

عندما تكون الفتاة في سن الزواج، تلعب الأم دور المرشد في بداية مثل هاته الحفلات وخاصة عندما يبدأ عازف المزمار(الغايطة) في شوارع القصر بالعزف تخرج فتيات القبيلة ليلا ونهارا إلى مكان عام وهو من أهم أحياء المدينة، حيث يبدأن بالرقص ويلبسن أحسن ما لديهن ، ويتجملن وزادهن في ذلك نصائح العجائز أو الصديقات اللاتي سبق لهن، وفي اعتقادهن أن هذا هو طريق السعادة المستقبلية.[3] لأن العادات والتقاليد تمنع الفتيات من الخروج، فبقي هذا السبيل الوحيد للتعرف بهنَّ قصد الزواج.

و "تاكوكا" هي رقصة مميزة حيث يقفن على شكل دائري أو على شكل صف، بحيث أنَّ مرافقهن إلى بعضهن البعض، والأيدي يصعدن من الأسفل إلى الأعلى والعودة، ونفس الشيء بالنسبة للشباب الذين يقفون في الصف المقابل، وعندما تعجبه إحداهن يتقدم إليهن ويضع منديلا من حرير على مرأى الرجال الآخرين وستكون هاته زوجته، ويزغرد النساء فرحة بما قد تمَّ وتعتبر هذه الخطوة الأولى للخطوبة، ثم يتوجه إلى أبويها لطلبها وإتمام أمور الزواج.[1]

وقبل الزواج فإن العريس مطالب أن يبعث لعروسته في الفترة ما بين الخطوبة والزواج، وخاصة في الأعياد الدينية وأحيانا يوم الجمعة الهدايا المتمثلة في: مادة الزيت التي تعتبر أساسية لتجميل الشعر، كما يرسل لحم الماعز أو الإبل ، و إثنان أو ثلاث وزنات من الحبوب من القمح أو الشعير، ومن بين مكونات المهر، زربية بني ميزاب أو ما يسمى "بالفرشية" والحلي حسب القانون العام للقبائل.[2]

---

(2) -La Perrine : Fêtes principales des sédentaires d'Ouargla (Rouagha), R.A,N°53(opu) Alger, p 86.،

(3) - Daumas(E).,op cit, p 35.

(1) – نفس الشيء لاحظته أثناء زيارتي لمنطقة تمنراست، فهذه الطريقة مازالت عند الطوارق لحد الآن.

(2) - Daumas(E).,op cit, p 36.

المبحث الثاني:

مقارنة الرحلات من وجهة نظر المغاربة والجزائريين.

أسهم الجزائريون في كتابة الرحلات، ولا سِيما خلال القرن الثامن عشر الميلادي (القرن الثاني عشر الهجري)، وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج، والتي سميت الرحلات الحجازية وبعضها نتيجة لطلب العلم، والزيارة والإطلاع على البلدان عموما، والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة أحيانا، وهي الرحلات العلمية ولكن الجزائريين، بالقياس إلى كتاب الرحلات المغاربة، كانوا قليلي الإنتاج، ولعل ذلك راجع إلى أن عددا من العلماء الذين توزعوا في العالم الإسلامي لم يرجعوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم.[1]

وأقدم من فعل ذلك عاشور بن موسى القسنطيني المعروف بالفكيرين، فقد نشأ في قسنطينة وأخذ العلم عن والده وغيره من العلماء، ولاحظ عنه عبد

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: الثقافي،ج2، ص395.

الكريم الفكون[2] أنه كان ذكيا، بعد وفاة والده سنة (1054م-460هـ)، فشدَّ **الرحال لطلب العلم في عدة بلدان، وطالت غيبته عن بلاده نحو عشرين سنة، استطاع أن يدوَّن ملاحظاته وآراؤه، وساعده في ذلك تعلم اللهجات ومعرفة قبائل والشعوب التي مرَّ ببلدانها، حيث قصد تلمسان سنة (1055م -461هـ)، والمغرب الأقصى كذلك، ثم "جال في ملك الله إلى أن توغل في أرض السودان ولقي بها أجلة من علماء"[3] وعندما رجع إلى بلاده "أخبر الناس عن الأحداث التي عاشها، وما أخذ عن أولئك العلماء، وحصل منهم على فن القراءات وجانبا عظيما من الأدب"[4] ، واكتفى في سرد رحلته على المشافهة، وهذا ما أكده تلامذته.**

وهناك رحلة عبد الرزاق بن حمادوش التي تعتبر من الرحلات الغير الحجازية المكتوبة[1]. إضافة إلى رحلة الحاج بن الدين الأغواطي إلى الصحراء التي تعتبر من الرحلات الغير حجازية، الذي يعطينا معلومات هامة وخاصة في مجال الجغرافيا فقد جمع بين أخبار الصحراء وقراها وواحاتها وعاداتها والحديث عن جزء من الجزيرة العربية، جربة، قابس، وشنقيط ونحوها، وبعض أخبار تونس التي يكون قد مرَّ بها.[2]

وتعتبر رحلة ابن الدين الأغواطي على غاية من الأهمية، فهي مكتوبة سنة (1826م- 1242هـ) رغم أن بعضهم قد ذكر أن هناك خطأ في هذا التاريخ، وأنه قد كتبها طلبا من قنصل أمريكا عندئذ بالجزائر، السيد وليام هودسون[3]، وهي تقع في كراسة تحتوي على أربع عشرة صفحة، وكان القنصل قد طلب منه

---

[2] –عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني (1580م-1662م) -(988هـ-1073هـ) ، أديب لغوي محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن، وكان عالم المغرب الأوسط في عهده، من آثاره: منشور الهداية في كشف حال من أدعى العلم والولاية، ومحدد السنان في نحور إخوان الدخان، وشرح على البسط والتعريف في علم التصريف وغيرها، وتدل على مؤلفاته واتصالاته على مكانته العلمية في الجزائر وخارجها. علي علواش، مشاهير، مرجع سابق،ص425.

[3] – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق،ص 396.

[4] – نفس المرجع،ص397.

[1] – ولد بالجزائر سنة (1695م/ 1107هـ)، وهو طبيب مشهور، عاش في القرن الثاني عشر الهجري(الثامن عشر الميلادي) بمدينة الجزائر ألف كتبا ورسائل وشاهد حوادث معتبرة في العهد العثماني، له رحلة أسماها" لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والآل"، وتعتبر وثيقة تاريخية مفيدة للتعرف على أحوال المغرب في العصر العثمانيين توفي سنة (1791م/ 1205هـ). . أبو عمران الشيخ:عبد الرزاق بن حمادوش، مشاهير، مرجع سابق ،ص163.

[2] – سعد الله، الثقافي،ج2، مرجع سابق، ص398.

[3] – جاء إلى الجزائر سنة (1825م-1241هـ) لكي يساعد شيلر في مهمته كقنصل عام لبلاده، كان عالما باللغات الشرقية، بقي سنة (1829م-1245هـ)، أتقن فيها العربية والتركية، وتعرف على البربرية، وجمع المعلومات عنها وقارنها بما كتب عنها الأولون، وتعرف هودسون على الحاج ابن الدين الأغواطي بين سنوات (1825م-1829م) (1241هـ-1245هـ). نفس المرجع،ص398.

المزيد والتفصيل، لكن ابن الدين اكتفى بذلك القدر، وترجمها القنصل إلى الانكليزية ونشرها. ثم ترجمها السيد دافيزاك إلى الفرنسية عن النص الانكليزي.[4]

وقد استعملها الأوروبيون والأمريكيون كمرجع أثناء اهتمامهم بالصحراء ومحاولة اكتشافها، من هذه المعلومات التي كتبها الحاج ابن الدين عن قراها وعاداتها أهلها ومسالكها، وإذا كان ما نشر من هذه الرحلة حتى الآن مهما، فإن أهم منه هو العثور على الرحلة كاملة، إذا كان ابن الدين قد تابع الكتابة عن مغامراته وإطلاعا ته في المشرق والصحراء.[5]

و أخذت الرحلات الحجازية نصيبا وفيرا من الكتابات الشعرية والنثرية نتيجة التعلق الروحي بالأماكن المقدسة، ولهذا كانوا يسجلون عواطفهم وأحاسيسهم الدينية والروحية، لما تحظى هاته الأماكن من مكانة عند سكان المغرب، ولازالت هاته الظاهرة إلى يومنا هذا محل إعجاب لدى المشارقة.[1]

والملاحظ أن الرحلات الشعرية معظمها من الغرب الجزائري، فهذا قد يرجع لتأثير المغرب الأقصى آنذاك، وظهور مدينة تلمسان التي كانت من الحواضر العلمية والدينية في ذلك الوقت، وكان بعض هاته الرحلات مكتوباً بشعر فصيح وبعضها بشعر ملحون، ومما كتِب بالفصيح قصيدة المجاجي[2] الذي نظم رحلته من مجاجة إلى مكة المكرمة في قصيدة مطولة سنة (1652م-1063هـ)، والتي صور فيها رحلته من الغرب الجزائري حتى البقاع المقدسة، وذكر فيها مناطق عديدة من الصحراء وهي تبدأ على النحو التالي:

نشق الفيافي فدفدا بعد فدفد ***جبالا وأوعارا وأرضا وطية.

---

[4] –سعد الله، نفسه،ص 399.

[5] – نفسه، ص400.

[1] – سعد الله، المرجع السابق،ص 401.

[2] – هو عبد الرحمان بن محمد الخروب المجاجي، نسبة إلى مجاجة بالقرب من الشلف.

فبتنا بواد قد يسموه أهله *** بفاطمة الزهراء بيت الرسالة

وأبيار عزفان شربنا من مائهم *** وبتنا تجاه البئر عند الرميلة

وثم نزلنا معطنا بمياهه *** يسمى خليصا عند كل قبيلة.[3]

وسنأتي الآن إلى وصف الرحالة المسلمين للمدن والقرى الجزائرية فيقول الحموي[1] أن مدينة "بسكرة هي جزء من بلاد الزاب[2] بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وعليها سور وخنادق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس من التمر منها جنس بالكسبا وهو الصيحاني[3] يضرب به المثل لفضله على غيره وجنس آخر يعرف بالياوي أبيض أملس"، ويلاحظ أنَّ مدينة بسكرة محمية بخندق وأسوار، وهذا النوع من التحصينات الأمنية سواء بحفر الخنادق أو بناء الأسوار وهي طرق لحماية المدينة من الجانب

---

[3] – تسمى القصيدة برحلة المجاجي، وهي موجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 1564 و1565، وبها نسختين بخطين مختلفين، عدد أوراقها 11، والمقياس 235×168مم، حالة المخطوطين لا بأس بهما.

[1] - ياقوت الحموي (1178 م- 1229 م) (574 هـ/ 626 هـ) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب.أصله من الروم. أسر من بلاده صغيرا، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وشغله بالإسفار في متاجره، ثم أعتقه (سنة 596 هـ) وأبعده.فعاش من نسخ الكتب بالأجرة.وعطف عليه مولاه بعد ذلك، فأعطاه شيئا من المال واستخدمه في تجارته فاستمر إلى أن توفي مولاه، فاستقل بعلمه، ورحل رحلة واسعة انتهى بها إلى مرو (بخراسان) وأقام يتجر، ثم انتقل إلى خوارزم.وبينما هو فيها خرج التتر (سنة 616) فانهزم بنفسه، تاركا ما يملك، ونزل بالموصل وقد أعوزه القوت، ثم رحل إلى حلب وأقام في خان بظاهرها إلى أن توفي.أما نسبته فأرجح أنها انتقلت إليه من مولاه عسكر الحموي.من كتبه " معجم البلدان " و " إرشاد الأريب " ويعرف بمعجم الأدباء، و " المقتضب من كتاب جمهرة النسب " و " المبدأ والمال " في التاريخ، وكتاب " الدول " و " أخبار المتنبي " و " معجم الشعراء " . خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ثمانية أجزاء ط الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت،1980،ص130 .

[2] – أخذ هذا الإسم من مدينة زابي(Zabi) الرومانية القديمة التي كانت تقع في منطقة الحضنة. بلحميسي : المغاربة مرجع سابق،ص 17.

[3] – هناك العديد من أنواع التمور ويسمونها الأهالي بعدة تسميات مثل:"البسر، اقوجيل (اليتيم)، بنت قبالة، المنقر، دقلة نور، الغرس، ويضيف مياسي في ذكره لأنواع النخيل تمرجرت قندي، فاخت،رشتي،تاشلويت، تانسيلت،كسباية،تاورخت، تمزريط، تنسين، تازوفين، تفرازايت، تكرمست وغيرها.". تصريحات شفاهية لأهالي هاته المناطق. وكذلك مياسي،مرجع سابق،ص 87.

واللصوص، وهذا دليل كاف على انعدام الأمن والاستقرار.[4] و لكي لا تكون عرضة للنهب والسرقة.

وكانت بسكرة مقصد العلماء والفقهاء، وتتبع المذهب المالكي حيث يقول أن بسكرة "دار فقه وعلم كثير وفيها العلماء وأهلها على مذهب أهل المدينة"، ولها من الأبواب، باب المقبرة، باب الحمام، وباب ثالث يسكنه المولدون، وحولها من قبائل البربر سدراتة[5]، وداخل بسكرة آبار عذبة منها في الجامع بئر لا تنزف وداخل المدينة جنان يدخل إليها الماء من النهر، ولها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل".[1] وهذا يعني أنها منطقة غنية بالمصبات المائية، القادمة سواء من سفوح جبل الأوراس، أو الأدوية القادمة من الصحراء

أما البكري[2] يصف العاصمة القديمة للزاب"بسكرة" أنها "مدينة النخيل، ومحمية بصور قديم وبخندق، وهي محاطة بالبساتين، وتنتج أجود أنواع التمور والزيتون والتين. وبها الكثير من الآبار للمياه الجوفية العذبة، وعلى مقربة من المدينة بها جبل من الملح.[3] فهو لم يختلف عن وصفه عن الحموي، وعلى العموم فقد أجمعا على أنها مدينة حصينة تعتمد على إنتاج التمور وإستخراج الملح، وتتوفر على كميات معتبرة من المياه.

---

[4] –الحموي ياقوت: معجم البلدان، تح: وستنفيلد، ج 03، بيروت، ص120.

[5] - Van Berchem(M.) : Sedrata, une au moyen age, Alger, 1953, p55.

[1] – الحميري محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور، أبو عبد الله: الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق: إحسان عباس، الناضر مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، 1980، ص 84.

[2] – هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الاندلسي، أبو عبيد، متوفي سنة (1094م-487 هـ) مؤرخ جغرافي ثقة.علامة بالأدب، له معرفة بالنبات.نسبته إلى بكر بن وائل.كانت لسلفه إمارة في غربي جزيرة الأندلس.وقيل: كان أميرا، وتغلب عليه المعتضد.وقال الصفدي: " كان ملوك الأندلس يتهادون مصنفاته، وكان معاقرا للراح، مدمنا، يكاد لا يصحو " ولد في شلطيش (Saltes غربي إشبيلية) وانتقل إلى قرطبة.ثم صار إلى المرية، فاصطفاه صاحبها (محمد بن معن) لصحبته ووسع راتبه.وهذا ما حمل بعض المؤرخين على نعته بالوزير.ورجع إلى قرطبة بعد غزوة المرابطين فتوفي بها عن سن عالية.له كتب جليلة، منها " المسالك والممالك " غير كامل، طبع جزء منه باسم " المغرب في ذكر إفريقية والمغرب " وقطع خاصة بالروس والصقالبة، و " معجم ما استعجم " أربعة أجزاء، و " أعلام النبوة " و " شرح أمالي القالي " و " التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه " و " فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لابن سلام " و " الإحصاء لطبقات الشعراء " و " أعيان النبات" وله " رسائل " بعث بها إلى بعض معاصريه، وإنشاؤه مسجوع على طريقة كتاب زمانه . خير الدين الزركلي: مرجع سابق،ص165. وبلحميسي، المغاربة، مرجع سابق ،ص46.

[3] – ابن عبيد البكري: المعرب في ذكر افريقية والمغرب، تح: دوسلان، الجزائر،1857،ص 177.

وكانت بسكرة مركز تجاري هام، حيث تمر عليها قافلة مراكش"الركاب" والتي يستريح بها الحجاج أثناء الذهاب والإياب، والبضائع المتداولة على سوقها هي الجلد المدبوغ وزرابي فاس بكمية كبيرة، جلد العجل المدبوغ، بعض الشعر(الوبر)، وبعض السلع اليومية التي تتم مقايضتها مع الحجاج القادمين بالعطور، ونسيج الهند والملابس الفاخرة.[4]

وتوقفت قوافل مراكش من عبور تراب الجزائر بحيث أصبح الحجاج يعبرون الطريق إلى البحر عن مصر، منذ سنة (1830م-1246هـ).بسبب انعدام الأمن والسيطرة الفرنسية، على المناطق التلية المحاذية للصحراء.

ويقول العياشي في القرن السابع عشر الميلادي، أن بسكرة التي زارها سنة (1662م-1073هـ) أنها "مدينة كبيرة لمدن محيطة بها بالنسبة لبايليك الشرق وقال:"التجارة حية وهي ملتقى التجارة من التل أو الصحراء"، فإضافة إلى أهميتها الاقتصادية وموقعها الاستراتيجي، كان لديها بعض المشاكل في الوجود التركي.[1] ولعل هذه المشاكل اقتصادية بحتة متمثلة في الجباية والضرائب الباهظة التي أنهكت كاهل السكان.

فالزاب عبارة عن ثلاث (03) مناطق متميزة ولكنها متصلة: الزاب الظهراوي والزاب الشرقي والزاب القبلي، فالزاب الظهراوي هي المنطقة التي تقع فيها طولقة وليشانة وبوشقرون وفوغالة، وكلها تعتمد في اقتصادها على النخيل فهي تنتج أجود أنواع التمور، ويذكر ابن خلدون مدنها التي تصل إلى مائة قرية وتحمل كل منها اسم الزاب، فيقال زاب طولقة، زاب بسكرة،[2] كما ذكر الحسن بن محمد الوزان خمسا وعشرين مدينة،بالإضافة إلى عدد كبير من القرى.[3] وهو نفس التقسيم الذي ذهب إليه الدكتور شو.

وذكر ابن حوقل طبنة أنها "مدينة قديمة كبيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير، ولها سور من طابية[4]"، وتحدث عنها أبو عبيد البكري فقال عنها أنها:"مدينة كبيرة سورها اليوم من بناء المنصور أبي الدوانيف، وهي مما افتتح موسى

---

(4) : R.A.C, juin1860.)p100.) Le commerce et la navigation de L'Algérie - F.élie de la Primandie

(1) - F.élie de la Primandie , op cit, p101.

(2) – مولاي بلحميسي: المغاربة،ص 85.

(3) - إسماعيل العربي: الصحراء ، مرجع سابق،ص130.

(4) – ابن حوقل: صورة الأرض، طبع دار الحياة،، بيروت، ص. 122.

بن نصير فبلغ سبيها عشرين ألفا وهرب ملكهم كسيلة[5]... ويقال أن الذي بناها أبو جعفر بن حفص الملهبي المعروف بهزارمرد...".[6]

ووصف الإدريسي[1] طبنة، وتحدث عنها بإسهاب، وألح خصوصا على أهميتها التجارية، وقد جاء من ضمن هذا الوصف قوله:"وطبنة مدينة الزاب، وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير وعليها سور من تراب وأهلها أخلاط...والتمر بها كثير، وكذلك سائر الفواكه".[2]

وقد نسب ياقوت الحموي إلى طبنة عددا من العلماء والأدباء والأفاضل، كما تعرض الإدريسي عن وارجلان فوصفها بالعبارات التالية:"وهي قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونهم في بلادهم بإسمها، وهم وهبية أباضية[3] نكار خوارج في دين الإسلام من وارجلان إلى غانة 30 مرحلة، ومن وارجلان إلى قفصة 13

---

[5] – هو كسيلة بن لمزم الثقفي، من ملوك البربر قبل انتشار الإسلام في المغرب، كان على خلاف كبيرا جدا مع عقبة بن نافع الفهري، الشيء الذي جعله يكِن له الحقد والكراهية فقتله عندما كان عقبة راجعا على رأس سرية في موقع تهودا واستشهد فيه مع أبي مهاجر دينار الذي كانت له علاقة ودية مع كسيلة . مشاهير، مرجع سابق،ص 460.

[6] –البكري، مصدر سابق، ص179.

[1] - محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الحسني الطالبي، أبو عبد الله من أدارسة المغرب الأقصى، ولد في سنة (1100م-493 هـ) بسبتة ، مؤرخ، من أكابر العلماء بالجغرافية.ونشأ وتعلم بقرطبة.ورحل رحلة طويلة انتهى بها إلى صقلية، فنزل على صاحبها روجار الثاني (Roger II) ووضع له كتابا سماه (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق) أكمله سنة (1153م- 548 هـ)، وهو أصح كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوروبا وإيطاليا، وكل من كتب عن الغرب من علماء العرب أخذ عنه.وقد ترجم إلى الفرنسية ترجمة كثيرة الخطأ (كما يقول سيبولد، في دائرة المعارف الإسلامية) وترجم إلى اللاتينية والانكليزية والألمانية، وطبعت منه بالعربية خلاصات. وللإدريسي أيضا (الجامع لصفات أشتات النبات) استفاد منه ابن البيطار، و (روض الانس ونزهة النفس) ويعرف بالممالك والمسالك، بقي منه مختصر في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا في الآستانة، و (أنس المهج وروض الفرج).قال الصفدي: كان أديبا ظريفا شاعرا (مغرى بعلم جغرافيا) وللمهندس البغدادي المعاصر أحمد سوسة (الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية) ويرجح أن وفاته في سبتة سنة (1165م- 560 هـ). . خير الدين الزركلي ،ج 4،مرجع سابق، ص120.

[2] – الشريف الإدريسي: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، تح: دوزي ودوخوية، ليدن،1864، ص 229.

[3] - مؤسسها الأول عبد الله بن أباض من بني مرة بن عبيد بن تميم ، ويرجع نسبه إلى أباض وهي قرية العارض باليمامة، وعبد الله عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان، سنة (705م- 86هـ). والذي بث الدعوة وقام بنشر المذهب الأباضي بالمغرب الكبير هو سلمة بن سعد، وانتشر المذهب الأباضي في اغلب البلدان الإفريقية كالجريد وبلاد ريغ وبلاد الزاب ونفزاوة وفزان ووادي ملوية وسجلماسة وطرابلس وغدامس والقيراون وجبل أوراس وبلاد نفوسة وجربة وغيرها مما هو مسطر في كتب التاريخ ولهم دولة قائمة بالعدل تحكم بالكتب والسنة في اليمن وعمان وزنجبار وطرابلس وتيهرت. بوقيروس أحمد: الحركات الإصلاحية في إفريقية جنوب الصحراء، إبان القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي؛ رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر-قسنطينة؛ 2001م،ص 102.

مرحلة"[4]، و تعرض الحسن بن محمد الوزان لوصف وارجلان (التي يسميها غرغلة) في القرن السادس عشر الميلادي، فقدم لنا صورة لا يبدو أنها تغيرت، وقال أنها:" مدينة بناها النوميديون في صحراء نوميديا، ولها سور مبني من الطوب غير المكوي ولها بيوت جميلة، وحولها بساتين...والقمح قليل في المدينة، ويستهلك الناس لحم الإبل والنعام".[5]

وقال العياشي أنه دخلها ونزل ببابها المسمى"باب السلطان" وصادف "قافلة من أعراب الأرباع"، مثل الإدريسي والحسن الوزان وصف العياشي سكان ورقلة بالثراء وحسن الحال والكرم.[1]

كما زار العياشي سنة (1663م -1074هـ) ووصفها تقريبا بما وصفها مولا أحمد فقال:"لم أجد قط شرقا ولا غربا أي مدينة أجمل من بسكرة...بها الكثير من التجارة والصناعة"[2]، أما تودا وتهودا أو تيودا، فهي مجمع من المساكن مبينة بحجارة رومانية، وصناعة السكان الهامة هي صناعة البارود(غبرة).

ووصفها ليون الافريقي:"إيالة بالقرب من صحاري نوميديا، بدايتها من مسيلة وتنتهي عند شط ترامونتان، عند سفح جبل مملكة بجاية...بلد التمور التي تصدر إلى إيالة تونس... وتتوسطها صحراء عند ذهابنا إلى تقرت قريبة إلى غرغلة يقسمها أهلها إلى ثلاثة فروع حسب موقعها الجغرافي وهم الزاب الظهراوي(الشمالي) الزاب القبلي (الجنوبي) والزاب الشرقي كل هاته التقسيمات مكوَّنة من قرى ومدن هي: "[3]

---

[4] – الحموي، مصدر سابق، ص 130.
[5] – المصدر نفسه،ص241.
[1] – العياشي، مصدر سابق،ص77.
[2] – نفس المصدر، ص93.
[3] : Voyage d'Alger aux Ziban l'ancienne Zbe en 1847.impr du gouvernement, Alger, p 199. –Guyon (M.)

هاته التقسيمات أغفلها الدكتور شو من ذكر لإحصائيات دقيقة حول تعداد الأشجار، لكنه ذكر بأنها غنية بأشجار النخيل، وجاء قيون بعده في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ليذكر بالتدقيق عدد الأشجار التي تعطينا صورة حية عن الحياة الاقتصادية في المنطقة.

	القرى والمدن	عدد النخيل	عدد السكان
الزاب الظهراوي	*العمري	9000	200
	*البرج	33000	100
	*فوغالة	40000	؟
	*طولقة، فرفار	15000	100
	*زعاطشة،ليشانة،بوشقرون	21000	؟
	*فلاوش		؟
الزاب القبلي	*ليونة	14000	؟
	*سهيرة، مخادمة	18000	؟
	*بن تيوس،زاوية العابد	43000	250
	*أورلال، مليلي	1200	؟
	*بيقو، فيلياش	120000	؟
	*أوماش	2000	150
	*كورة بسكرة، سيد عقبة		
الزاب الشرقي	* الوطاية، برانس، شتمة	500	؟
	*قراتا، سريانة،تهودا ، سيدي خليل، عين الناقة	1200	؟
	*زريبة الوادي		؟
	*بادس،ليانة		؟

	*الحنقة	1200 6100	؟

جدول يمثل تعداد أشجار النخيل بمنطقة الزاب والتي تقدر بـ ثماني وأربعون مليون وثلاثة الآلف ومائتان (483200) نخلة و ثمانمائة (800) ساكن حسب إحصائيات 1847م الموافق لـ1264هـ.

المصدر GYUON(M.) :Voyage d'Alger aux Ziban, l'ancienne Zèbe en1847 imp du Gouvernement, Alger,1852.

الجهة	عدد أشجار النخيل حسب كل زاب	عدد السكان
الزاب الظهراوي	253000	400
الزاب القبلي	213200	400
الزاب الشرقي	17000	لا توجد إحصائيات

* جدول يبين تعداد أشجار النخيل حسب كل زاب ،(إحصائيات سنة 1847م-1264هـ).

المصدر: GYUON(M.) :Voyage d'Alger aux Ziban, l'ancienne Zèbe en1847,imp du Gouvernement, Alger,1852.

عند ملاحظتنا للجدولين وهما لمنطقة واحدة ، وهي منطقة الزاب ، فنجد أن هاته المناطق غنية جدا مثلما ذكر المؤرخون العرب، بالنظر إلى تعداد أشجار النخيل وتعداد السكان، فهذا دليل على أن أهل الزاب يعتنون كثيرا، بهاته الزراعة لأنَّها مورد رزق هام وهذا يفسر كذلك أنها المورد الاقتصادي الرئيسي، نظرا لتوفر المياه، كما ذكر الدكتور شو من تعدد المصبات المائية التي ذكرها الحموي والإدريسي، والتي تغذي المنطقة وتنوعها دليل على هذه الوفرة.

المبحث الثالث: تحليل الجانب الاجتماعي.

إن ما نلاحظه من خلال استعراضنا لما كتب الدكتور شو(Shaw) في وصفه لإقليم الزاب، والذي كان يعتمد في كل مرة على ليون الإفريقي وبتولمي[1](Ptolemy) وهذا يعني أنه قبل أن يقوم بهاته الرحلة كان لديه الكثير من المعلومات عن إيالة الجزائر، وأنه كان على علم بما سيصادفه، ولا ندري هل اكتفى بوصفه هذا دون أن يذكر التركيبات، والحياة الاجتماعية وما فيها، واكتفى بذكر زاوية سيدي خالد والقول بأنه يعظمون رجال الدين حتى أنه وصفهم بالرسل وهذا دليل على ما يحظى به رجال الزوايا.

فمن المعلوم أن هاته الزاوية من أتباع الطريقة الرحمانية[2]، إضافة إلى الطرق الأخرى كالتيجانية وطريقة البكاوية (أحمد بن البكاي) والسنوسية[3] والقادرية المنتشرة في الصحراء، التي كان لها الأثر الكبير في المحافظة على الكيان، ونشر تعاليم الدين الإسلامي ويعود الفضل لها في نشر الإسلام في إفريقيا الوسطى، واستفاق الغرب إلى خطر هاته الطرق الصوفية، فبدأ بإرسال رجال الدين الأوروبيين لنشر الديانة المسيحية[4] ، والملاحظ أن الغرب استفاق على هذا النهج من التفكير إلا في القرن التاسع عشر الميلادي، فبدأ بإرسال موفديه إلى الصحراء بالرغم أن كل المغامرين المبشرين، والرحالة وأصحاب المهام كانوا يغتالون في كل مرَّة إلا أن عزائمهم لم تكل وأمثال ذلك فلاترس(Flatters)

---

(1) –Shaw,op cit, p402.

(2) – نسبة إلى عبد الرحمان الأزهري الجرجري القشتولي، وهي طريقة متفرعة عن الخلوتية، لها أتباع ومريدين عبر كامل التراب الوطني،دافعت من أجل الحفاظ على كيان المجتمع الجزائري، وقاومت الاستعمار الفرنسي، في مقاومة المقراني والشيخ الحداد، أوي القاسم سعد الله،الثقافي، ج 3 ،مرجع سابق، ص154.

(3) – أنشئت الزوايا السنوسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، بجبل أبوقبيس قرب مكة المكرمة، على يد المعلم الأول والمؤسس والمنظم محمد بن علي السنوسي، الذي ولد سنة (1787م-1203هـ)قرب مستغانم ، وتوفي بجغبوب بليبيا سنة (1859م-1276هـ) وتولى بعده الابن البكر للمؤسس وهو محمد المهدي (1844م-1902م)(1260هـ-1320هـ)، الذي هاجر بالطريقة إلى الصحراء الكبرى من أجل الجهاد، وأزعجت الحركة السنوسية التوسع الاستعماري الايطالي والفرنسي في الصحراء الكبرى، وكذلك التواجد البريطاني في مصر والسودان. مياسي، مرجع سابق،ص366.

(4) –إسماعيل العربي، الصحراء،مرجع سابق، ص 133.

الـمغتال سـنة (1881م-1299هـ) صاحب مشروع السكة الحديد **(انظر الخريطتين رقم 05 و 06)** و اليكساندرا تيني(Alexandrine Tinné) المغتالة سنة(1869م -1286هـ) ودفوكو (De Foucauld) المغتال سنة (1916م-1334هـ).

وقال الكاردينال لافيجري(Lavigerie)[1] :"في هذه الساعـة يـوجد ثلاثـة من المبشرين من رجالنا في بلاد الطوارق، وعما قريب سوف يدخـلون إلى تمـبكتو في عزم وتصميم ليستقروا في عاصمة السودان أو يلقوا حتفهم حبا في الحقيقة"(الثلاثة الذين قصدهم لافيجري هم الآباء بوليمي(Paulmier)، ومينوريه(Minoret) وبونشان(Bonchamp)، وبالفعل قتلوا من طرف الطوارق)[2]، من أجل نشر الروح الصليبية الهادفة لمحاصرة المسلمين، وتطويق العالم الإسلامي وتقوية المماليك المسيحية إضافة إلى البحث عن أمراء مسيحيين، ومازالت هاته الطرق الصوفية تعمل على ما بدأت به حتى الوقت الحالي.

ولاحظ الشيخ أحمد البكاي الذي كان يخشى من زحف النفوذ الفرنسي الذي بدأ يضيق الخناق على المنطقة منذ فترة تمهيدا لاحتلالها، ففي الشمال احتلت الجـزائر (1830م- 1246هـ) وفي الجنوب، والجنوب الغربي بدأ الاحتلال الفرنسي الاستيطان في السنيغال، وامتد نفوذه إلى الإمارات الحسانية العربية على ضفاف نهر السنيغال وشواطيء الأطلسي ، فاستشف الشيخ من مجمل هذه الأوضاع، ومن نقاشاته ومحاوراته الطويلة مع الدكتور هنري بارث(Henri Barth) احتدام الصراع على المنطقة بين الإنجليز والفرنسيين فأراد أن يستفيد من هذا الصراع، لحماية منطقته من الخطر الفرنسي القريب والداهم، ولم يخش الإنجليز ففي رأيه أنهم بعيدون نسبيا ولا يخشى من أطماعهم، ربما بسبب علاقاتهم الودية في ذلك الوقت مع الباب العالي الذي هو مقر الخلافة

---

[1] Charles Lavigerie، ولد سنة (1825م-1241هـ) ببايون بفرنسا، من أخطر المبشرين، أسس سنة (1868م-1285هـ) جمعية المغامرين الإريقية والمساة بالآباء البيض(Pères Blancs)، كان يكره العبودية، توفي سنة (1866م-1283هـ). Larousse,op cit, p 1459. .

[2] – إسماعيل العربي، الصحراء، مرجع سابق، ص 135.

الإسلامية، فكان موقفه مصدر اطمئنان ، إلا أن ظروفا دولية، وإقليمية، ومحلية طرأت وغيرت بعض التحالفات، الأمر الذي منع جهود الشيخ مع الإنجليز أن تؤتي ثمارها، وبالتالي لم يتدخلوا في الوقت المناسب لوقف الزحف الفرنسي على المنطقة.[1]

و لم يكن العامل الديني وحده عامل تماسك بل هناك عوامل أخرى حافظت على المجتمع الجزائري، ولولا تكامل تلك العوامل جميعا لآل الأمر إلى مآل إليه الهنود الحمر في بلدهم الأصلي، وأصبحوا غرباء في موطنهم من جراء عملية الاستيطان، وعايشوا العبيد المجلوبين من القارة الإفريقية.

ونجد شو(Shaw) أيضا، يحدد بالتدقيق الموقع الجغرافي لمنطقة الزاب، وبُعد بعض المناطق عنها فعلى موقع مائة (100) مكان في خط الطول من الشرق إلى الغرب و75 مكان في خط العرض من الشمال إلى الجنوب، وأغلب مساحاتها جبلية محاطة بها.[2] بمعنى أنها منطقة حدودية لجبال الأوراس

كما يصف مدنها ويذكرها بأسمائها ذكرا دقيقا وبالتفصيل، وعلى ما يبدو أنه مكث طويلا بمنطقة الزاب، والمدن هي كالتالي:" سيدي خالد، أولاد جلال، العمري البرج، طولقة (تيولاشا المسماة من طرف بعض الجغرافيين) فرفار، زعاطشة، لجناح بوشقرون، بسكرة، شتمة، تهودا، وسريانة " هاته القرى متباعدة نوعا ما بالإضافة إلى " ليوه، سرية، محادمة، بانتوز، أورلال، جسبانة، بيقو، مليلي، أوماش، أومليح حنة سيدي عقبة، قرطة، ليونة، زريبة الواد، زريبة الحامد، قصير الرومانة،وبادس ".[3]

ويركز على المنابع المائية والمسطحات المائية بحيث وجد أن بسكرة تعدد منابعها مائها منها ما هو من السفوح الجبلية التلية مثل مدينة الدوسن، ومنها ما هو

---

[1] – عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص153.
[2] –Shaw,op cit, p396.
[3] – Ibid, p397.

قادم من أودية الصحراء، وهناك من تقع على سفوح جبال الأطلس فهي تتغذى من وادي جدي ومصبه نحو الجنوب الشرقي، حتى شط ملغيغ.

ولا ندري ما هو مقياس الغنى (الثراء) عند شو(Shaw) فلقد وصف "ليونة هي أكثر غنى من كل المدن التي ذكرناها، والتي فيها يضع العرب الأحرار(يعني البعيدين عن مركز الدولة العثمانية) نقودهم وأشياءهم الثمينة، فهذه المدينة تحت حماية أولاد صولاح، وهي قبيلة كبيرة ولها بطولات، بحيث أنها تحافظ على استقلالها، رغم محاولات الجزائريين لإخضاعها"[1]، وفي بعض الحيان يتطرق إليها، ويصفها بأنها أقدم المدن في المنطقة، لا ندري أزارها أم بحكم قربها عرف عنها فهو يذكر تقرت[2] انقوسة بني ميزاب والتي يقول فيها"أنها مجموعة من الجزر الخضراء والخصبة والمحاطة بصحراء شاسعة".[3]

و ذكره لورقلة أنها كانت تابعة لإقليم الزاب، فهو يقول أنَّ بها ثكنة في بسكرة مجهزة بستة مدافع صغيرة، والتي توحي بالتواجد التركي[4]، لكن في رواية أخرى يذكر ورقلة بأنها في حقيقة الأمر هي بعيدة عن بسكرة في حد ذاتها، ويفصلها فيافي وصحراء قاحلة، فهي لم تخضع إلى الحكم العثماني فيما عدا الحملة التأديبية التي قام بها الباي صالح رايس[5] ، أحد مساعدي خير الدين وأقربهم ثقة ، فبعد وفاة خير الدين، ارتقى من مجرد قائد سفينة بحرية إلى أميرال باشا لأسطول السلطان، ومجيئه للجزائر في وقت كان أمراء تقرت وورقلة وهم من رجال القبائل العربية

---

(1) –Shaw, op cit, p397.

(2) – عاصمة وادي ريغ بين ميزاب غربا ووادي سوف شرقا، يختلط تاريخها بتاريخ قبيلة ريغة سنجة وبني افرن وبالحروب بين اغنية والموحدين، وعرفت تقرت حكم بني مزني، وحكم بني عبيد الله وبني جلاب وسطوة الأتراك منذ صالح رايس إلى أن دخلها الفرنسيون سنة(1844م-1260هـ) . بلحميسي، المغاربة، مصدر سابق ،ص 90.

(3) –Shaw, op cit,p 398.

(4) -Ibid, p 399.

(5) –صالح رايس انصب اهتمامه أثناء حكمه للجزائر(1552م-1556م /959هـ963هـ) على إقرار النظام والقضاء على التمردات وتوسيع نفوذ السلطة في أقاليم الجنوب، مات إثر مرض الطاعون الذي اجتاح الجزائر عن سبعين عاما.. ناصر الدين سعيدوني: صالح رايس ، مشاهير ،ص316. وكذلك جون ب. ولف: الجزائر وأوروبا تر: أبو القاسم سعد الله،م و ك، الجزائر 1986،ص70.

على حدود الصحراء، يعتقدون بأنهم أحرار غير خاضعين للحكم التركي، وبالتالي رفضوا دفع ضريبة الاعتراف بها وخشي الأتراك منهم بانتقال التمرد إلى باقي

المناطق، حيث أنَّ دفع الضريبة لم يكن محبذا لدى السكان [1]، وتمكن صالح رايس من إخضاعهم لعدم تساوي القوتين، ورجع صالح رايس إلى الجزائر بخمس عشرة جملا محملين بالذهب وغيره من الغنائم المؤلفة من الأقمشة والجواهر والجلود بالإضافة إلى الحيوانات وخمسة الآلاف عبد من الزنوج ونرى أن هذا العدد مبالغ فيه فإذا كان هذا تعداد الزنوج ، فما هو تعداد الجيش، دون أن نحسب الذين قتلوا، أو أنهكهم التعب والعطش، إضافة إلى ذلك أنه واجه تمرد آخر من طرف رجال كوكو لكنه وضع حد لهذا التمرد بنفس الطريقة مثل الحد من تمرد الجنوب.[2]

ونجد أنَّ البربر هم أوَّل من سكنوا هاته المناطق، وخاصة ورقلة، نظرا لتوالي الهجمات البحرية على الجزائر، فإن جل السكان ظلوا فارين من الاضطهاد والحكم الاستعماري المتوالي على البلاد، وهكذا برزت كراهية لدى الأجنبي القادم من وراء البحار ولا زال هذا الشعور حتى وقتنا الحاضر، فاختاروا هاته المناطق واستقروا بها لأنها كانت ملاذا لهم لصعوبة العيش فيها، والوصول إليها.

لكن ما نخلص إليه هو أن الصحراء كانت مزيجا من السكان تجمعهم عوامل كثيرة كاللغة والدين، والمصير المشترك، كما أن العصبية تحافظ على الجنس في حد ذاته، مثل الطوارق على تعدد بطونهم فهم ينتشرون(**انظر الصورتين رقم 05 و 06)** من ليبيا الجزائر إلـى النيجر مالي، وتشاد، ولكثرة انتـشارهم عبر

---

(1) - Bison(J.) : Le Gourara, étude de géographie humaine, ALGER, Bull de l'IRS, 1957,p 66.

(2) –جون ولف،المرجع السابق،ص70.

الصحراء يصعب تحديدهم جغرافيا[3]، ونفس الشيء بالنسبة لبطون أولاد نائل والتي تبدأ من جهة بوسعادة ، والجلفة والأغواط حتى مشارف بني ميزاب[1]، ومن وادي ميزاب إلى مدنه السبعة الشهيرة إلى منطقة سدراتة بورقلة وحتى تماسين، فنجد أن نظام العزابة[2] وجد أول الأمر في هاته المنطقة.

---

[3] - القشاط محمد سعيد:التوارق،عرب الصحراء الكبرى، دار المحيط العربي، د م ط، دت.ص ص 15-19.

[1] - Fromentin(E.) : un Eté dans le Sahara, librairie plon,Paris,1856, p54.

[2] - جمع لكلمة عزاب وهو الاسم الذي يحمله العضو في حلقة العزابة والحلقة، وهي نظام ديني اجتماعي تربوي تطور عبر مراحل التواجد الأباضي بين وادي ريغ ووادي ميزاب ليصبح مجلسا للعزابة "وهو أعلى سلطة في المكان الذي يوجد فيه، ويمثل سلطة الإمام ويقوم مقامه في جميع مهامه باستثناء إقامة الحدود التي يعطلها الأباضية في طور الكتمان..." ويرجع تاريخ تأسيس نظام العزابة إلى أوائل القرن الخامس الهجري على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر، حين استقر مع تلاميذه في مدينة " تينسلي"، وفي غار "التسعي" شرع الشيخ أبي عبد الله في وضع نظام الحلقة سنة (1003م-409هـ) ولما استكمل التنظيم وأرسى قواعده وآدابه وشروطه انتقل الشيخ بتلاميذه إلى منطقة "وادي ميزاب" وبذلك دخل نظام العزابة إلى المنطقة وهو لا يزال بها ساريا مفعوله إلى اليوم والعزاب رجل اعتزل العوائق الدنيوية وعزب عن الملذات (ولازم الطريق وطلب العلم، وسير أهل الخير وحافظ عليها، وعمل بها فإن حمل جميع هذه الصفات سمي عزابيا.). حمو محمد موسى عيسى النوري:دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قيما وحديثا، المجلد الأول،دار البعث، قسنطينة،د.ت،ص155.

المبحث الرابع: تحليل الجانب الاقتصادي.

لم نجد ما ذكره توماس شو(Thomas Shaw) كافيا من الناحية الاقتصادية سوى ذكره للمصبات المائية، أو كيفية حفر الآبار بمنطقة تقرت على عمق مائة (100) م وعند الوصول إلى الماء، عندما يصلون إلى حجر شبيه بالأردواز[1]، ووصف ميزاب أنها مجموعة من الجزر الخضراء والخصبة وسط صحراء شاسعة، فهذا دليل على غنى هاته المناطق بالحياة وخاصة الزراعية فمنتوج هاته المناطق كما هو معروف من أجود أنواع التمور، لكن فهل كانت معيشة السكان تعتمد فقط على ما تنتجه النخيل؟ لكن ما يؤكد غنى تلك المنطقة هي تلك الإحصائيات التي قام بها قيون، والتي تعتبر بسكرة من الواحات غنى بنخيلها.

وسبق الدكتور شو وصفه إلى مدينة الزاب في غناها ابن حوقل حيث يقول أن "الزاب كبيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير"[2]، وقال الإدريسي عنها أنها "حسنة كثيرة المياه والبساتين"، مثلما ذكر ابن حوقل لكنه أضاف أن بها سائر الفواكه، كما وصف أهل ورقلة أن "تجارها أغنياء بحكم تجوالهم في بلاد السودان وغانة والاستفادة من ذهبهم"[3]، أما الوزان فقال أن القمح بها قليل، لكن أهلها يستهلكون لحم الإبل والنعام"، وهذا أمر طبيعي راجع لخصوصية المنطقة فالإبل هي الوحيدة القادرة على مقاومة العطش والحر[4]، أما العياشي فوصف "ورقلة بالثراء وحسن الحال والكرم" ولا ننسى وصف الحميري[5] لورقلة بأنها "كثيرة الزرع والضرع والبساتين والمياه".[6]

---

(1) .Shaw, op cit p399–

(2) –ابن حوقل،مصدر سابق، ص125.

(3) –الإدريسي،مصدر سابق، ص 233.

(4) – إسماعيل العربي،مرجع سبق ذكره ص 135.

(5) -محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور، أبو عبد الله الحميرى، عالم بالبلدان والسير والأخبار.أندلسي من أهل سبتة.له (الروض المعطار في أخبار الأقطار) مجلدان، أنجز تأليفه في (جدة) ثغر الحجاز، سنة (1461م- 866 هـ)، واختير منه ما يختص بالأندلس في كتاب سمي (صفة جزيرة الأندلس) ترجم إلى الفرنسية. خير الدين الزركلي: مرجع سابق ،ص98.

(6) –الحميري، مصدر سابق، ص 132.

ولما كان الحكم العثماني في بعض الفترات الأخيرة من حكمه، يثقل كاهل الأهالي من الاستغلال المفرط لمجهود البلاد، وامتصاص مجهود العباد ونهب الموارد فتقلبت أحوال البلاد الداخلية وكثرت الأزمات السياسية والمشاكل المالية، وكثرت الاغتيالات هي السمة المميزة للحكام الأتراك، حيث اشتد العنف ما بين سنة (1798م-1830م) (1213هـ-1246هـ) حيث قتل ستة دايات، ولهذا اضطر الحكام إلى البحث عن موارد داخلية فاهتموا بالزراعة ومنتوجاتها مما زاد في شقاء الريف وبؤسه.[1]

وكان باي التيطري لا يبعث بالعشور إلى مركز الإيالة ، لأن أغلب عمالته صحراء وسكانها بدو رحل أصحاب أغنام لا حرث لهم، وكان من نتيجة هذه السياسية هو بروز ثورات وتمردات مثل تمرد الجنوب في وادي سوف[2] مثلما ذكر حمدان خوجة.

واتخذت حرفة الرعي(وما تجنيه منها كالحليب ومشتقاته، الجلود والأصواف) وزراعة النخيل (أجود أنواع التمور)، والصناعات المحلية مثل (البرانس ، الزرابي الحصر، والبارود)، شكل النشاط الاقتصادي في منطقة الصحراء، ليس هذا فقط، بل كانت نعمة القوافل التجارية فيما يخص التبادل التجاري حيث كانت الصحراء الجزائرية مركزا هاما لهاته البضائع القادمة إليها من ناحية الجنوب الشرقي، أو من ناحية الجنوب الغربي.

و المقايضة هي السمة الغالبة على العمليات التجارية، أثناء القرن الثامن عشر الميلادي، لأن هاته المناطق وبكل بساطة لم تكن تتعامل بالنقود، وفتح التعامل مع بلاد السودان الغربي أفقا جديدة لإفريقيا الشمالية، بحيث ظهرت طرق وحيدة

---

[1] – مولاي بلحميسي: الضرائب، مرجع سابق ،ص 79.

[2] – يحيي بوعزيز: القوافل والأسواق، مرجع سابق،ص.118.

للتجارة الدائمة والتي ربطت كل أجزاء إفريقيا، وبهذا انتظمت الرحلات والقوافل التجارية عبر كامل الصحراء، إذ كانت القافلة الواحدة تفوق الأربعمائة جملا، بالإضافة إلى قوافل الحجاج القادمة من المغرب مرورا بالطريق الصحراوي إلى البقاع المقدسة الذي يمر بالعديد من الإيالات، وكان من نتيجة هذا التنظيم هو توفير الجهد والمال.

وهذا يعني أنه رغم قسوة الصحراء، إلاَّ أنَّها كانت مزدهرة تجاريا، بفضل القوافل التجارية العابرة عموديا وأفقيا، إضافة على ما ساعدت عليه هاته القوافل وخاصة في تلك الفترة من إذكاء الحياة العلمية سواء في منطقة توات القريبة من المغرب آنذاك، أو من خلال الطرق الصوفية، التي كانت تولي اهتمامًا كبيرًا لتعليم الأطفال اللغة العربية وبالتالي القرآن الكريم، كما فعلت الطريقة البكاوية ودور الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[1]، كما ساعدت الرحلات الحجازية من زيادة الشوق إلى البقاع المقدسة والتي كانت تولى عناية هامة من طرف السكان، وخاصة **في المناطق التي تمر بها هاته القوافل، وإذا ذهبنا إلى العصور الوسطى قليلا، نجد كيف أن قبيلتي كتامة وزناتة احتضنوا العلويين، وهم بالبقاع المقدسة، ثم استقبلوهم في بلادهم، وساعدوهم على تكوين الدولة الفاطمية[2]، والتي أصبح يعد لها ألف حساب في زمن المعز لدين الله الفاطمي كل هاته النتائج بفضل ما قامت القوافل الحجازية.نضيف إلى فضل هاته القوافل كيف أصبحت توات قاعدة خلفية لعلماء الدين الإسلامي نحو السودان الغربي حيث اتخذ الشيخ محمد بن عبد الكريم** المغيلي[3] توات مركزا له ابتداء من سنة (1476م-882هـ).

---

[1] – عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص 154.

[2] – دام حكمها قرن وثلاث سنوات أي من (358هـ- 969 م) وكان من هؤلاء الدعاة أو مؤسيسها "أبو عبد الله الشيعي" وهو رجل من صنعاء اتجه إلى المغرب بعد أن رأى دويلات "الأغالبة" و"الأدارسة" وغيرهما تنشأ وتقام بعيدًا عن يد الدولة العباسية وسلطانها، وركز "أبو عبد الله" دعايته بين البربر، وسرعان ما انضموا إليه في آلاف عديدة، وهاجم بها "دولة الأغالبة" التي ما لبثت أن سقطت في يده سنة 297هـ/ 909م، وصار خليفة للمسلمين تأكيدًا لفكرة الشيعة عن أحقية أبناء علي -رضي الله عنه- بالخلافة، ولقد اعتبر نفسه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا بعد أن مُلئت جورًا وظلمًا، وتوالى الخلفاء من نسل المهدي عبيد الله، وكان منهم "المعز لدين الله الفاطمي" الذي أرسل قائده الشهير "جوهر الصقلي" ففتح "دولة الأدارسة"، ووصل إلى المحيط الأطلسي، ثم مد حدوده إلى مصر وفتحها عام 359هـ/ 969م. وبني مدينة القاهرة التي أصبحت مقر حكم المعز، وانتهت خلافتهم على يد صلاح الدين الأيوبي سنة (567هـ -1172م). شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي، الطبعة الثانية،دار الفكر، دمشق،2003.ص 210.

[3] – هو محمد بن عبد الكريم المغيلي، ولد بتلمسان وأخذ العلم عن عبد الله يحي بن يدير وعبد الرحمان الثعالبي، عالم مشهور في الفقه،التفسير الحديث والمنطق، له عدة مؤلفات منها: "البدر المنير في علم التفسير"، و"مصباح الأرواح في أصول الفلاح"، و"شرح مختصر خليل" و"مفتاح النظر في علم الحديث"، و"شرح مجمل الخونجي"في المنطق، والتعريف فيما يجب على الملوك.، توفي عند رجع إلى توات سنة (1503م-909هـ) ، له زاوية مشهورة وقبره مازال يزار إلى حد الآن. مياسي،مر جع سابق،ص 327. و بلحميسي: المغاربة ، مرجع سابق،ص90.

ثم ارتحل إلى غرب إفريقيا ونشر الإسلام، وكان ينتمي إلى الطريقة القادرية[1]، فزار تكرور وكانو بنيجريا، واجتمع بسلطانها، وألف له رسالة، ومكث بمدينة تمبكتو، والتقى بالسلطان محمد أسقيا وأجابه عن أسئلته، وذاعت شهرة المغيلي، وتأثر بكتبه الكثير من علماء إفريقيا وساورا على منهجه، وآرائه ونشروا مؤلفاته.[2]

وقد كانت التجارة ، وتبادل السلع بين ضفتي الصحراء الكبرى منذ عصور موغلة في القدم ، ذكرها المؤرخ الإغريقي الشهير : هيرودوت ، وسماها " التجارة الصامتة " بسبب عدم وجود لغة مشتركة بين طرفيْ عملية التبادل؛ فكان تجار الشمال يضعون ما يحملون من سلع (ملح وغيره) في مكان متعارف عليه ، ثم يبتعدون قليلا عن المكان ، فيأتي الأهالي من الجنوب ، ويضعون هم أيضا ما يرون أنه مقابل (ثمن) سلعة أهل الشمال (من الذهب أو العاج أو غير ذلك) ، ثم يبتعدون قليلا حتى يعطوا فرصة لتجار الشمال أن يقرروا إن كان الثمن يناسب بضاعتهم ، فيعود الشماليون إلى المكان ، ويأخذون ما يرون أنه يقابل سلعتهم ، ثم ينصرفون من حيث جاؤوا دون تحاور مباشر، بين المتعاملين ، ولهذا عرفت هذه الصورة من التبادل التجاري السلمي عند المؤرخين : " بالتجارة الصامتة ".[3]

وقد استمرت هذه الصورة لأزمنة متعاقبة ، ولم يعثر حتى الآن على تاريخ محدد وأكيد لتطور هذه العملية إلى استخدام اللغة بين المتبادلين ، إلا أن الثابت بالدليل أن التبادل التجاري بين ضفتي الصحراء شهد تطورا سريعا ، ومطردا بعد دخول الإسلام مباشرة إلى منطقة شمال إفريقيا في القرن الأول الهجري. ولعل من

---

[1] – نسبة إلى سيدي عبد القادر الجيلالي محيي الدين بن محمد، ولد سنة (1077م-470هـ) بالعراق، من كبار الصوفية ومؤسس الطريقة القادرية له أتباع في ورقلة، والغرب الجزائري، توفي سنة (1166م-561هـ) بمقاطعة جيلان.بلحميسي المغاربة، مرجع سابق،ص76.

[2] –عباد القادر زبادية، مرجع سابق، ص156.

[3] –نفس المرجع، ص158.

تأثير ذلك هو دخول الإسلام، الذي يعني انتشار اللغة العربية التي أصبحت فيما بعد لغة التفاهم.

وفي تمبكتو خاصة، لأن مؤسسيها مسلمين، في ظل دولة كان شعارها هو نشر الإسلام في المجتمع، والحكم بتعاليمه، وهي الدولة المرابطية[1]، فقد ترافقت فيها الحركة التجارية مع حركة التعليم، والدعوة منذ الوهلة الأولى، ومعلوم أن تجار القوافل الذين ارتادوا المنطقة حينها كانوا تجارا ودعاة في غالبيتهم العظمى فكان ذلك التكامل الجميل بين الدعوة للرسالة السامية، والسعي، والكدح لكسب الرزق الطيب والربح الحلال الأمر الذي أثمر نهضة متزامنة في المدينة بسبب الازدهار الاقتصادي والنهوض الثقافي والعلمي، حتى أصبحت تمبكتو في فترة قياسية وجيزة مقصدا للتجار، ورجال المال، وفي نفس الوقت صارت قبلة للعلماء، وطلبة العلم، والمعرفة ونافس الكتاب في سوقها، الذهب، والملح، بل تجاوزهما في بعض الأحيان.[2]

ويذكر حسن الوزان الذي زار المدينة مرتين موفدا في سفارة من المخزن يذكر في كتابه (وصف إفريقيا) أن الكتاب في تمبكتو أصبح يساوي وزنه ذهبا، وهو أمر غير مسبوق في كل الحواضر الإسلامية حينذاك.[3]

فإذا كانت أثمن، وأغلى سلعة في سوق المدينة عند تجار القوافل من الشمال هي الذهب التبر، والألماس، وأثمن، وأعز سلعة عند أهل الجنوب هي ملح الطعام فإن أفضل ، وأثمن سلعة عند أهل تمبكتو هي الكِتاب، وهذا دليل على شغف أهل المنطقة بالدين والعلم.لأنَّ الدِين الإسلامي يناسب الفطرة الإنسانية.

---

[1] – من الدويلات التي شهدتها الجزائر ، دام حكمها من (1052م- 1147م) (456هـ- 553 هـ). والمرابطون اللمتونيون، الملثمون، سلالة بربرية حكمت في المغرب، موريتانيا، غرب الجزائر، و يرجع أصل المرابطين إلى قبيلة لمتونة البربرية كما أن أصل التسمية يرجع إلى أتباع الحركة الإصلاحية التي أسسها عبد الله بن ياسين و الذي قاد حركة جهادية لنشر الدين و كان رجالها يلزمون الرباط بعد كل حملة من حملاتهم الجهادية، بدأت الحركة بنشر الدعوة في الجنوب -انطلاقا من موريتانيا- و أفلحوا في حمل بلاد غانه على الإسلام و من ثمة باقي مناطق الصحراء الغربية، في عهد يوسف بن تاشفين (-1060م- 1106م)(451هـ/499هـ) تم غزو المغرب و غرب الجزائر ثم بناء مدينة مراكش (1062م-453هـ). شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، الطبعة الأولى،دار الفكر، دمشق،1984ص160.

[2] – عبد القادر زبادية، مرجع سابق،ص 159.

[3] – Léon L’Africain, op cit, p 112.

ونظرا لبعد الصحراء عن يد الحكم التركي عموما، والحكم الأوروبي خصوصا فعلى الرغم من منع تجارة العبيد في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي أي سنة (1814م-1230هـ)، إلا أنها كانت وظلت تمارس، وهي من تجارة مربحة فكانت إفريقيا الغربية والوسطى، مناطق تدعيم لهاته التجارة، وتحول الاهتمام بعدما كان العبيد من الأسرى المسيحيين، إلى العبيد السود القادمين من إفريقيا، ويرسلون أحيانا كثيرة إلى العالم الجديد.

ما لاحظناه أن كل منطقة في الجزائر لديها ما يكفيها ذاتيا ، في الشمال موارد البحر والتربة الخصبة وتوفر المياه، إضافة إلى الثروة الغابية، في الوسط وهي المناطق السهبية والتي ترعى بها المواشي، يعني تربية الأغنام والمواشي، وفي الصحراء منتوج النخيل من أجود التمور، علاوة على المراكز التجارية التي غذت كثيرا مناطقها وتنوعت العمليات والنشاط الاقتصادي من رعي ، وزراعة وفرض إتاوة على القوافل المارة وهذا ما أدى بأحدهم من و صف الطوارق بقراصنة الصحراء لأنهم لم تعد بلاده تدفع إتاوة البحر. بعدما سيطروا على الشمال الجزائري، فبقي الجنوب بعيدا عن أيديهم.

وتشكل واحات الصحراء الجزائرية عاملا مستقلا بنفسه، ولها خصائص مشتركة بينها، ولعل أبرز هذه الخصائص هي قلة موارد المياه السهلة الاستغلال، هذا إذا استثنينا بعض الواحات الواقعة في أقصى الجنوب مثل تاغيت[1]، وبني عباس التي ترويها العيون، وحالة واحات وادي سوف التي تقع في الصحراء الشرقية، حيث أن المنطقة تتمتع بطبقة من الماء تقع غير بعيد تحت الرمال، بحيث أن مهمة صاحب البستان ليست توجيه قنوات الري أكثر مما هي العمل لدفع الرمل الذي تتساقط جناياه ويردم القناة.

ومعظم الواحات الجزائرية يستخرج الماء فيها بواسطة الآبار الارتوازية والفجارات يتطلب مجهودا بشريا كبيرا. ونلاحظ أن واحات الصحراء الشرقية تسقيها مياه الآبار الارتوازية، أما واحات الصحراء الغربية فتسقيها الفجارات، وميزة الواحات الشرقية،

---

[1] إسماعيل العربي: الصحراء، مرجع سابق،ص139.

فهي مجتمعة في حوض كبير عند أقدام الأطلس، وهي قريبة من التل وسهلة المنفذ[2].

وكنتيجة لما سبق، فإن مؤلفات القرن الثامن عشر الميلادي سواء من الأجانب أو من خلال كتابات العرب، فيما يخص هاته المنطقة كانت قليلة جدا، وهذا راجع لعدم اهتمام أوروبا قبل هذا التاريخ أو أثنائه بهذا النوع من الرحلات، وجاء الاهتمام بها إلاَّ بعد ما استنفدت أوروبا جميع الوسائل في كسب مناطق أخرى، فلجأت إلى الصحراء، إلاَّ مع حلول القرن التاسع عشر الميلادي، وهذا ما أثر على الحقبة الزمنية المدروسة (القرن الثامن عشر الميلادي)، حتى أن الكتَّاب العرب لم يهتموا بكتابة أو تأريخ رحلاتهم ومنهم من لم يدوِّن ذلك إطلاقا، فجاء القرن الثامن عشر منقوصا في العديد من الجوانب الحضارية التي تحتاج إلى كثير من البحث، لأنها من الفترات الهامة في تاريخ الجزائر والخاصة بمنطقة الصحراء، فلم نجد من الكتابات ما يغطي كامل الفترة، فاضطرنا الأمر إلى اللجوء إلى الكتابات العربية ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي وحتى القرن السابع عشر الميلادي، وسنتطرق في الفصل الثاني إلى كتابات القرن التاسع عشر الذي كان له نصيبا وافرا من الكتابات والاستكشافات، فتطرقت إلى أغلب الجوانب الحضارية بصرف النظر عن مغزاها، وهذا راجع لعدة أسباب منها:

1- تفطن أوروبا على ما تحويه الصحراء من خيرات.
2- الرغبة في اكتشاف عالم جديد (عالم ما بعد الصحراء الجزائرية).
3- تأجج الروح الصليبية والعداء للإسلام ومحاولة تطويقه.
4- تنافس الدول الاستعمارية في البحث عن المجال الحيوي.
5- محاولة ربط ضفتي البحر المتوسط بخط سكة حديد.
6- الاهتمام بالتجارة ومحاولة وضع اليد على أهم طرق القوافل التجارية.

---

[2] – نفس المرجع،ص140.

الفصل الثاني: البيئة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن التاسع عشر

المبحث الأول: تقارير الأجانب عن الصحراء خلال القرن التاسع عشر

تعددت تقارير الأجانب خلال القرن التاسع عشر عن القبائل الجزائرية فالشعانبة مثلا هي قبيلة كبيرة تمتد من ورقلة، إلى القليعة، ومتليلي، وتنقسم إلى أربعة (04) فروع : شعانبة مخادمة، وشعانبة هب الريح بورقلة، شعانبة محادي في الشرق في القليعة، شعانبة برزقة في متليلي، ويقول دوماس ملشيور جوزيف اوجان[1](Daumas Melchior Joseph Eugène) التقيت بهم أثناء إقامتي ببني ميزاب وعرفت أنهم يسيطرون على طريق الجزائر تيديكلت، وبهم قررت مواصلة رحلتي إلى الصحراء.[2] ولو مساعدتهم له لما تمكن من إنجاز مهامه. **(انظر الخريطة رقم 04).** وأغلبية الشعانبة يعيشون في قصور محاطة بالبساتين، وهذا يعني أنهم يحسون بالآمان في التنقل والترحال، وكذلك هم قبيلة كثيرة العدد بحيث أنهم سيطروا على طريق الجزائر تيديكلت، وهم يجيبون الصحراء، بحثا عن الكلأ لقطعانهم، لا يبتعدون عن المدينة التي يقطنها، ولا يسكنون بيوتهم بل يجعلونها مخازن.[3] وبالتالي فهم البدو الرحل.

---

[1] –جنرال ،سيناتور وكاتب ولد يوم 04 سبتمبر 1803م (17 جمادى الأول 1218هـ)، انضم إلى الجيش سنة(1822م- 1238هـ)، أتي إلى الجزائر سنة (1835م- 1251هـ) تحت سلطة الماريشال كلوزيل(Clauzel) بناحية معسكر وتلمسان، عكف على دراسة العرب وأخلاقهم وعاداتهم، كان قنصلا لدى الأمير عبد القادر بين سنتي (1837م-1839م)(1253هـ/1255هـ)، ثم كلفة الجنرال لامورسيار (Lamoricière) لرئاسة مكتب الشؤون العربية لبايلك وهران، ثم كلفه الماريشال بيجو (Bugeaud) لإدارة شؤون الأهالي لكامل الجزائر، وفي سنة (1850م- 1267هـ) عين مديرا للشؤون الجزائر بوزارة الحربية، وفي سنة (1853م-1270هـ) عين جنرالا لمقاطعة، سنة (1875م- 1292هـ) عين سيناتورا، وتوفي في كوبيلونس Couiblence (Gironde)، له عدة مؤلفات ترجمت إلى الإسبانية والألمانية، وهي على التوالي:

les Kabyles de l'est (Alger, 1844); Exposé de l'état actuel de la société arabe, du gouvernement et de la législation qui la régit (Alger, 1845, in-8°); le Sahara algérien (Paris, 1845); le Grand Désert, ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des nègres (2e édition, 1849 ; nouvelle édition, 1861, in-18), en collaboration avec M. A. de Chancel; la Grande Kabylie (1847, in-8°), avec M. Fabar, mort en 1849 au siège de Rome; Sur l'éducation du faucon en Algérie (Paris, 1856, in-8°); Coup d'oeil sur l'Algérie au mois de juin 1856 (Paris, 1856, in-12); la Civilité puérile et honnête chez les Arabes (Paris, 1857) ; Mœurs et coutumes de l'Algérie (1857, 3° édition, in-18); les Chevaux du Sahara, et principes généraux du cavalier arabe (1858, 5° édition) ; la Kabylie (1857, in-32 ; la www.Algérie-.Société kabyle (Paris, 1858) ; la Vie arabe et la Société musulmane (1869, in-8°). ancienne.com/livres/sahara.

[2] - Daumas (Eugène) ,et Chancel(A.) : Le grand Désert, chais, Paris, 1849, p43.)

[3] -Ibid, p45.

ويأتي الشعانبة في كل عام، ولفترات مختلفة للتخييم بالقرب من الواحات، مرة عند زج الأغنام والثانية عندما ينضج التمر، ثروتهم من البساتين، البيوت، قطعان الماعز والأغنام، الإبل وبعض الأحصنة وبعض المهارى والأحمرة، وبعض النقود المخبأة في القصور، يعتمدون على إنتاج البساتين والقطعان والقليل من التجارة وأحيانا يقطعون الطرق، ومع ذلك فهم طيَبون، فرسان، لا يتعبون، صيادو النعام و الغزلان مضيافين أوفياء لعهدهم. وقبيلة الشعانبة بمختلف فروعها عرفت سيطرة قبيلة أولاد سيدي الشيخ وتعطي لهم الزيارة بانتظام، لأن صيت هذا المرابط ولد سيدي الشيخ تمتد من المغرب حتى واد سوف. ولعله تأثير ديني أكثر منه تأثير قوة وسيطرة.

أما مدينة متليلي وهي قصر شعابنة برزقة، وهو قصر قديم بني على القرب من واد متليلي بإتجاه ميزاب، مياهها الجوفية قريبة جدا على عمق (15-20مترا). [1]

وتقع مدينة القليعة على جبل صخري، وهي من قصور الصحراء وبها 200 بيت بالتقريب محاطة بجدار يحميها وهو عالي جدا، ومتين، مبني بالحجارة وله باب واحدة من جهة الغرب، وبها بئر كبير وعميق مبني من الأسفل إلى الأعلى يزود السكان بالماء ، ولكننا لا نعرف تاريخ إنشائه، ويوجد تحت الجدار، حوض لتجميع المياه بحيث يسع عشرين (20) جملا يشربون منه في وقت واحد. [2]

التقاليد تقول بأن سكان القليعة يشبهون من ناحية الدم أهل توات، وهؤلاء يتكلمون الزناتية(لهجة بربرية) ويلقبون بكريفان، البعض منهم يعيش في المدينة والبعض الآخر في الخيم مثل أهل متليلي وورقلة، لهم قطعان الغنم، الإبل، والماعز

---

(1) – Le grand désert ou itinéraire d'une caravane, imprimerie et librairie centrales de napoléon :Eugène Daumas chaix,paris,1848,p 36.

(2)-Ibid, p37.

والرؤساء من يملكون الأحصنة فقط، ويعتبرون وسطاء التجارة بين النقاط البعيدة (أي كانت ملتقى التجارة) .

و بها أشجار النخيل وبساتين كثيرة ، وأجنة محاطة بها، وتسقى من مياه الآبار القليلة العمق وسهلة الحفر، وهي الثروة التي يتقاسمها سكان المدينة مع سكان الخيم.

وإذا حلّت المجاعة بتلك المنطقة يقوم الطوارق بمحاصرتها، ففي فترة من الفترات حاصروها لأكثر من سبع سنوات. [1] بمعنى أنها كانت مصدر رزق لهم وبقي دوماس اوجان (Daumas Eugène) سبعة أيام في القليعة للراحة وتصليح ما أفسدته الزوابع الرملية التي حلّت بالقليعة آنذاك، وكان بمعيته أربعة أشخاص للرعي وحراسة المخيم وهذا يعني أن قطاع الطرق كثيرون، ففي صحراء قاحلة لا يأتمنون على أنفسهم وإلا ما تفسير الحراسة، أما عن الرعي فيعني أن الغطاء النباتي لا بأس به، كما صورها الكاتب في رحلته، أنها غنية بالمياه ومحاطة ببساتين وحدائق.[2]

ونظرا للحرارة الشديدة بالقليعة، كانت مواعيد السكان بعد غروب الشمس وهذا يعني الحرارة الشديدة التي تتمتع بها المنطقة ويبقون لوقت متأخر يسلون أنفسهم بالسهر تحت أشجار النخيل.[3]

وبهذا العدد القليل الذي لا يفي في مواجهة قطاع الطرق، فكرنا في تجنيد قوتنا لأنه وببساطة غادرت قبيلة شعانبة محادي إلى مدينة توات، وعليه وجب الاعتماد على أنفسنا وبحذرنا أصبحنا ننتظر أخبار جديدة.[4]

أما مدينة توات التي سندخلها في الشمال الشرقي وهي إلى الغرب بالقرب من المغرب يحدها شرقا جبل باطن على طولها ، وهي واحة كبيرة جدا وتتخللها هضاب رملية وهي مقسمة إلى خمس مقاطعات من الشمال إلى الجنوب وهي:

---

(1) .- Gabriel (G) : les touareg Ajjer, Editions Baconnier,Paris, 1961,p 144

(2) – Eugene Daumas :. Le grand désert , op cit, p 38.

(3) – Ibid, p38.

(4) -Ibid, p39.

1-مهارزة وه يمقر تابلكورة.

2-القرارة ومقرها تيميمون

3-أوغروت ومقرها القصبة الحمراء.

4-توات ومقرها سما.

5-تيديكلت ومقرها عين صالح.

وفي هذا الإقليم الواسع يعيش جنسين وهما حال توات، وهم سكان توات يقطنون المدينة والقصور.[1]أصلهم من البربر، ويتعاملون كثيرا مع بلاد السودان ويتكلمون البربرية(الزناتية) بيوتهم عموما مجتمعة على شكل قصور، وهي مساكن غير لائقة بسبب نزول المطر وأسطحها مغطاة بالجريد، ما عدا الزوايا فهي مطلية بالأبيض لصد الحرارة والعرب مختلطون بالدم الأسود، يعيشون تحت الخيام يتكلمون العربية وفي بعض الأحيان الزناتية من أجل تسيير شؤونهم التجارية مع حال توات.[2]

سكان القصر لا يلبسون البرنوس ولكن نوع من العباءات من الحرير(عباية) وهي ملابس داخلية مقطنة تلبس مع سراويل من أوروبا، وهي مطرزة بالحرير الأحمر أو الأسود، والحايك بغطي كامل الجسم، والبعض منهم يحلق جهة واحدة من الرأس في كل شهر والكل يحمل الحلق في الأذن من الفضة وليس لديهم وشم، ونساؤهم يلبسن الخلاخل من الذهب والفضة أو العاج الأسود.[3]

العرب يلبسون الشاشية مغطاة بحايك ملفوفة بحبل من شعر الجمل، وبرنوس واحد أو إثنين على حسب الفصل، ولا يلبسون الخلاخل[4]، وإنما نساء ورجال لهم وشم صغير على الجبهة، والنساء عند زناتة لا يلبسن الحجاب، على عكس العرب النبلاء فقط(نساء الأشراف، المرابطين والقضاة لا يخرجن والوجه مكشوف). أما عن نوع الوجبات التي يستعملونها فهم يأكلون التمر المفور والذي

---

(1) – فرج محمود فرج، مرجع سابق،ص 190.

(2) –نفس المرجع ، ص191.

(3) – Eugène Daumas.: Le grand désert , op cit, p42.

(4) - Ibid, p63.

يسقى به الكسكس، كما تصنع الرغيدة من الفرينة وشحم الأغنام أو الإبل أو الزبدة. ويؤمن السكان بالشعوذة والطلاسم، وهي كتابات يكتبها المرابطين على أوراق صغيرة مربعة ومغلقة في أكياس من الجلد مربوطة في العنق أو في الذراع. وهذا دليل على نقص الوازع الديني.

وكحكم تعسفي يطعن في شرف النساء وعفتهن، يقول إنَّ النَّاس مولعون بالحب نادرا ما تتزوج المرأة وهي عذراء، وأيضا بالأفراح التي تتبع الزواج وهي استعراض قميص فض البكارة للجميع وهذا دليل على نقص الوعي والوازع الديني بالرغم من أنها في اعتقاد السكان دليل الشرف.

ويضيف أنَّ الناس أصحاب نزوات فالجميع يستهلك التبغ المخدر لدرجة أنهم أحدهم يقول إعطيني تبغا أصبح لك عبدا ، ويبلعونه ليس فقط أوراقا ولكن مسحوقا ويدخنون الحشيش، وهل هذا يعني أنهم أصحاب نزوات وشهوات؟.

وتتكوَّن مدينة تيميمون، من خمسمائة (500) أو ستمائمة (600)مسكنا تتخللها بساتين، وهي محاطة بخندق دون ماء، عميق يقدر اثنا عشر (12 م) وعريض من سبعة (07) إلى ثمانية(08) م، وبسور يحتضنها ، ونميز فيها تسعة (09) أحياء منها:[1'] أولاد إبراهيم، غراميلان، المنجور، الجاحاك، القوصة، أولاد مهدي، أما غريبور تدمايت، لكل من هاته الأحياء جامع خاص، وأوسعها وأحسنها هو جامع اماغريبور، ولها ثلاثة أبواب رئيسية:

1-باب أولاد إبراهيم 2-تادميت 3-تيماقزان وهناك خمسة أبواب صغيرة وهي: توغراني جلمان.[2]،توغراني تازيقارت ،-باب زقراق ايقوران، باب الزرقة،-باب البالي. وأسواقها منظمة عبر شوارعها الرئيسية، سوق السمن، وفيه باعة الزبدة وسوق السراجين، أين يوجد جميع الاسكافيين، سوق الجلاب بائعو الصوف والملابس وهي مقابل لسوق الإبل والغنم[3].

[1'] – فرج محمود فرج، مرجع سابق،ص 193.

[2] – نفس المرجع، ص195.

[3] — Le grand désert op cit,p 66.:Eugène Daumas

- سوق العارين لبائعي القطن، والتوابل.
- سوق الرحبة لبائعي الحبوب والتمور.
- سوق الخضرة لبائعي الخضر والفواكه.
- سوق الدخان لبائعي التبغ.
- سوق الماكلة لبائعي الأغذية المحضرة. [1]
- سوق العبيد لبائعي العبيد والأشياء الموجودة من بلاد السودان.

وضعت هاته التقسيمات بهدف تسهيل على الأجانب التبادل التجاري، من نشاط التصدير أو الاستيراد أو مقايضة الأشياء الثمينة، أو ذات الأهمية القادمة من التل والصحراء، والسودان، وتونس والمغرب والتي تصل من سوق إلى سوق ويرتاد على أسواقها كل من الشعانبة ، وبني ميزاب، وأهل تقرت، ووادي سوف، وغدامس والعريب والخنافسة، والحميان، وأولاد سيدي الشيخ، وأهل فقيق وتافيلالت ودوي منيا...الخ[2].وبتيميمون تجارة هامة للسلاح والذخيرة، والبنادق والمسدسات.

أما مدينة عين صالح فتتكون من مائة وخمسة (105) بيتا بقصبة، لكن دون جدار يحمي المدينة، ويفسر السكان عدم وجوده لقوتهم وتحالفهم مع الطوارق جيرانهم وبها حدائق وأشجار نخيل تسيطر على المدينة لكن في الجهات الأخرى محاطة بالرمال التي تذروها الرياح.

---

(1) Le grand désert, op cit, p 67.:Eugène –Daumas

(2) – ناصر الدين سعيدوني:ملكية الأراضي أواخر العهد العثماني وتأثيرها على البيئة الاجتماعية بالريف، مجلة أشغال المؤتمر الثالث للتاريخ وحضارة المغرب، وهران،1983،ص 210.

يرأس جماعة عين صالح الحاج محمد ولد مختار من قبيلة ولد مختار ويسكن أغلبية قصور عين صالح السود، ويتقاسمون مع العرب الإقليم، فلكل جماعة رئيس وعادة ما يكون من العرب، أما الطوارق البيض يقطنون الأكواخ بالقرب من عين صالح .

ويملكون حوالي ستين (60) جملا، وبقربهم يقطن أولاد بوحمو، ويصل عددهم إلى الثمانين (80).[1]

وقد صادف الكاتب دوماس(Daumas) قافلة الحجيج المكوَّنة من أولاد مختار،أولاد بوحمو أولاد بلقاسم، أولاد الحاج، أولاد سيد الحاج محمد، الدغامشة وأهل مليانة، وتحوسن وسالا زاوية الحاج بلقاسم وفوقارة أزوة،من رجال ، ونساء وشيوخ، وأطفال وعبيد، وخدام ، ويلبسون أحسن ما لديهم ويصلون باتجاه القبلة نحو مدينة أولف، ويحملون الرايات الصغيرة، وقبل الفجر بدأت القافلة بالمسير بنحو ألفين جملا على شكل مجموعات مكوَّنة من مائة (100) إلى مائة وخمسين (150) جملا، تاركة وراءها الغبار، و يسمى قائدها بأمير الركب الذي التقى بأهل عين صالح وهي فارحين ويرددون بعض أغاني وأهازيج الحجاج مع قرع الطبول والقرقابو.[2]

---

(1) 31–Gabriel(G.), op cit,pp 33-.

(2) - فرج محمود، مرجع سابق، ص192.

وهذه هي الأهازيج التي يذكرها الأهالي والحجاج والمرابطون عند مصادفة موسم الحج، وكنتيجة للتوق الروحي، فإن الجميع يتمنون الذهاب إلى البقاع المقدسة فيقول الجميع:

الأهالي	الحجاج	المرابطين	الحجاج
أيا حجاج بيت ربي شوفتوش نبي الله؟	شوفناه شوفناه وخليناه في بيت ربي يصلي ويقرا كتاب الله	سيدنا ابرهيم خليل الله سيدنا موسى كليم اله سيدنا عيسى روح الله سيدنا محمد رسول الله	نعم تركنا مالنا. نعم تركنا أولادنا. سلرؤية محمد رسول الله.

Le grand désert ou itinéraire d'une caravane, :Eugene Daumas – imprimerie et librairie centrales de napoléon chaix,paris,1848,p 90.

و تتكون قافلة الحجاج من أهل توات، فقيق، تافيلالت، فاس، مراكش، ومكناس أولاد سيدي الشيخ، وحميان، ...الخ،وثلاث قبائل بربرية آيت عطاء، وآيت دزدوق وآيت موركال[1]، هاته الأهازيج والكلمات تعبر عن شوق الحجاج، وشغفهم بزيارة البقاع المقدسة، التي تعني أنَّ الارتباط الديني كان قويا جدا، بين الأهالي وقافلة الحجيج.

أما من ناحية تجارة العبيد فظلت تمارس في الصحراء الجزائرية، بحيث تحدد أسعار العبيد على حسب الخصائص الفيزيولوجية:[2]

- عبد بلحية بسعر من 10 إلى 15000 اوداس.

-سوداء بسعر من 10 إلى 15000 اوداس .

---

(1) -- Le grand désert, op cit, p 68.:Eugene Daumas

(2) – يحي بوعزيز: القوافل والأسواق، مرجع سابق،ص 34.

- عبد مراهق بسعر من30.000 اوداس .
-سوداء (على حسب جمالها) بسعر من 50 إلى 60.000 اوداس. [3]
-طفل صغير بسعر من 45000اوداس.
-طفلة صغيرة بسعر من 35 إلى 40.000 اوداس.
والبائع يعطي الفرصة للشاري الاختيار لمدة ثلاثة أيام.

وبالرغم من تحريم تجارة العبيد دوليا آنذاك، إلاَّ أنَّها كانت التجارة المربحة ظلت تمارس لقربها من مستودع السودان الغربي، ويضيف دوماس أنَّ القانون يتيح بيع العبيد، لأنَّهم ليسوا أوفياء، لأنَّه حسب القرآن لا يمكن إرغام العبد الدخول عنوة للإسلام والبعض يقول أن أي شاري يعلم عبده تعاليم القرآن والدين الإسلامي(صوم وصلاة،واستخدامه بصرامة)، ويضيف الكاتب رأيه الثالث فالعبد غير وفي ويكون شابا[1] يسعى مولاه لاستبداله، لأن المولى المسلم يعامل عبده بما يمليه الضمير، ولكن الأحسن أن يكون عبدا للإله، ويعاملهم الأطباء معاملة حسنة. وقال سيدي خليل(وهو أحد تلامذة الإمام ابن عرفة):"إذا لم تقدروا على كفاية العبيد عليكم ببيعهم"، فهذا يعني أن المسلمين يعاملون العبيد معاملة تليق بالإنسانية مراعاة لما جاء به الدين الإسلامي.

[3] – نوع من العملات التي كانت متداولة آنذاك.
[1] – هناك ثلاث فئات من الطوارق، (أزدجر،اهقار،واير). Daumas(Eugène) ,et Chancel(A.),op cit , p43.

والطوارق هم شعب بدائي ويسمون أنفسهم ايموهاق حسب ازدجر وايموشاح حسب القهار وايليميدن وايماجيرحن حسب الاير[1]، واللغة التي تتحدثها تماهاق أو تماشاق حسب اللهجات، والعرب من أطلق هاته التسمية طوارق وتارقية وتارقي، والتي تعني المتروكين أو المبعدين ، ودفيريي يتحدث بإسمهم فيقول نحن لم نتقبل منهم دينهم الجديد،[2] والمهم نسمى أوهاق ومعناه الحر" ونحن من الأدراسة من الأشراف، وجدّنا قتل من طرف الملدأومرين، وهذا الشريف هو مشترك بين شرفة ازدجر وكرزاز[3] وشرفة وزان[4]".ونفس الشيء لأشراف ايفوغاس وايمنان وهما من أكبر الأسر المغاربية.

الفئة الأولى من القبائل الكبرى بالنسبة للطوارق هم قبائل ازدجر ولها فروعها على التوالي:(حسب إبراهيم ولد سيدي وهو أحد الطوارق الذين ساعدوا هنري دوفيريي في رحلته)، فيقول:

*إيمنان (السلاطين) هم أشراف حقا، نصفهم أدارسة[5] التي حكمت فاس والنصف علويين ذرية سيدنا علي.[6]

---

(1) – إسماعيل العربي، الصحراء،مرجع سابق،ص 54.

(2) - Duveyrier (H.) : Les Touareg du nord, Challamel Ainé, Libraire-éditeur, Paris, 1864.p 58.

(3) – أشراف كرزاز مازالوا بتلبالت بين توات وتافيلالت، لهم زاوية لها دور كبير وهي ملاذ لكل الناس حسب قول الأهالي Daumas(Eugène) ,et Chancel(A.),op cit,p 44

(4) – أشراف وزان يسكنون المغرب بين فاس وطنجة، وهم شيوخ طريقة مولاي الطيب.Ibid,p 45.

(5) –أسرة حاكمة، [illegible] 172 « 789 [illegible] إدريس الأول [illegible] 364 « 975 [illegible] 1985 [illegible] 45

(6) –أسرة حكمت المغرب سنة (1659م-1070هـ). يرجع أصل العلويين إلى الحسن السبط (عن طريق محمد النفس الزكية). جاءوا حوالي القرن الـ13 م إلى المغرب وسكنوا جنوب جبال الأطلس في واحة تافيلالت (بالقرب من سجلماسة). بمساعدة من الفرق الصوفية، والتي كانت تنشط في المنطقة حينذاك، أصبح مولاي الرشيد (1664م-1672 م)سيداً على منطقة تافيلالت و الواحات، استطاع بعد ذلك أن يستولى عام (1666 م-1077هـ)على فاس (على حساب السعديين) ثم على باقي المملكة، وتابع جهوده بعد ذلك بأن وطد دعائم ملكه. Larousse , op cit, p 1099

*أوراغان:أبناء السلاطين من آبائهم ولكن فيلان(Vilains) من أمهاتهم وهم ليسوا نبلاء.

*إيمنغاستن: هم عرب الشرق ليسوا نبلاء وعددهم قليل.

*إيفوغاس: قبيلة واحدة مع لوادالن، إقاوادران، أهل السوق، والسوق مدينة كبيرة مسكونة تقع بين عين صالح وقاقو ، وسكان السوق مختلطين مع دماء السود.[1]

الفئة الثانية من القبائل الكبرى للطوارق وهي قبائل أهقار، وأشراف أهقار عموما أولاد سيدي بن سيد مالك وهو جد لشريف اسمه أقاق وهو أمير مان سوقي.[2]

*تاقوق: جزء من هذه القبيلة نفس إيمنان ازدجر أي من أحفاد الأدارسة وجزء منهم أهل فدي اير.

*أهل البيت الأبيض وأهل البيت الأسود

*كل رحالة متكونة من أبناء هاتينا وأبناء ماحوك.

*إيكادين وهم من قبيلة السوق ولكنهم أسر بيضاء البشرة.

*إيرهاششومن: أصلا من السوق.

*تيدجهي ان أو سيدي وهم من قبيلة إيمنان ازدجر.

* تيدجهي مالن أو أولاد مسعود.[3]

وقد تكلم كل من ابن خلدون وجون ليون وهيردوت عنهم.

ويسمى زعيم قبائل الطوارق امنوكل[4]، وهو يتزعم قبيلة ايهقارن التي كانت لها السيطرة على الحقوق السياسية، ويسمى تجمعهم بالتجمع أو الميعاد والتي تتنافس فيها المصالح المشتركة، وسيطرة النبلاء تعني تشكيل شرطة الإقليم للقبيلة لضمان أمن الطرقات، وحماية القوافل التجارية لزبائنهم، ومقارعة العدو، أو

---

(1) - Gabriel(G.), op cit,pp 49-50.

(2) - Duveyrier (H.) : Les Touareg, op cit, p 60.

(3) - Daumas(Eugène) ,et Chancel(A.),op cit , p45.

(4) – وهي كلمة تارقية وتعني الشيخ أو السيد وهي الكلمة الغالبة، وأحيانا، نجدهم يسمونه اقليد وتعني الملك .

الخروج وعندها يتحد كل من النبلاء والخدام، كما يحظى المرابطون برتبة دينية، وقضائية، فهم الذين يراعون شؤونهم العامة والتنظيم، ويعلمون الدين الإسلامي للعامة، برغم من وجود مساجد أو أماكن التجمع، وهؤلاء القضاة يفصلون في النزاعات بين الأفراد والقبائل وبين الطوارق والأجانب، كما يعملون أساتذة كل حسب مستواه يعلمون الكتابة وقراءة القرآن والتاريخ والقانون، والفلك، والحساب ويسمى الطالب بالتلميذ.[1] الفرق بين المرابطين العرب أنهم ينتظرون أتباعهم في مقرهم على العكس من مرابطي الطوارق فهو ينتقل بين القبائل، ومثل ذلك الشيخ عثمان يغيب مرات كثيرة عن زاويته شهورا وأعوام.وذلك أنَّ العرب ينشطون في التجمعات السكانية القارة في المدن والقرى، أي النَّاس يقصدونهم، على العكس من طبيعة الطوارق فطبيعة حركاتهم الاجتماعية التنقل، والترحال بحثا عن الكلأ، أو الموارد المائية، فلذا وجب على المرابطين الطوارق التنقل بين مضاربهم.وهناك قبائل مختلطة، وهي ليست من النبلاء ولا من الخدم، وإنما يدفعون غرامة للنبلاء مثلما تدفعها الجزائر للأتراك وهي نفس الشيء للرعايا بالنسبة للشرق.و تتكون قبائل الطوارق من النبلاء ، والقبائل المختلطة، والخدم (أمرهيد) ويعني الرعايا بالعربية ولكنها من الناحية الاجتماعية (لا السياسية)، وكل ما يملك أمرهيد[2] هو ملك لسيده لأنَّ قوة السيف تخلق قوة القانون، وما يهم السيد أنَّ خادمه غني يملك القطعان العبيد الأثاث، لأنه أثناء الحاجة يلجأ إليه السيد.

الخدام لا يعملون أي عمل يدوي، ولكن اهتماماته ضمان أمن الطرق للتجارة وفي وقت الجني يتقربون للواحات التي يسكنها التجار، الذين يحمون مصالحهم ويأخذون جزء من ثمار البساتين، وفي وقت القوافل التجارية ومرورها، يقبعون على قارعة الطريق ويستفيدون من ضيفة الرحالة.

ويخصص الخدام للنبلاء كل عام جمل أي إيناء زبدة، كما يحتفظون لهم بحليب لعشرة خرفان أو ماعز وحماية قطعانهم، ولا يثقلون كاهلهم بهذه الأمور، فهم نادرا ما يحتاجونهم، أما البطن التي تحوي الطفل، أي الطفل عند الطوارق يتبع دم أمه" فدم الطفل

---

(1) - - Daumas(Eugène) ,et Chancel(A.),op cit , p47.

(2) – كلمة تارقية، وتعني الفئة الثانية من التشكيل الاجتماعي للطوارق وهم الخدم.

أب عبد أو خادم وأمه نبيلة فهو نبيل، ابن نبيل وأمه خادمة فهو خادم، ابن نبيل وأمه من العبيد فهو عبد ".[3]

وأغلبية الطوارق يملكون العبيد السود المجلوبين من السودان من طرف القوافل التجارية، ويباعون بأرخص الأثمان، أي هنا الطفل يتبع دم أمه، كما هناك حق للخدام إمتلاك العبيد، وهؤلاء العبيد يهتمون بالحياة، ويرعون القطعان ويسيرون مع القوافل وأسيادهم في تنقلاتهم الطويلة، وتتساوى المرأة مع الرجل في الميراث وهي تسيِّر ثروتها لوحدها.[1]

والآن سنقوم باستعراض القبائل النبيلة التي لها قبائل تعمل لخدمتها وهي على الترتيب الآتي:* قبيلة ايمنانن: ولها خمسة قبائل من الخدم وهم:

1- ايباطانتان.
2- كل ميهان.
3- ايكندمان
4- كل احرير
5- ايكوكومن

* قبيلة ايمنتن وقبيلة أورغان، وهما كذلك لهما خمسة قبائل من الخدم وهم:[2]

1- ازدجرتن
2- كل جانت
3- كل فرحي
4 كل تملرهيك

---

(3) - - Daumas(E) ,et Chancel(A.),op cit , p48

(1) - 1Duveyrier (H.) : Les Touareg, op cit, p 6

(2) - Daumas, le Sahara, op cit , p89.

5- كل تازولت

* قبيلة أوراغن ولها أربعة عشرة قبيلة وهم:[3]

1- ادجر اجروان مع كل جانت.

2- كل توبارن مع وي ايهارقاارن.

3- ايورورن مع كل عابدة.

4- ايفيلالن.

5- كل اينتون.

6- كل اراس.

7- كل اهراهر.

8- كل إرخمت.

9- كل دجاهيل.

10- كل فطنون.

11- كل ميداك.

12- إيميكراسن.

13- شط إلحما.

14- كل كلواز.

* قبيلة إيمان غاستن بفرعها الثلاث: تيدجيهي ان عبار وانا ناكانون وتيدجهي ان بادي بدورها لها ثلاثة قبائل وهم:[1]

1- ايسسمودن.

2- ايكلززهان.

---

(3) - Daumas(Eugène) ,et Chancel(A.),op cit , p49.

(1) 5– Duveyrier (H.) : Les Touareg, op cit, p 6

3- ايكلزن.

* قبيلة كل ايرحابن ولها قبيلة واحدة تخدمها وهي:[2]

1- ايكلزن.

* قبيلة ايهاطانارن بفروعها الثلاثة وهم:

1- دي ساطافنين.

2- وي تامولات.

3- درقو.

* قبيلة ايفوغاس بفروعها الثلاث وهم:

1- أن أوكيران.

2- إن ايقوطاط.

3- ان أت طبول.

ما هو ملاحظ من وجود القبائل النبيلة والقبائل الخادمة، وفي مرحلة ثالثة فئة العبيد نجد أن سكان الطوارق يعيشون هاته الفروق الطبقية، وذلك يعني أن لهم نمط معيشة خاص جدا، فحسب هذا الترتيب يعني وجود مملكة أو إمارة، ولا يسعنا إلا أن نبحث في هاته التركيبات التي تشكل نموذجا منفردا.**(انظر الجدول رقم:04 في الملحق).**

(2) - Daumas Eugène) ,et Chancel(A.),op cit , p51.)

اعتمد قويون (Gyon) في وصفه للطوارق على الجنرال دوماس (Gl Daumas) ويقول توجد جنوب بسكرة الصحراء الكبرى، أين يسكن الطوارق وهم شعب أبيض وتشبه لغتهم لغة الأوراس[1] (يوجد تشابه كبير بين اللهجات الجزائرية لكن لهجة الطوارق مازالت لهجة محافظة على خصوصيتها ، لم تتأثر إلا بالشيء القليل نتيجة بعدها عن التأثيرات الخارجية).

وإذا أردنا البحث عن الوضعية الجغرافية للطوارق مازالت غير مضبوطة وحياتهم ذات ميزة خاصة، هذه المساحة المحاطة بتديكلت في توات، نزولا إلى تمبكتو وعلى طول النيجر من الغرب إلى الشرق صعودا إلى فزان وغدامس وهي أقصى نقطة لإيالة طرابلس، هذه المساحة تعتبر محيط والطوارق قراصنته[2]، وهذه نظرة احتقار مثلما كانت في القرون السابقة، أي من هو خارج عن الحضارة الأوروبية، كلهم وحوش يحتاجون إلى التحضر والتمدن.

(1) - Gyon(M.) :Voyage d'Alger aux Ziban l'ancienne Zèbe en 1847.impr du gouvernement, Alger, p443.
(2) - Ibid, p445.

كما يقول أنهم منحدرين من الأتراك، فيما يخص المميزات الفيزيائية فيقول:"وهم أقوياء، ضخام، هزيلين، بشرة بيضاء حتى طوارق الذين يقطنون أسفل تمبكتو" والبطون التي تقطن بلاد السودان، عيونهم عادة جميلة، أسنانهم جيدة، ولهم شنبات كبيرة مثل الأتراك...نساؤهم عاريات الوجوه، وجميلات وبيضاوات(مثل المسيحيات).[1]

وفي مدينة تيميمون يسود نظام الجماعة على غرار توات، ولكل حي رئيس يمثلهم عن الجماعة، تعدل بين الناس وتساوي بينهم لكنها لم تصدر حكما بالإعدام فالقاتل يدفع الدية لعائلة الضحية بأربعمائة (400) دورو، ويعرض السارق في أحد الأماكن العمومية والمارة تطبق عليه الفلاقة حتى الاعتراف بجرمه وعندما يجرح أحدهم بآلة حادة، [2] الجماعة تعين أحد الأعضاء لمعاينة حالة الجرح وتطبيق غرامة على الفاعل، وهناك آلة قياس الدم فالجرح من الدرجة الأولى يغرم باثنين (02) دورو ودرجتين بأربعة (04) دورو وهكذا.

ومن صلاحيات الجماعة إعلان الحرب ، أخذ السلاح وشروط السلم وجميع الشؤون للفائدة العامة تعالج في مجلس الجماعة، إضافة إلى حفظ النظام الداخلي والنظر إلى احتياجات الفقراء والرحالة، ويخصص لهم من جني الأغنياء

---

(1) – Gabriel(G.), op cit,pp 28-36.

(2) Le grand désert, op cit,p 71.:Eugène – Daumas

من التمر وأنواعها، وهذا من أجل وجه الله تعالى، ويُوزَع على الفقراء والمحتاجين في كل حي من طرف المرابطين.

خلال إقامة الرحالة بتيميمون صادف الحاج محمد بن مهدي رئيس الجماعة قد زوج ابنته لابن الشيخ علال من حي أولاد منجور، وقد حضر هاته الزيجة كل أعضاء القافلة، بعد قصة حب بين مسعود وابنة الحاج محمد، تكوَّنت في إحدى ليالي السمر في الواحات وبعد المغيب، وهي عادة كل الأهالي الالتقاء في البساتين والحدائق تقدم مسعود عبر أحد الموجودين إلى أبيها لخطبة ابنته[1]، الذي أملى عليه شروط وهي كالآتي:

مائة (100) دورو- خادمة سوداء – خلاخل وأساور من فضة – اثنان (02) من الحايك الرقيق- أحذية من فاس- أربعون (40) قصعة قمح- عشرون (20) قصعة شعير- ستة (06) أواني من الزبدة- سرغينا(جذع معطر يستعمل ضد الحمى)-كحل- عطور.

تم كل شيء ويلبس العريس أحسن ما لديه من ثياب ويجهز نفسه بأسلحة لأنَّ المرأة يجب أن تأخذ بالقوة من أهلها، وتوصي الأم ابنتها بالوصايا المعهودة من أجل راحتها وراحة زوجها، والرجال في توات لا يتزوجون لا من المرأة الضعيفة ولا المريضة والتي لا تقوى على إنجاب الأطفال.[2]

أما ذكر الطلاق وشروطه، فالأهالي يستطيرون من الأشياء التي تقع أثناء حفل الزواج وخاصة في المنطقة[3]، أو يموت إحدى الزوجين، لأنه خلال الخطبة لوحظ أن شابا سقط من أعلى النخلة، وقد عانى كثيرا من كسر ساقه لمدة أربعين

---

(1) Eugène – Daumas.: Le grand désert, op cit, p74.

(2) –Ibid, p75.

(3) – العياشي، مصدر سابق ص27.

(40) يوما ووضعت له الجبيرة بخليط من الآح والفرينة، وقطن وقصب النخيل، كما يستعملون الكي في علاجهم وهذا في اليوم السابع.[4]

وفي يوم 13 ماي 1859م(10 شوال1275هـ) غادر هنري دوفيريي(Duveyrier Henri)[5] واحة بسكرة ليرضي حبه للعلم وحبه الشديد لإستطلاع أماكن جديدة وبعيدة، وشغفه باكتشاف الصحراء جعله يزداد حماسا إلى اكتشافها[1]، وما توصل إليه كان نموذجا لشارل دوفوكو**(انظر الصورة رقم 04)** لمعرفة المغرب. **(2)**

فقال عن بسكرة أنها مدينة النخيل تقع على خط 3°-22' طولا و 34°-57' عرضا نحو الشمال، تبعد عن قسنطينة إلى الجنوب الغربي بـ 232 كلم، و 397 كلم جنوب الجزائر، وإلى الشمال الغربي من تقرت بـ 228 كلم، وتحتوي بسكرة على 120 ألف نخلة، [3] وفي جهة مقابلة نجد قيون(Gyon) يصرح بأكثر من هذا العدد فهل يبدو أن دوفيريي مرَّ على هاته المدينة دون أن يقيم بها مثل قيون.

يبدو أن بسكرة كانت أيضا بحكم بعدها عن مركز الحكم التركي وتبعيتها لبايلك الشرق (قسنطينة)، تتمرد على الحكم التركي بعدم دفع الضرائب والغرامة السنوية والإتاوات، وهذا ما يفسر الحملة التأديبية من طرف صالح باي[4]، ويقول

---

(4) Le grand désert, op cit ,p 77.:– Daumas

(5) -ولد سنة (1840م -1256هـ) بباريس، ومات سنة(1892م-1310هـ)، منتحرا نتيجة للمرض وخيبة الأمل والانهيار العصبي، مكتشف عندما أنهى ، كتابه حول طوارق الشمال تحصل من الجمعية الجغرافية بباريس على ميدالية ذهبية سنة (1864م-1281هـ).. إسماعيل العربي ، الصحراء،مرجع سابق،ص 35.و إبراهيم مياسي،مرجع سابق،ص 287.

(1) - Dominique casajus : Henri Duveyrier et le désert des saint simoniens, p54.

(2) –Charles Vicomte De Foucauld، ولد بستراسبورغ سنة (1858م- 1275هـ) مكتشف ورحالة فرنسي مكث بالصحراء وبالضبط بتمنراست ، درس لهجة الطوارق ، اغتيل سنة (1916م-1334هـ). مياسي،مرجع سابق،ص360.

(3) op cit, p 59.,– - Dominique casajus

(4) –Gyon (M.), op cit,pp,171-175

مولا أحمد[5] وهو الرحالة الذي زار بسكرة للمرة الثانية سنة (1710م-1122هـ) في شهر سبتمبر:"بسكرة جميلة، ومدينة كبيرة تربح الكثير من النقود، سكانها كثيرون التجارة مزدهرة، الزراعة منتعشة موقعها بين التل والصحراء...بها عدد هائل من أشجار النخيل وعدد من أشجار الزيتون...وبها حقول الحناء ".[6]

ودرس القبطان موليا دانيال (Maulia(Capitaine Daniel ، التقسيم العادل للمياه ومبادئه، وطرح إشكالا فيما يخص ملكية المياه المتوفرة: ينبوع، بئر عادي، بئر ارتوازي،أو نهر، وعلى أساسه يقسم أو يصنف الواحات حسب المياه المتوفرة والشروط الجغرافية للمياه ونتائجها الاقتصادية وعادات وتقاليد السقي المتعارف عليها بين الأهالي، إذ أن هناك نوعا من الواحات ليس بعيدة عن سفوح جبال الأطلس الصحراوي تروى من مياه المسطحات، والتي مصدرها الأمطار المتساقطة بأعالي الجبال والتي تسقى كثير من الأنواع، وهي:[1]

*نخيل الزاب الغربي.

*نخيل الزاب الشرقي تسقى من مياه الوديان القادمة من جبل الأوراس وتتفاوت كميات المياه حسب الفصل، ووفرة المياه وتنوع مصادرها، قسمت المناطق إلى اثنين مناطق زراعية ومناطق حيوانية.

أما منطقة ميزاب فهي اتحادية مكوَّنة من سبعة (07) مدن مقسمة على أربع(04) واحات على مساحة ستمائة (600) كلم، جنوب الجزائر بين الأغواط في الشمال ومتليلي في الجنوب[2]، وهي أول الواحات التي تصادفنا في الشمال، وهي

---

(5) – رحالة عربي، عبر شمال إفريقيا من الغرب إلى الشرق سنة (1709م /1121هـ) له كتاب رحلة إلى جنوب الجزائر والبلدان البربرية ترجم إلى الفرنسية منة طرف أدريان بربرقر(Adrien Berbrugger)، وذكر موقعها بأنه بين التل والصحراء. بلحميسي: المغاربة، مرجع سابق، ص 28.

(6) – Gyon (M.), op- cit,p314.

(1) -Maulia (capitaine Daniel) : chef de bureau des affaires indigènes !! l’organisation hydraulique des oasis ! !Maricel larnaude!!1927!!julescarbanel R.A, N°68!!Alger!!carte1!!sahariennes, in 8°-305 pages .7p30!!

(2) - Paul Soleillet, op cit, p69.

واحة بريان التي يقطنها حوالي أربعة (04) إلى خمسة (05) الآلاف وتتعرف بجودة تمورها، وتتكوَّن منطقة ميزاب من عدة قصور وهي:

1-أونوري غرداية بها سوق أسبوعية وبساتين جميلة ، وتتكون من أربعة عشر(14) إلى ستة عشر (16) ألف ساكن الثلث منهم ليسوا ميزابيين، كما يقطنها حوالي خمسين (50) إلى ستين (60) عائلة من اليهود. [3]

2-إلى الغرب بني يزقن وتتكوَّن من عشرة (10) إلى اثنا عشر(12) ساكن كلهم بني ميزاب، وبها سوق العبيد المجلوبين من عين صالح.

3-إلى الجنوب بنورة أهم مدينة حاليا وبها آثار.(لم نعثر لها على تعداد للسكان)

4-إلى الجنوب الغربي مليكة المدينة المقدسة لميزاب، وتكوَّن من أربعة(04) إلى خمسة (05) الآلاف ساكن وبها عدد لا بأس به من الشعانبة، ومنها نجد العطف والقرارة.[1]

هاته المدن تشكل التجمع السكاني لميزاب وغالبيتهم من البربر، وعددهم من خمسين (50) إلى ستين (60) ألف ساكن[2]، وهي منغلقة ومحافظة من أي تأثير خارجي ولها نظام خاص بها، في القضاء والحكم بين الناس في المعاملات اليومية بواسطة الجماعة، وهذا التنظيم مازال ساري المفعول في كل المدن.

وللجوامع أملاك لا بأس بها وهي حبوس، فكل جماعة تنتخب ثلاث (03) مقدمين (جمع مقدم) أو حارس يقوم بأعمال، الإدارة والبلدية، وإدارة شرطة الأسواق وتطبيق الأحكام ومكلفون بإبلاغ الجماعة لعقد اجتماعاتها، وأغلبية الميزابيين يشتغلون بالتجارة بجميع أشكالها، ولهم علاقة مع القوافل التجارية

---

(3) - Chentouf(A.) : Les juifs d'Algérie, 2000 ans d'existence,1999,p88.

(1) – Paul Soleillet, op- cit, pp76-77.

(2) – لا ندري كيف أجريت الإحصائيات، أم هي تقديرية فقط.

(الشعانبة، أو من توات وتيديكلت[3]) ويتجارون في الحنة والريش والعبيد ويصنعون الحايك البرانيس والسجاد الميزابي.

الميزابيون معرفون باشتراكهم في التجارة في كل القطر، وهم من سلالة مختلفة عن أهل الصحراء فبعض الكتاب ينسبونهم إلى البربر[4]، وهجروا المدن الساحلية بحثا عن الأمن والآمان، وشكلوا مجموعة من المدن القوية بين الأغواط وورقلة، وغرداية هي أهم هاته المدن وهي محاطة بغابة نخيل(80 ألف نخلة) وتسيَّر من طرف جماعة، والمذهب الذي يتبعونه يشبه الشيعة على خلاف باقي المناطق التي تتبع المذهب المالكي. [5]

و ينتقل بني ميزاب من مكان لأخر لتكوين أنفسهم، ويشتغلون بحرفة التجارة على حسب احتياجات كل منطقة فمثلا في قالمة يتاجرون بالحبوب وبقسنطينة بالتوابل والصوف، فهم يعتنون بالحمامات والتدليك، والتي تتطلب معرفة جيدة بتركيب جسم الإنسان، والميزابيين خارج ديارهم يتكتلون ويتضامنون فيما بينهم وعندما يتوفى أحدهم وعليه دين يقضى عليه، ولا يدفن في مقابر المالكية، حيث لهم أمكنة خاصة مختلفة[1] فهي بدون شواهد وتسوى مع الأرض.

وتناولت الآنسة قواشون المعارف في سوسيولوجيا المسلمين، لمعرفة اللغة العربية والبربرية، وتكوين المجتمع الميزابي وتشريعاته العائلية، والاهتمام بالمواليد والطفولة، والزواج، والشباب، والسعادة والآلام.[2]

وكحكم تعسفي على هاته المنطقة فهي مبالغة في الإدلاء برأيها بوصفها لوادي ميزاب بحياة البؤس والعقم على الرغم من أنه أنجب الكثير من العلماء والفقهاء(الثميني[3] واطفيش[4] وغيرهم).

---

(3) – هذا الإسم نسبة إلى الجهة الواقعة جنوب الهقار في وسط الصحراء لما لها من موقع جغرافي متميز وتضاريس تختلف عن غيرها من المواقع ولهذا جاء المعنى البربري لتديكلت ومعناه كف اليد دلالة على ما كنت تتسم من امتيازات جغرافية وتجارية. كما قلنا تقع في أقصى الجنوب الجزائري بين خطي عرض 25°-30° شمالا وخطي طول 1°غربا و 6°شرقا ، يحدها من الشمال هضبة تادمايت ، ومن الجنوب منطقة الهقار ، ومن الناحية الشرقية واد إغرغار، ومن الناحية الغربية منطقة توات وصحراء تانزروفت. الحاج التومي سعيدان،مرجع سابق،ص 19. ومياسي،مرجع سابق،ص301.

(4) - Mercier Marcel : La vie féminine au M'Zab, R .A, N°69,Opu, Alger,1928, p42.

(5) - Mangin(E.) :Notes sur l'histoire de Laghouat, R .A, N°38, Opu, Alger, p59.

(1) - Louis Régis : Constantine voyages et séjours, calamanne lévy,éditeur ancienne maison michel lévy frères, paris,1880,p158.

(2) - Goichon(A.M) : la vie féminin au m'zab, étude de sociologie musulmane, R.A N°69 préface M.William Marçois, un volume XIX pl XN et 345p, in-4°Genthiner 1928,p 133.

بنيت مدينة القرارة قبل تأسيسها قرب المكان الذي تحتله المدينة حاليا سنة (1631م -1040هـ)، ويوجد بها قصر يسمى بـ "لمبرطخ"[1]، الذي بني من قبل أولاد نوح ببريان[2]، وبني أولاد بخة[3] القرارة الذين سكنوا غرداية ومليكة.

وقبيلتي أولاد بخة وأولاد نوح ينتمون إلى المذهب الأباضي ويقطنون الأغواط واضطهدوا من قبل أهل المالكية، فهربا إلى غرداية بحثا عن ملجأ، فأولاد بخة قصدوا غرداية وأولاد نوح قصدوا بني يزقن.[4]

وقرارة أولاد بخة تنقسم إلى ستة فروع: كل واحدة تبعث بمندوبها إلى المسجد وإثنان إلى الجماعة ، والفروع هم:

---

[3] – هو عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله،ضياء الدين الثميني المولود ببني يزقن سنة (1718م-1130هـ) من كبار فقهاء الأباضية، أعظم عالم مسلم في الفقه والكلام والأدب، وجاهد اجتماعيا، فقد حارب البدع الضارة والجهل والتعصب المذهبي حيث كان يدعو إلى الوئام، والوحدة الإسلامية، والمعرفة العلمية الصحيحة فاتخذ المسجد منبرا لهذه الدعوة الإصلاحية الإسلامية،وله اهتمام بأصول الدين والحديث والمنطق والأخلاق، من آثاره كتاب "النيل وشفاء العليل"،و "الورد البسام في رياض الأحكام"، و"تعاظم الموجين" وهو شرح موج البحرين للسدراتي في المنطق والكلام، و"عقد الجواهر مختصر بحر القناطر" وهو مخطوط في الفلسفة الشرعية والآداب الإسلامية و"الأسرار النورانية"، و"المصباح" مختصر في الفقه والآداب، و"معالم الدين" في علم الكلام.توفي سنة (1808م- 1223هـ).حمو محمد عيسى النوري، مرجع سابق، ص ص74-78.

[4] –هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى اطفيش المولود سنة (1820م-1236هـ) والمعروف بقطب الأئمة فقيه،مجتهد من كبار علماء الأباظية ودعاتها إلى النهضة والإصلاح، مفسر للقرآن الكريم، ومتكلم أصولي مناظر، بحاثة محقق، مهتم بالمنطق والفلسفة، العلوم، التاريخ، السياسة، وأديب لغوي شاعر، له مؤلفات منها في التفسير :"هيمان الزاد ليوم الميعاد، وتيسير التفسير"، وفي الحديث والسيرة "الضمانة بأداء الأمانة، وترتيب التريب، وجامع الشمل في حديث خاتم الرسل" وفي التاريخ والسير"كشف الغمة في شرح لامية ابن النظر (مخطوط)" وكذلك كتب في التوحيد وعلم الكلام والفلسفة، وكتب في اللغة والأدب والأخلاق. توفي سنة(1914م- 1332هـ).نفس المرجع، ص ص 60-63.

[1] – مكان القصر القديم المسمى لمبرطخ معروف بارتفاع(رقوبة) تقع في وسط الواحة الحالية القرارة وتسمى رقوبة لمبرطخ. Motylinski(A .C) - Notes historiques sur le M’zab-Guerre depuis sa fondation, R A N°28, opu, Alger,1884, p417 :(416.C!

[2] – وهي إحدى المدن الهامة لوادي ميزاب..Motylinski(A .C) ! !!417

[3] – أولاد بخة له عدة أبناء وهم بخت بن يعقوب بن محمد بن أحمد بن عابد بن موسى بن سليمان بن عبد الله بن هلال بن عبد الله بن عفار بن عمور بن جابر بن بورياح بن عبد الله بن أحمد بن شارف بن يحي بن أحمد بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة ابنة الرسول(ص). . Motylinski(A .C) !! !418!

[4] - Motylinski(A .C) ,op cit, p418.

فروع وادي ميزاب بمنطقة القرارة	الجنس	عدد العائلات
أولاد بولحوم(الجهة الغربية)	بني ميزاب	193
أولاد لحية	بني ميزاب	90
أولاد مرزوق	بني ميزاب	28
أولاد حمو بن براهيم	بني ميزاب	31
أولاد جلهان(الجهة	بني ميزاب	69
الشعانبة	عرب	30
المجموع		913
ناصر		
بلاط	بني ميزاب	100
أهل مليكة	بني ميزاب	99
العرام	بني ميزاب	50
عطاطشة	عرب	136
الشرفة	عرب	33

* جدول يبين فروع أولاد بخة بمنطقة بني ميزاب.

Motylinski(A .C) : Notes historiques sur le M'zab- Guerre depuis sa fondation, R A N°28, opu, Alger,1884.

على حسب تعبير موتيلينسكي(وهو مترجم عسكري في منطقة ميزاب)، البطون الحالية للقرارة هم: أولاد اللحوم ، أولاد لحية ، أولاد مرزوق،أولاد حمو بن براهيم ، أولاد جلهان، أولاد قاسي بن ناصر، بلاط، أهل ملكية، العرام،عطاطشة، الشرفة والشعانبة. كما نلاحظ كذلك في الجدول أن الغالبية لبني ميزاب حيث يقدر **عدد العائلات بالوادي بسبعمائة وأربعة عشر (714) عائلة، في مقابل العائلات العربية**

المقدر بمائة وتسعة وتسعون (199) عائلة، ولعل تمركز بني ميزاب في هذا الوادي البعيد، هربا نتيجة الاضطهاد في تيهرت والحفاظ على مذهبهم الأباضي، وعلى نمط معيشتهم الخاص هاته القبائل هم الذين أسسوا القرارة مع الشرفة والمرازي لكنهم يتعايشون فيما بينهم بالرغم من اختلاف المذاهب، لكن الأصل واحد يجمعهم وهو الدين الإسلامي. وبعد قرون من تأسيس القرارة امتلكت هاته الواحة مساحة معتبرة مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وبلغ عدد الأشجار بها ثماني وعشرون ألفا وسبعمائة وثماني وعشرون (28728) نخلة، والأشجار المثمرة المختلفة (المشمش، الرومان والتين) ، وصل عددها أربعة الالآف وثلاثمائة وثمانية (4308) شجرة، وعدد الآبار التي في الخدمة ألف وستة عشر (1016) بئرا.[1]وكانت القرارة منطقة جلب للقبائل العربية المجاورة في فصل الصيف وسنستعرض في هذا الجدول القبائل التي كانت تزور المنطقة وهي:

الجهات القادمة منها القبائل العربية إلى القرارة	أسماء القبائل العربية
جهة قبائل الشرق	أولاد سايح، سيدي أولاد عمور،أولاد مولات،دريس،أولاد ساسي.
جهة أولاد نائل (بوسعادة والجلفة)	أولاد عيسى.
جهة قبيلة الأرباع (من أهم فروع الأغواط)	حرازلية، أولاد صلاح، رحمان.
جهة من قبائل الأغواط	مخاليف
جهة القبائل المجاورة لغرداية	سعيد عتبة،مخادمة، شعانبة.

Motylinski(A .C), op cit

الجدول يبين القبائل العربية المجاورة التي تفد إلى منطقة القرارة في فصل الصيف ومازالت إلى حد الآن ، تقصد المناطق السهبية الباردة هروبا من حر الصيف.ويقول بول سولييه[2]، لحد الآن هناك طريق من المحيط إلى البحر الأبيض المتوسط من الجزائر حتى السينيغال، ثلثين من هذه المساحة فقط هي مكتشفة، الثلث الأول من المحيط إلى تمبكتو، اكتشف من طرف رينيه كاييه (René Caillié) الذي زار

---

[1] – Motylinski(A .C) op-cit ,p 421.

[2] – ولد سنة (1842م-1258هـ) درس بأفنيون، واطلع على رحلات مونقو بارك(Mungo Park)، وريني كاييه (René Caillié) وأعجب بالقارة السمراء، اتجه إلى الجزائر وتونس، ومنها بدأ في تسجيل العادات والتقاليد، وأخلاق حضارات الشعوب التي زارها، أتقن اللغة العربية ودرس القرآن، في سنة (1870م-1287هـ) زار إفريقيا متنكرا بزي عربي، وأصبح منهم بعدما كسب العديد من الصداقات، توفي سنة (1886م-1304هـ).www. Algérie-anicenne.com/livres/sahara.

السينيغال متنكرا في زي درويش يوم 28 ماي 1828م(15 ذي القعدة 1244هـ) وقد دخلها قبله رحالة وحيد و هو الميجور الانجليزي جوردن لاين (Gordon Laing) المغتال بين تمبكتو واوران في سبتمبر 1826م،(صفر1243هـ) كما دخلها الدكتور هنري بارث(Henri Barth) أما الثلث الأخر من البحر الأبيض المتوسط إلى واحة عين صالح اكتشفها الكاتب (بول سوليه) [1]، الذي بدأ رحلته من الجزائر إلى عين صالح، لكن هناك كل من الميجور الانجليزي جوردن لاين والألماني جيرهارد روهلفس (Gerhard Rohlfs) ، الذي كان متنكرا بزي مسلم فالانجليزي أتى من غدامس إلى تمبكتو، والألماني من تافيلالت ودخل إلى أوروبا عن طريق غدامس ثم زارا واحة عين صالح، لكنهما لم يعبرا الطريق إلى تيديكلت والتي لم تزل غير معروفة، ويقول سولييه :"هناك ثلاثة رحالة أوروبيين كاثوليك حاولوا دخول واحة عين صالح هم بوليمي، مينوريه وبونشان (paulmier Bonchamp et Minoret) لكن قطعت رؤوسهم في جانفي (1876م-1293هـ)، في نقطة غير محددة بين واحة القليعة وواحة عين صالح[2]، وعند سمع الكاردينال لافيجري (Lavigerie) بهذا النبأ قال :"أنهم ماتوا في سبيل الله"[3] يعني حسب كلماته أنهم بصدد القيام بمهمة سماوية، وهي نشر المسيحية وإخراج هاته الشعوب من الظلمات التي تعيشها.

وبدأ بول سولييه (Paul Soleillet) رحلته من الأغواط إلى تيديكلت، وتبعد الأغواط عن الجزائر أربعمائة وأربعون (440) كلم، وهي مرتفعة بحوالي سبعمائة وثمانون (780) مترا عن سطح البحر موجودة بالصحراء، وبنيت بين هضبتين في وسط رملي يعبر واد مزي محاطة بسور وبساتين مثل باقي الواحات

---

(1) - Paul Soleillet, op cit, p 130.

(2) - Ibid, pp 76-79.

(3) – إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها،ص 111.

في الصحراء لها جمال خاص وهي كبيرة مملوءة بالنخيل، والنور، سكان هاته الواحات مقسمين إلى ثلاثة: عسكر مدنيين وأهالي.[4]

فسيطر العسكر على الإدارة، والعدالة، وكل الأعمال التي تهم الحكومة ففي تنظيمنا (حسب تعبير سوليه) هذا يشبه تنظيم الإمبراطورية العثمانية، ووجدنا أن العدالة في العهد التركي توكل إلى قاضي حسب المذهبين (المالكي والحنفي)، للفصل في النزاعات وتحرير العقود العامة، فالأغواط بها قاضي مالكي، وتوكل قضايا الرعايا اليهود والأوروبيين إلى قاض حاكم المكان.[1]

أما المدنيّون فيشتغلون بالتجارة خصيصا في بيع الحاجيات الاستهلاكية كالتوابل اللحم والخبز، ماعدا أمين الخزينة والبريد والمكلف بالخطوط التليغرافية فهم من الأوروبيين، وتتركز ، وخصصت مدرسة واحدة للأطفال الأوروبيين أو الغربيين ويتعلمون كلتا اللغتين الفرنسية والعربية مع بعض الإسبان.

وأخيرا الأهالي وهي طبقة ذات أهمية بالنظر لموقع الأغواط من النيجر إلى الجزائر، فهي تعتبر عاصمة من طرف سكان إفريقيا الغربية وتلقب بجزائر الصحراء[2] وخضعت هاته الواحة للسلطة الفرنسية منذ (1814م-1230هـ) وهذا بالتعاون مع أحمد بن سالم[3] معهم، وأصبحت تسير من طرف فرنسا سنة (1852م-1269هـ).

وينافسه في الزعامة مولاي علي بن الحاج عيسى زعيم الأهالي، والحاج عيسى[4] هذا كبير المرابطين في منطقة الأغواط وصيته يصل حتى ورقلة.

---

(4) – Paul Soleillet, op cit ,8p8.

(1) – Paul Soleillet, op cit, p92.

(2) إبراهيم مياسي، مرجع سابق،ص 48.

(3) – أحد زعماء الأغواط لعب دورا هاما في تاريخ الأغواط،حيث استطاع أن يكسب ودَّ الجميع، ويحكم الأغواط بمفرده، وعرفت البلاد منذ وصوله إلى السلطة سنة (1828م- 1244هـ) نوعا من الاستقرار والهدوء سمح بنمو وازدهار الحركة التجارية. مياسي،المرجع السابق،ص48.

(4) – معروف بسي الحاج عيسى، رجل علم وإصلاح، ولد بتلمسان سنة (1668م- 1079هـ)وهو من العائلات العريقة بتلمسان، أبوه عيسى بن إبراهيم، وأمه محبوبة بنت الحاج بوحفص، غادر تلمسان سنة (1694م-)ومرَّ على وهران، ثم عرَّج على الأحرار ليمكث عندهم بعض الوقت أخذ الطريقة والذكر عن الولي الصالح سيدي ناصر، وبذلك انتشر صيته في كامل القصور وحضي بالاحترام من طرف الجميع، توفي سنة (1737م-1150هـ). نفس المرجع،ص 45.

وبالأغواط[5] أقدم عائلات البلد(الأغواطية) يتزاوجون بينهم، وهي مركز يتعايش فيه الجميع من يهود وعرب، وبني ميزاب، فالميزابيون يعيشون في القصور وتساهم نساؤهم في الغزل وغسيل وتنظيف الصوف والوبر بأرجلهم بوادي مزي وبعد ذلك تعرض على الشمس، هاته الصناعة النسيجية تعتبر المورد الهام للأسرة من صناعة الحايك البرنوس... ".[1]

و تنكر سولييه بزي عربي ووصل به إلى القصبة، واستقبله سيدي محمد ابن الحاج دريس[2] في مكان خصصه له، وهو ضابط من السبايس الأهالي وينتمي إلى قبيلة الصحاري لإقليم بسكرة، كان يتكلم ويكتب الفرنسية جيدا، حيث مكث بباريس وتأثر بالحضارة المعاصرة.[3]

أما عن ورقلة فهي مدينة بنيت وسط غابة نخيل، وهي الأكثر من حيث أشجار النخيل في كل واحات الصحراء خمسمائة ألف(500.000 نخلة)حسب الإحصائيات.

وقد زارها ليون الإفريقي الذي حدث أحسن سلاطينها، وعرف أهمية تجارتها شوارعها ضيقة بيوتها منخفضة وصغيرة وفي وسطها سوق كبير.[4]

وزار سولييه واحة القليعة لأول مرة في سبتمبر 1854م (محرم 1271هـ) وحدد هنري دوفيريي بواسطة النجوم، موقعها الفلكي 30° 32' 11" عرض شمالا ومن 0° 47' 31"طولا وبارتفاع (402)مترا.[5]

---

(5) – استمد الاسم وهو جمع لكلمة غوط التي تعني المساكن المحيطة بالبساتين، ويرى ابن خلدون أنهم فخذ من قبيلة مغراوة في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هناك قصر مشهور بهم، لهذا يطلق على سكان هذه المنطقة ببني الأغواط . نفسه،ص 43.

(1) –Paul Soleillet, op- cit, p 99.

(2) –وهو الآغا الحالي لورقلة سيدي محمد بن الحاج إدريس، الأخ الأصغر لسيدي محمد الذي تغلب على بوشوشة.

(3) Paul Soleillet, op- cit, p 10 —

(4) –Léon L'africain, op cit, 122.

(5) - Duveyrier (H.) : Les Touareg du nord, op cit,p 53.

والقليعة تلقب كذلك بالمنيعة وتاهورات، والإسمين الأولين ينادونها به الشعانبة والتي تعني بالفرنسية ممر أو شيء متواصل ، فحسب دوفيريي إسم للواحة، وتعني الغابة الصغيرة المنيعة(تقرير الجمعية الجغرافية الباريسية-سبتمبر 1815م" شوال 1230هـ")

أما مدينة عين صالح فهي تنتمي إلى تيديكلت وبها خمس (05) مجموعات من الواحات التي تكون أرخبيلا والتي أعطاها الجغرافيين الأوروبيين[1] اسم جماعي وهو توات.[2]

وحسب باريسو.م (M.Parisot) القليعة تعني ديسات والمنيعة تعني من نجينا(حسب تقرير الجمعية الجغرافية الباريسية في سبتمبر 1875م "شعبان 1292هـ") تتكون من ثلاثة (03) أجزاء: قصر على قمة صخرة، قرية كلها سوداء وبها حقول النخيل، والقصر[3] محاط بسور مبني بالصخور الكبيرة ويقال أن برنارد دي باليسي (Bernard de Palissy)، نصح الأهالي ببناء مدينة على شكل ملجأ تشبه الحلزون أو القوقعة، أما سكانها فهم مزيج بين العرب والبربر، وأغلبيتهم سود مثل أهل ورقلة والقرارة ويسمون كذلك الرواغة.

وتعبر الواحة القوافل التجارية لأهل عين صالح وتيميمون[4] والذاهبة إلى ميزاب كما يعبرها قوافل الشعانبة المتجهة نحو تيديكلت والقرارة هؤلاء القوافل تموِّنها بما تحتاج.

---

(1) - Duveyrier (H.) : Les Touareg du nord, op cit, p54.

(2) –خمس مجموعات التي تشكل ارخبيلا والتي يعطى لها إسم توات، وهي كلمة بربرية لكلمة واحة وتحتوي على 300 إلى 400 مدينة وقرية صغيرة، وهي توجد على 800 كلم من الشرق إلى الغرب وعرض 160 كلم ما بين وهران والجزائر إلى الطريق المباشر إلى الطريق من الجزائر إلى النيجر حسب هنري دوفيريي.

(3) – وهي القرية الصغيرة بالصحراء، أنشئت بالقرب من نقاط الماء أو الواحة، . مياسي، مرجع سابق ص130.

(4) – هي أم قرى منطقة تنقورارين وتقع على بعد 184كلم ، من أدرار إلى الشمال، على الطريق التي تربط المنيعة ومقاطعة غرداية بإقليم توات،.مياسي، مرجع سابق، ص324.

وسلطان المغرب مولاي إسماعيل بن علي، كانت يغار من غنى القليعة، فأراد أن يدمرها ودخل معها في حرب من أجل ذلك لمدة ثلاث (03) سنوات من الحرب الشيء الذي جعل شعانبة محادي يسرعون لإنقاذ القليعة وتقاسموا بساتينها مع أولاد سيدي الشيخ.[5]

وتعتبر عين صالح هي حلقة وصل بين القوافل التجارية، فهي تبعد بنفس المسافة على الجزائر شمالا وعلى تمبكتو جنوبا، وهذا ما زاد عين صالح تزداد أهمية تجارية بحيث هي مستودع جميع البضائع لتموين تمبكتو والسودان الغربي و إفريقيا الشمالية، وقد زار عين صالح قبل الكاتب بول سوليه كل من: [1]

1- سنة 1825- 1826(1241هـ-1242هـ) الميجور الانجليزي جوردن لاين (Gorden Laing)الذاهب إلى تمبكتو والذي حدد موقعها الفلكي 27° 11' عرض شمالا و 2° 15' طولا إلى شرق خط غرينيتش0° 5' 11" غرب باريس وهذا ما دونه في رسائله المشهورة في Quarterly Review، جزء XXXVIII,XXXIX,XLII. [2]

2-الألماني جيرهارد روهلفس(Gérhard Rohlfs)، سنة(1864م-1281هـ) الذي مكث بالواحة من 17 سبتمبر إلى 29 أكتوبر، وقد نشر اوغست برترمان (August Perterman)، يوميات الرحلة، فالإنجليزي جوردن أتى من غدامس ذاهبا إلى تمبكتو والألماني من تافيلالت دخل إلى أوروبا عن طريق غدامس والاثنين، حسب سوليه لم يسلكا طريق الجزائر نحو واحة عين صالح، وسحب سوليه لم يسلكا الطريق الذي مشاه وإنما بقي طريق عين صالح إلى

---

(5) – نفسه ،ص 139.

(1) - Paul Soleillet, op- cit, p 100.

(2) – إسماعيل العربي، الصحراء، المرجع السابق،ص 156.

تمبكتو، وقال أتمنى أن أقوم به(إنشاء الله) وقوله لهاته الكلمة يعني أنه على دراية بما يقول، كإتقانه اللغة، وزيادة على ذلك تأثره بالحياة اليومية للأهالي.

وتطرقا هيرودوت(Herodotus) و سيلاكس(Sylax) إلى الاحتلال الروماني التي شهدته المنطقة، فهم يسمون كل سكان شمال إفريقيا الليبيين البربر، واهتموا بإفريقيا الشرقية أكثر من الغربية لعدم أهمية هاته الأخيرة بالنسبة لهم، لكنها عرفت اهتماما فيما بعد من طرف الكتَّاب في القرون اللاحقة.[3]

فهيرودوت ميَّز خصائص سكان إفريقيا، بما فيها التل والصحراء وميَّز بين الشعوب الزراعية، والشعوب التي تربي الحيوانات، فمن مصر حتى بحيرة تريتون(ملغيغ) يسكن الليبيين النوميديين الذين يعتمدون على تربية المواشي ويسمون auses(ويعني بها سكان الواحات، وهي قريبة لكلمة Oasis) ، ومن بحيرة تريتون الشعوب الزراعية ويسمون maxyes.[1]

وبعدهما جاء سترابون (Strabon) الذي أتى بأسماء جديدة مثل النوميديين والمور، والجيتول، والذين ظهروا لأوَّل مرَّة، ووصف إفريقيا كجلد نمر بحيث النقاط السوداء به، تمثل مخيمات الجيتول المتناثرة.

وعمم اسم ليبيا على كامل المنطقة ما بين مصر، وإثيوبيا، والبحر الأبيض المتوسط والمحيط وبعده ظهر كتابان: الأوَّل التاريخ الطبيعي لبلين (Histoire Pline: naturelle) والثاني: حالة العالم لميلان بومبونيوس (l'Etat du Pomponius Melan :monde) اللذين ووصفا جغرافية إفريقيا، وركز بلين على المدن الكبيرة والتي توسعت في عهد الرومان،[2] وذكر بعض الشعوب التي سكنت جهة موريتانيا التي ذكرها كل من المؤرخ بوليب(Polyb)، في عهد

---

(3) – نفس المرجع ،ص162.

(1) -Gsell,(St.) : Textes relatifs l'histoire de l'Afrique du Nord, Hérodote, Paris,1916, p145.

(2) –Pline L'ancien :Histoire naturelle, tra : Beaujeu,(J.),éd Hachette, Paris, 1950p 101.

سيسيبيون ايملـيون (Scipion émilion)، وهما سولاتيت ومسات(les solatites et masates)، ولم يضف بومبونيوس شيئا مما ذكر بلين ولكنه اكتفى بذكر وجود مدن بين الجزائر وشرشال من الملوك المور.[3]

بتوليمي(Ptolémée) ، جاء بعد بلين بحوالي قرن، واحتفظ بالإسم العام لإفريقيا وهو ليبيا والذي استعمله الجغرافيون الإغريق أي ليبيا الداخلية هذا الفضاء أغلبيته صحراء، وأضاف اسم جديد نقموسية (naknaousiens) نسبة .إلى جبل نقموس.[4]

وعند تتبع مسار أنتونين (Antonin)،ذكر شعب بكوتياس (Bacutaes)، هو نفسه دون أدنى شك فاكوات (Vacuates)، والذي سكن مع ماسونيت (Macenites)موريتانيا الطنجية (Tingitane).[1]

ونلخص إلى أنَّ ليبيا القديمة أو البربر المعاصرة والتي كانت محور الاستعمار الروماني. بالتقسيم ذو القناعات الإدارية أو الضرورة قسمت ليبيا إلي أربعة (04) جهات لمعرفة:

1-إفريقيا أو بالأحرى ليبيا الداخلية.

2-نوميديا.

3-موريتانيا .

4-ووراء هذه الجهات هناك الجيتول والذين يقطنون الصحراء ويسمون كذلك بليبيا الداخلية.[2]

وبالنظر للشعوب الذين احتلهم المازيك(Les Maziques)، أكبر عدد من الشعوب وهم: -بربار(Barbares) يقطنون موريتانيا الطنجية.

-لبكوات (Bacuates) يفصلهم نهر ملدا.

---

(3) :– Polybe :Roussel (tra :Histoire, collection pliéad, 1970, p25.)

(4) –Gsell,(St.),op cit,p 150.

(1) .- Gsell,(St.),op cit, p155

(2) –Strabon :Géographie, trad :Amédée Tardien, éd, Hachette,Paris,1880,p83.

-لميسونيت (Macenites) يسكنون مع البكوات(Bacuates).

- uinquagentiiané) أي شعب متكون من خمس أمم على الساحل بين دلس وبجاية في بلاد القبائل هاته الأمكنة سميت اوسيس (auasis) أي الواحات والشعب الذي يسكنها الاواسيتيو (auasitoe).[3] أي سكان الواحات.

فبيَّن أن الشعب الزراعي يسكن ليبيا الاستوائية الماكسيس(maxyes).

و الشعب الحيواني يسكن ليبيا الوسطى الاواسيس(auases).وحسب هيرودوت فالأوائل هم المازيك(mazique) ثم الاوازيتوا(auasitoe).

أما عن القوافل التجارية فهناك عدة طرق إلى أوروبا عن طريق طرابلس بنغازي أو مصر وهناك من ترجع إلى تشاد عن طريق بليما وأغادز عن طريق غات وإلى تمبكتو عن طريق عين صالح. وفي كل عام هناك قافلة تجارية من مراكش عن طريق تندوف إلى تمبكتو وأغادز، وكانو، وغات، وغدامس، هاته القوافل عززت موقف توات التجاري فأصبحت بها تجارة قوية جدا.[1]

و كانت هناك طرق من الشمال إلى وسط إفريقيا مثلما كانت في القرون الوسطى وهي تبدأ من[2]:

1- تلمسان إلى عين صالح عن طريق وادي قير[3] والتي عبرها الجنرال ويبفان(De Wimpffen).

2- من جيري فيل[4] إلى تيميمون أو إلى توات والتي سار بها الكومندان كولونيو(Colineau) سنة (1860م-1277هـ).

---

(3) – Ibid, p 84.

(1) –يحي بوعزيز، القوافل والأسواق، مرجع سابق، ص35.

(2) - Paul soleillet: Avenir de la France en Afrique, challamel ainé, librairie éditeur, paris,1876,pp 02-05.

(3) – وادي ينحدر من جبال الأطلس جبل تاندرارة، ويجري نحو الجنوب إلى أن ينصب في وادي مسعود. : الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ص66.

(4) – Géryville سميت بها مقاطعة وهران ثم سعيدة سنة (1861م-1278هـ) وجيري (Géry) هو كولونيل في الجيش الإفريقي اكتشف المنطقة سنة (1845م-1261هـ) وسميت المنطقة بإسمه . Edgard quinet :Origines des noms de nos villages et villes d'Algérie,1993,p 03.

3- ومن قسنطينة والجزائر وصولا إلى ورقلة ومن ثم إلى بلاد السودان(الهوسا) عن طريق سبخة أماغور.

4- ومن قسنطينة كذلك إلى غدامس عن طريق تقرت ووادي سوف، وعلاقة السوافة مع تونس لأنها منطقة حدودية، لبيع التمور وشراء البضائع الأوروبية والقمح والسوافة كذلك من تقرت إلى غدامس، هاته الطريق التي مرَّ بها كل من الرحالة الفرنسيين بونمان(Bonmann) سنة (1856-1273هـ) دوفيريي(Duvyerier) سنة (1866م-1283هـ) الجنرال ميرشر (Mircher)وبعثة غدامس سنة (1862م-1279هـ) وأخيرا دورنو دوبيري وجوبير(Derneu Dupierie et Jupire) المغتال بين غدامس وغات.

5- ومن الأغواط إلى غات على ورقلة والبيض[1] عبرها سنة (1858م-1275هـ) إسماعيل بوضربة(الذي كان مترجما عسكريا).[2]

6- ومن الجزائر إلى النيجر على الأغواط، وادي ميزاب القليعة، عين صالح وصولا إلى تمبكتو.

فكل الحركات التجارية عموديا وأفقيا بين الجزائر والصحراء الوسطى والسودان كانت أكثر أهمية، لكن بمجرد وجود الأتراك بالجزائر، ابتعد النشاط التجاري عنها وانتهى ببداية احتلالها من طرف فرنسا. والدخول في مرحلة قتال دموي مستمر بين الأهالي والجيش الفرنسي وبداية المقاومة في الجنوب الشيء الذي أدى إلى انعدام الأمن والخوف من سقوط القوافل في أيدي المقاتلين.[3]

---

[1] – مقر ولاية بالجنوب الوهراني، وتقع على سفح جبل إكسل بالسلسلة الأطلسية، وهي على ارتفاع يقدر بـ 1304م، لهذا يغطيها الثلوج في الشتاء فاشتق اسمها من بياض الثلوج، غير أن الاستعمار الفرنسي يطلق عليها اسم جيري فيل(Géryville) نسبة إلى العقيد جيري الذي احتلها سنة (1845م-1262هـ)، وأراد أن يجعل منها نقطة ارتكاز عسكري للتموين وإيواء ونقل الجيوش في عمليات غزو الصحراء، . مياسي،المرجع السابق،ص130.

[2] –مياسي ، مرجع سابق، ص274.

[3] – نفس المرجع،ص 276.

ثم تحولت الأنظار إلى الناحية الفلاحية، فالأرض كانت تحرث من طرف الخماسين الذين يهتمون برعاية القطعان، كما اهتموا بتجارة العبيد وهي ليست مربحة ولا سهلة لأن العبد قد يمرض وقد يهرب، ومع أنَّ القانون الفرنسي منع تجارة العبيد، إلاَّ أنَّه ظلَّ يمارس في الجنوب، ولقد لاحظ سولييه القوافل التجارية الخاصة بتجارة العبيد في الصحراء عشرة (10) نساء على مختلف الأعمار لرجل واحد وأطفال صغار عبيد مع شباب.[4]

ومن الإنتاج الأصلي للصحراء، نجد دباغة الجلود، في تافيلالت والمغرب الحنة تزرع على مساحات كبيرة في توات، وبها تسوق عبر القوافل التجارية لكامل المغرب وثمنها من 0.10 إلى 0.20 سنتيم للرطل(500غراما)، أما تجارة جلود الماعز الجافة والمدبوغة، والنعام وصل إلى وادي ميزاب من 30 إلى 50 فرنكا أما التمور الحرير الحلفاء فهي أهم المنتجات التي تستثمر فيها فرنسا.[1]

أما عن المنتجات الآتية من بلاد السودان الشمع، والعاج, وقرون الكركدن وجلد النمر وجلد الأسد، وجلود بعض الحيوانات المفترسة، وريش النعام والجلد الجاف والمدبوغ للفهد والزرافة والعجل، فيصل وزنها من (08) إلى (14) كلغ وثمنها في عين صالح خمس (05) فرنكات، إضافة إلى الذهب على شكل غبرة ويضعونه في أنابيب من الريش مغلقة بالشمع.

وتكمن أهمية التجارة بالنسبة للجزائر في علاقاتها التجارية مع إفريقيا الوسطى لتمكينها من التغلب على سيطرة الإدارة الفرنسية التي سعى حكام فرنسا لجلبها بمختلف الوسائل لكنهم فشلوا، ففي سنة (1838م-1253هـ)، حاول المهندس الفرنسي م.سوتيل(M.Sautil)[2]، المقيم بفزان أن يقترح على حكومة الملك لويس فيليب (Louis Philippe)، على ما يلي:

---

(4) –Paul Soleillet, L'avenir, op- cit, p10.

(1) - Paul Soleillet, L'avenir, op cit , p 19.

(2) م.سوتيل تقرير نشر في مجلة الشرق سنة (1845م-1261هـ) بباريس مكون من 03 فقرات أين استعرض وجهات نظره ومشاريعه وهي كالآتي :
- تاريخ عبد الجليل سلطان فزان (المغتال سنة 1842م-1258هـ)- لا اعتبارات سياسية وتجارية لغدامس متبوعة بمسار من طرابلس نحو غدامس- سير القوافل إفريقيا الوسطى- الوسائل المتاحة لجلبها إلى الجزائر.

*** جلب القوافل التجارية التي تمر إلى مرزوق على قسنطينة.**

***توجيه هجرة السود نحو الجزائر.**

***وضع قنصل فرنسي في الصحراء.**

كما اقترح الكاتب بول سولييه إنشاء مخازن بالأغواط كمستودع للبضائع الأوروبية التي يحتاجها سكان المناطق الداخلية، لأن الأغواط هي آخر مدينة محتلة من طرف فرنسا كما أنها قريبة من عين صالح أكثر من غدامس في الشرق.[3]

إنَّ ضرورة وأهمية تقارير الرحالة لما يكتبونه من معلومات إيجابية حول الاحتياجات، والإنتاج لهاته التجارة في الصحراء والسودان، كان مهما جدا في معرفة الطرق الرئيسية وأهميتها الاقتصادية، وهذا ما قام به كل من بول سولييه شخصيا سنة (1872م-1873م)(1289هـ-1290هـ) والدكتور وارنر(Warner) والجنرال ميرشر(Mircher) في مشروع رحلة من الجزائر إلى واحة عين صالح وبالفعل قامت غرفة التجارة بإرسال الطلبات إلى مستودع الأغواط[1] ، لكن هذا الشيء لم يرق لكثير من الغرف التجارية الفرنسية، نفس الشيء بالنسبة لإنشاء خط سكة حديد من بين المواضيع المقترحة، والتي طبق جزء منها، لكنها فشلت بسبب منها انعدام الأمن وانتهى الحلم باغتيال منفذيه. فوصل ناحية الجنوب الغربي حتى تقرت، وفي جهة الوسط حتى الجلفة فقط.

وبقي الجمل مطية الصحراء ووسيلة التنقل الناجعة، نظرا لتحمله الجوع والعطش ويتغذى من حشائش الصحراء، وتتراوح حمولته ما بين ثمانين (80) إلى مائة (100) كلغ، وكل القبائل تستعمل الجمال للكراء لنقل البضائع، وهذا حسب المسافات تحدد الأسعار، فالحمولة المتوسطة للجمل 250 كلغ، ويصل الكراء من بوغار إلى الأغواط إلى 30 فرنك والمسافة ما بين الأغواط إلى غرداية(309 كلم) تقدر بـ 20 فرنك.و- من غرداية إلى متليلي الشعانبة (168 كلم) بـ 2.50 فرنك.أي

---

(3) - Paul Soleillet, L'avenir, op cit , p 20.

(1) – Paul Soleillet, L'avenir, op cit, p 21.

بمعدل0.10 فرنك للكلم الواحد بحمولة 250 كلغ أي طن(1000كلغ) تقدر بـ 0.40 فرنك للكلم الواحد.[2]

قلنا أن الجمل بقي الوسيلة الوحيدة للتنقل، وهو وسيلة بدائية تكلف الكثير من الجهد والوقت، والمال، فلذا فكرت فرنسا في إنشاء خط سكة حديد لتسهيل التنقل ويساهم في تطوير الحركات التجارية، حيث كتب دي بونشال (Duponchel)تقرير كامل ، فيما يخص إنشاء خط سكة حديد من الجزائر إلى تمبكتو ، وهي فكرة مستقاة من الخط العابر لكندا الذي أنجز ما بين (1878م-1886م) (1295هـ/1304هـ) على مسافة أربعة آلاف وسبعمائة (4700) كلم، والخط العابر لسيبيريا ما بين (1891م-1898م) (1309هـ/1316هـ)[1]، والخط العابر لأمريكا لربطها بأكثر من خمسة الآلاف(5000) كلم، بينما المسافة من الجزائر إلى تمبكتو أقل من أربعة الآلاف كلم[2]. لكن أمريكا قارة واحدة متكاملة، على عكس فرنسا التي هي جزء من القارة الأوروبية وصحراء الجزائر جزء من القارة الإفريقية، كما يفصل بينهما البحر الأبيض المتوسط.

لذا اهتدى دي بونشال (Duponchel) [3] أن يبدأها من تقرت إلى تمبكتو ورأى أن فريقا واحدا يمكن له أن ينشىء سكة حديد ابتداء من بوغار إلى الأغواط ثم من وادي ميزاب إلى القليعة فعين صالح ثم تمبكتو وصولا إلى السينيغال، وقدر تكلفة الكليومتر الواحد ثلاثمائة ألف(300.000) فرنكا، بما فيها إنشاء المحطات والحقوق الخاصة للتموين بما فيها الماء.[4]

---

(2) – Ibid, p25.

(1) –مياسي: المرجع السابق،ص293.

(2) – Paul Soleillet, L'avenir, op cit, p50.

(3) – وهو أدولف دوبونشال (Adolf Duponchil) ، ولد سنة (1821م-1237هـ)،مهندس أول للجسور والطرقات نشر عدة أعمال هامة تحتوي على أفكار أصيلة وممتازة أظهر فيها المؤلف براعة كبيرة، ومن هذه الأعمال كتابه حول مشروع السكة الحديد وأول من خطرت له فكرة السكة الحديدية العابرة للصحراء منذ سنة (1875م-1292هـ) الذي لفت انتباه الجميع. مياسي،المرجع السابق،ص294.

(4) – مياسي، المرجع سابق، ص 294.

والمسافة من عين صالح إلى سانت لويس عن طريق عين صالح وتمبكتو هناك حوالي ثلاثة الآلاف وثمانمائة (3800) إلى ثلاثة الآلاف وتسعمائة (3900) كلم هذا يعني حصيلة قدرها 1200 مليون بمعدل 02 أو 03 كلم يوميا، هذا يعني 2000 يوميا. فماذا لو اكتمل هذا المشروع؟ كيف سيكون مصير هاته البلدان؟ وكيف يكون مستقبلها ياترى؟.

كما ترك المبشر المسيحي شارل دوفوكو كتابًا هامًا، و شبه مجلد للذين وضعوا الثقة فيه، على سبيل المثال للسياسة الاستعمارية مع المستكشفين تحت غطاء الإنسانية الإثنية، الجغرافية، بحيث أن كل أعمالهم تهدف لدراسة سكان كل منطقة ومعرفة لهجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فهذا يخدم المنفعة الاستعمارية، في التقرب من السكان لمعرفة رجالها لضمان السيطرة عليهم، وتغذية الصراعات القبلية والعشائرية بينهم.[1]

بالرغم من تجذُّر الدين الإسلامي في نفوس سكان الصحراء، إلا أن الكاردينال لا فيجري صرَّح لدى وصوله إلى الجزائر:"إن الجزائر باب مفتوح بيد العناية الإلهية على قارة متوحشة يعيش عليها مليونان من النفوس"[2]، بحيث أن تأمين الصحراء وتهدئتها لفتح الطريق أمام المبشرين الذين يقصدون إلى إفريقيا السوداء، من الأهداف الأساسية التي تعاونت الكنيسة والسلطة الاستعمارية لتحقيقها تعاونا وثيقا. ومنذ سنة (1876 م-1293هـ)، تحدت الكنيسة جميع العراقيل وبعثت بثلاثة مبشرين، وهم الآباء بولميي وموريه وبوشاند عبر الصحراء، وهذا الحدث التاريخي أعلنه الكاردينال لافيجري في بيان جاء فيه:"في هذه الساعة يوجد ثلاثة من المبشرين من رجالنا في بلاد الطوارق، وعما قريب سوف يدخلون إلى تمبكتو

---

(1) Charles de Foucauld face aux Touareg commentaire, www.tamadurt.com,12/10/2001,25. :-D.casajus

(2) – Soleillet, Avenir, op cit, p 69.

في عزم وتصميم ليستقروا في عاصمة السودان أو يلقوا حتفهم حبا في الحقيقة"، وبالفعل قتلوا من طرف الطوارق.[3]

ويعتبر شارل دو فوكو أكبر مكتشف ديني للصحراء وأخطر المبشرين قاطبة وخطورة ، وله عقلية علمية من الدرجة الأولى(وهو خريج مدرسة سانسير) ، ويحمل في نفسه شعلة متقدة من الإيمان ويجد لذة في المتاعب وفي التضحية بالراحة ومتعة الحياة.

بدأ دوفوكو (De Foucauld) حياته الاستكشافية برحلة إلى المغرب الأقصى (سنة 1883م و1884م)(1301هـ-1302هـ)، وقد كانت المعلومات الدقيقة والغزيرة التي جمعها خلال رحلته هذه دليلا قيما، بعد ذلك بنصف قرن مهد للقوات العسكرية الفرنسية التي كانت تقوم بعمليات التهدئة في جنوب المملكة، وبعد عودته إلى فرنسا قام دوفوكو بتحرير مذكراته عن هذه الرحلة، ثم قام برحلة أخرى إلى الصحراء الجزائرية من المغرب إلى الشرق عبر سلسلة الواحات، ابتداء من الأغواط غرداية القليعة، ورقلة وتقرت، وقد أفضت به هذه الرحلة إلى الجنوب التونسي وإلى قابس. وكان يهتدي بمعالم الاستكشاف التي وضعها سلفه دوفيريي الذي كان على اتصال دائم به، وأقام أول الأمر في بني عباس[1] الواحة التي تمتد في جنوب وهران ولم ينتقل إلى الهقار إلاّ في سنة (1903م-1321هـ) بعدما أقنعه زميل الدراسة لا بيرين(Laperrine)، ووصف بني عباس بالعبارات التالية:" ومن هذه الواحة يشرف الناظر على صحراء حمادة الشاسعة، ويمتد بصره في سماء صافية لا نهاية لها وتذكرنا بذات الإله العظيم".[2]

في سنة (1905م-1323هـ)، قرر الذهاب إلى مدينة تمنراست أين بني ديرا هناك، أما طريقته في التبشير بالدين المسيحي بين المسلمين في الطوارق فيقول[3]:"كنت أحاول أثناء جولاتي ...، أن ادخل في علاقات مع الأطفال الصغار وذلك بأن أقدم لهم السكر، ولكنني

---

[3] – إسماعيل العربي: الصحراء، مرجع سابق، ص 120.

[1] – قصر على نحو 225 كلم من بشار، في طريق القوافل بين الشمال والتوات القرارة والهقار. بلحميسي، المغاربة مرجع سابق، ص67.

[2] – إسماعيل العربي: الصحراء،نفس المرجع، ص125.

[3] – نفس المرجع،ص 130.

لم أسجل نجاحا في هذه المساعي فقد كان مرآى عندهم أشبه شيء بمرآى الشيطان نفسه، ...ولكن الأطفال في عملية الاتصال بالسكان هم أشبه شيء بمرآة تعكس تفكير آبائهم، وهؤلاء قد يضعون أقنعة على عواطفهم الحقيقية ويخضعون ويتذللون أمام القوة بحكم الضرورة...وعندما يرون الأجنبي يطلقون سيقانهم للريح وهذا معناه أن الرأي العام ضدنا...لكنه يمكننا بواسطة الأطفال أن ندخل إلى نفوس الآباء ونهدئ من روعهم...وبهذا تتحطم الحواجز التي تفصل بيننا وبين الأهالي والطفل هو المستقبل، .... وبعد عشر سنوات سيكبر أطفال القبيلة وينمو معهم الولاء لأفكارنا، إن هذه القبيلة قد انحازت إلى صفنا"[4] ودفع اهتمام دوفوكو(De Foucauld) بالتبشير الديني إلى الاهتمام بلغة الطوارق وهي التماهاغ أو التماشاق ووضع قاموس فرنسي طوارقي (تارقي)، لكنه بالرغم ما قام به إلاَّ أنَّه اغتيل من طرف الطوارق سنة(1916م-1334هـ).[5]

المبحث الثاني: مقارنة الرحلات من وجهة نظر المغاربة والجزائريين.

كانت بعض القبائل المقيمة في المناطق الجبلية والصحراوية بعيدة عن الالتزامات الاقتصادية المتمثلة في زكاة العشور، والجزية، والجباية والضرائب إلى الحكم التركي آنذاك، وبسبب نقص الموارد لتمويل خزينة الدولة لتسديد أجور الجيش المتأخرة، وزد على هذا نوعية الحياة المعاشة من طرف الحكام في الترف والبذخ، كان نتيجته في أخر الأمر شن عمليات عسكرية على هاته القبائل البعيدة منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي [1]، وإرغامها على تقديم الإعانات والهدايا عن طريق شيوخها مثلما شيخ العرب في إقليم الزيبان، الذي كان يقدم المعونات المختلفة، والتي بلغت سنويا واحد وعشرون ألفا وثمانمائة وثماني وخمسون (21858) ريال بوجو.[2]وهذه العمليات كانت جراء عدة أسباب منها إفلاس

---

(4) - De Foucauld (Charles), La reconnaissance du Maroc, p53.
(5) –Ibid, p55.
(1) - ناصر الدين سعيدوني: ملكية الأراضي ، مرجع سابق، ص214.
(2) –نفس المرجع، ص215.

الخزينة العامة ومطالبة أفراد الجيش بالأجور المتأخرة، والعيش في ترف وبذخ مما أدى بهم اللجوء إلى الأهالي لتعويض النقص.

هاته الضرائب حتمت على السكان إلى الاهتمام بالأرض واستغلالها، وامتلاكها نتج عنه اضطراب في توزيع السكان واختلال في نسبة الكثافة السكانية من جهة إلى أخرى، فأصبحت المناطق السهلية الخصبة مناطق طرد للسكان، حيث تنتشر ملكيات البايلك نتيجة للأسباب السابقة، وأصبحت المناطق الجنوبية مناطق جذب للسكان، والتي من المفروض أن تكون مناطق طرد بشري، مما ترك آثارا سلبية على أوضاع الفلاحة وحالة السكان أواخر العهد العثماني وأوائل العهد الفرنسي.[3]

وترجمت الكتابات والتقارير التي كان يكتبها القناصل والرحالة و الشعراء بسبب السياسة التي انتهجتها الدولة العثمانية من زيادة الضرائب والجباية على الأهالي الشيء الذي صعب الحياة ، [1] داخلها وخارجها، جعل الدخل يتضاءل والنشاط يخف والمشاكل المالية تطرح نفسها والأزمات تتعدد مثل الأزمات السياسية، فالدايات بعد محمد بن عثمان باشا[2] تميزوا بإنعدام القدرة على تسيير شؤون الدولة، وقد ارتقوا إلى أعلى المناصب بالمؤامرة والتمرد وحب الانتقام والرغبة في جمع الثروة مهما كانت الوسائل، واشتد العنف ما بين عهدهم ما بين(1798م-1213هـ) و(1830م-1246هـ)، حيث قتل ست دايات من أصل ثمانية (08).[3]

---

[3] – بلحميسي،الضرائب، مرجع سابق، ص217.

[1] - مولاي بلحميسي :،سياسة الضرائب بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أشغال المؤتمر الثالث للتاريخ وحضارة المغرب، وهران 27،1983/11/26 ص15.

[2] – دامت فترة حكمه من 1851م حتى 1853م.(1268هـ-1270هـ).

[3] –حمدان خوجة: المرآة، م و ك، الجزائر،ص 115.

ونتيجة لهذا اضطر باي التيطري إلى إتباع سياسة أخرى والبحث عن موارد داخلية تعوض ما ذاب من الأموال الخارجية، فزاد الاهتمام بالأراضي الزراعية ومنتوجاتها كلما كانت الحاجة ماسة إلى المال فزاد شقاء عالم الريف وبؤسه.ولهذا هجر السكان الأرض وبقيت بورا، واهتموا بالرعي الذي حتم عليهم التنقل والتجوال بحثا عن الكلأ.

اضطر باي التيطري أن "يبعث زكاة الغنم لبيت المال ويوزع شيئا على أرباب الدولة، في عيد الأضحى لا غير، أما العشور فلا يبعث لأن عمالته أغلبها صحراء وسكانها العرب (الأعراب) أصحاب غنم ولا حرث لهم"[4]، عكس بايلك الشرق والغرب كانا أكبر بكثير لاتساع أرجائهما وخصب أراضيهما.

وتجتمع الآراء على أن التدهور الاقتصادي الذي عانت منه الفترة الأخيرة من الحكم العثماني إلى التعسف الجبائي، وإرهاق الأهالي بالتكاليف والأعباء المالية، وخاصة سكان الأرياف الذين أصبحت الدولة عبئا ثقيلا عليهم، ونتيجة لهذا ظهرت الثورات والتمردات كابن الأحرش[1] في الشرق أو أتباع درقاوة [2]في الغرب، ومقاومة وادي سوف (حسب ما ذكره حمدان خوجة[3]،في كتابه المرآة. وذكره أحمد الشريف الزهار[4] في مذكراته).

---

[4] – الحاج أحمد الشريف الزهار: مذكرات، دار البعث ، الجزائر، ص 75.

[1] –هو محمد بن الأحرش من الشخصيات الهامة في القرن التاسع عشر، فنى مغربي، مالكي المذهب، درقاوي الطريقة ويعتبر أحد العوامل الرئيسية في إضعاف قوة البايلك الحربية، والحد من نفوذه بالأرياف، ودفع سكانه إلى عدم تلبية مطالب البايلك الجبائية، في وقت أهملت فيه الزراعة وتضرر السكان من قلة الأقوات وغلاء المعيشة، في وقت زادت فيه حدة التنافس الاستعماري، الانجليزي والفرنسي على بلاد الجزائر. مشاهير،ص25

[2] –نسبة إلى أبي عبد الله محمد العربي بن أحمد الدرقاوي، مؤسس الطريقة الدرقاوية توفي نهاية سنة 1823م الموافق لـ 1239هـ، ودفن بالقرب من بوبريح، ببني زروال المنتمين إلى سوف له كتاب"الرسائل". . جمال قنان،نصوص مرجع سابق،ص252.

[3] – حمدان بن عثمان خوجة، كاتب وزعيم سياسي، من رواد الحرة الوطنية الجزائرية، ولد بالجزائر، أشرف على تحرير جريدة "تقويم الوقائع"، وكان مؤمنا بالمبادئ الإسلامية التقدمية، من آثاره "المرآة" ألفه بعد نفيه وفرغ منه سنة(1833م-1249هـ)، و"إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء"،و "حكمة العارف"، و "ستار الإتحاف"، توفي سنة (1840م /1256هـ). . علي علواش، المرجع السابق، ص169.

[4] – الحاج أحمد الشريف الزهار بن علي النقيب، ولد بالجزائر سنة(1196هـ/1781م) من عائلة تنتسب إلى الأشراف الأدارسة، دون مذكراته الواقعية الأحداث، التي عرفتها الجزائر منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وحتى وقوعها تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية..، سعيدوني،مشاهير، مرجع سابق، ص257.

وتلخيصا لما سبق اتخذت حرفة الرعي شكل نشاط اقتصادي مستقل لذاته ترتبط به حياة العديد من القبائل الرحالة بالهضاب الوهرانية [5]وأراضي الجنوب علاوة على ذلك الصناعة المحلية ، مثل صناعة البرانس والزرابي والحصر بالأطلس الصحراوي.[6]

أما من ناحية التبادل التجاري كان هناك طريقان الأول يربط بين شرق البلاد وغربها وأهمها طريقان:

1- طريق التل الواصلة بين تلمسان والجزائر، قسنطينة وتونس.

2- طريق الواحات الصحراوية من تافيلالت والرابطة بين عين صالح متليلي،ورقلة،وغات[7]، هذا الشيء الذي جعل الواحات الصحراوية تحافظ على مكانتها التجارية ومركزها العمراني بفضل الطريق الثاني.[8]

وهناك طريق ثاني للتبادل التجاري الداخلي يصل التل بالصحراء اعتبارا من أن كلا الإقليمين مكمل للآخر اقتصاديا وبشريا، حيث نتج عن هذا التبادل بين الشمال والجنوب ازدهار المراكز العمرانية الواقعة بين التل والصحراء كبوسعادة، والبرواقية بوغار، وبسكرة[1]، وازدياد أهمية أسواق التبادل الموسمي.[2]

وقد ذكر العياشي[3] أنه نتيجة القوافل التجارية المتجهة من المغرب الأقصى وحتى البقاع المقدسة، سواء بغرض الحج أو التجارة، كانت مصدر كبير للربح مما جعل رأس المال في أوائل عهد الاحتلال يبلغ مليوني فرنك.[4]

---

[5] - ناصر سعيدوني: النظام المالي الجزائري في أواخر العهد العثماني 1792-1830،الجزائر،1985، ص 45.

[6] –Emerit (M.)) La situation économique de la régence d'Alger en 1830,I.H , Mars-Avril:M.)) p170. 1952,

[7] –Au capitaine (B.H)) Etude sur la caravane de la Mecque et du commerce de l'intérieur d'Afrique, Paris, p0:B.H)) 4.

[8] –Julien (CH.A)) Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation 1827:CH.A)) , 1871, Paris F,.U.P ,1964 ,18p.

[1] –تشغل بسكرة مكان المدينة الرومانية القديمة التي أخذت منه اسمها (Vescera).بلحميسي، المغاربة،مرجع سابق،ص 25.

[2] –Mauroy (M.):– Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale, Paris,1845,pp174-175.

[3] –هو أبو سليم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (نسبة إلى قبيلة آيت عياش)، ولد بالمغرب الأقصى سنة(1628م/ 1037هـ)، وتجول كثيرا في البلاد طلبا للعلم حتى أجازه الشيخ عبد القادر الفاسي،فأصبح العياشي يعد أشهر المحدثين وأكبر الصوفيين في المغرب، وتوفي سنة (1679م/ 1090هـ)، بسبب الطاعون، وترك إنتاجا يحتوي على شعر ديني وعلى منظومة في البيوع وكتاب البيوع وكتاب في التصوف"ذوي الهمم العالية على الزهد الفانية" وكتاب في تراجم العلماء سماه"اقتفاء الآثار بعد ذهاب أهل الأثر" وآخر عنوانه"تحفة الإخلاء بأسانيد الأجلاء"، إلا أن العياشي اشتهر برحلة أسماها "ماء الموائد" وضمنها أخبارا مختلفة شاهدها أثناء سفره. . بلحميسي ،المغاربة، مرجع سابق ،ص17. و سعيدوني، مشاهير مرجع سابق، ص401.

[4] –Prax(M.) :– l'Algérie, commerce de l'Algérie avec le Mecque et le Soudan just,ronvier, Paris,1849,p29.

وتؤكد أهمية التجارة مع البقاع المقدسة العديد من الروايات التاريخية مفادها أن تـاجرا من ميزاب يسمى الحاج ناصر ذهب إلى الحج برأسمال تسعة الآلاف (9000) فرنكا، وعاد بأرباح وصلت خمسة آلاف ومائتان وخمسون(5250) أ ي أكثر من 50%".

وتعتمد التجارة مع بلاد السودان على الحاجات الضرورية للعيش إلى جانب بعض المواد الكمالية، مقابل استيراد العبيد والتبر وريش النعام وبعض المنتوجات المدارية الإفريقية، لكنها تراجعت إلى الوراء بسبب الضعف والانكماش في مستهل القرن التاسع عشر الميلادي، و انفتاح بلاد السودان على المحيط الأطلسي وإلغـــاء النخاسة، وانعدام الأمن بالطرق الصحراوية نتيجة التنافس بين أهل البدو من جهة واهتمام فرنسا ومحاولة لاحتلالها من جهة أخرى.[1]

ويتبادل أهالي الأغواط السلع القادمة إليهم بالبرانيس البيضاء والسوداء والحايك من كل الأنواع، القاندورة، الصوف، وكان لهذه القوافل التجارية الصحراوية وكلاء وأدلاء ومرافقون ومزارعون يعدون لها البضائع، ويخبرونها

(1) Emerit(M.):– les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du nord au XVIII siècle et au début de XIX,T.I.R.S1.9,1954,p29.

بالأسعار، والسلع المطلوبة وأوضاع الحركة التجارية وتقلباتها، وقد بقيت هذه القوافل التجارية تمارس نشاطها التجاري بالصحراء الكبرى حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، فاستفاد السكان منها استفادة واسعة.[2]

وتحول التعامل التجاري من المقايضة إلى استعمال النقود،**(انظر الصورتين رقم 07 و 08)** ولهذا أصبح السكان يتعاملون بالعملات المتداولة قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر لكن سرعان ما تراجعت وسيطر الفرنك الفرنسي على العمليات التجارية، الذي أصبح عملة التداول الموحدة فيما بعد، وهاته العملات هي: السلطاني ونصف السلطاني والربع[3]، والمجيدي، الريال بوجو[4]، الريال محبوب نصف بوجو، والربع والثمن والدورو، الموزونة، الصائمة[5] وبدقة شيك[6] أو ريال درهم والخروبة والمثقال درهم والفلس، والكوره السوداني والدبلون الفضي[1] والدوخة أو الدوكة[2] الكرونة[3] الدورو الإسباني[4]، والقرش[5] والدرهم أو الريال الإسبانية[6] والاسبريشيك والمثقال الذهبي والبندقي أو العشراوي المغربي والقرش المكسيكي [7] وقرش ليفورن ولاروز الطسكانية، والتلاري النمساوية والقروزاد البرتغالي والجنيه[8] والرايل والفرنك والويزة الفرنسية.[9] ونلاحظ من

---

[2] - يحي بوعزيز: طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر مجلة الثقافة، عدد58.، الجزائر، سبتمبر- أكتوبر 1980، ص ص 13-30.

[3] – تقوم الإيالة بسكه، والسلطاني يساوي 11 فرنكا وينقسم إلى 10 بطاك شيك، والبطاك هي عملة عملية تساوي 08 موزونات والموزونة الواحدة تساوي 02 صول و 6/1 من الفرنك، وهكذا فإن البطاك شيك يساوي22 صولا، وسلطاني القسنطنطينية له نفس قيمة السلطاني الجزائري، . : جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، م ج ط، الجزائر، 1987،ص250.

[4] – ويعرف كذلك ببطاك قورد أو القرش الجزائري، ½ بوجو و ¼ بوجو و8/1 بوجو، وهذا الأخير يساوي 03 موزونات قيمتها بطاك شيك واحدة، والبوجو القديم يساوي 1.883 فرنكا، والبوجو الجديد المضروب سنة (1829م-1245هـ) يساوي 1.805 فرنكا. جمال قنان،مرجع سابق،ص 250. وكذلك النظام المالي للجزائر، مرجع سابق،ص 208.

[5] – وهي عملة تستعمل لإجراء المعاملات الحسابية وتسديد أجور موظفي الدولة، وكثيرا ما تختلف قيمتها من وقت لآخر. . نفس المرجع،ص209.

[6] -Pataque chique، تعني باللغة التركية الدرهم الأبيض، ويطلق عليه الإغريق في لغتهم لفظ الاسبروس، وهو تعريف لكل عملة فضية بيضاء، وقد شاع استعمالها بالايالة الجزائرية، Shaw(T) : Voyage, op cit,p408، وسعيدوني: النظام ، مرجع سابق،ص205.

[1] –El Dablam، أصبح يعرف عند الأهالي بالضبلون والدبلون والدبنوني، وهو عبارة عن دينار مصنوع من الذهب، ناصرالدين سعيدوني: النظام ، مرجع سابق، ،ص197.

[2] – Ducat، التي كانت تعادل قيمتها الدينار الذهبي، وهي من النقود القديمة تعود إلى أوائل العهد العثماني . نفس المرجع،ص ص197، 201..

[3] –La Corana، لها رواج كبير في كافة بلدان البحر الأبيض المتوسط الغربي، لأنها مصنوعة من الفضة الخالصة. نفسه،ص197.

[4] – Douro، أصبحت قيمته مع مرور الوقت أقل من المحبوب الذهبي. .: النظام المالي للجزائر،ص 197.

[5] – يصنع من الفضة وهو عملة عملية ويساوي 24 موزونة، ونصف القرشيسمى بالبيست ويسمى أيضا بالدويلة قوردة. . جمال قنان، مرجع سابق،ص250.

[6] –Rial، انتشر وسيطر على الأسواق منذ أوائل العهد العثماني بسبب وجود معامل مختصة في صنعه بمرسيليا وجنوة وبيزة ومونبيلي وملقاي، تزود به أسواق التعامل النقدي بالمدن الرئيسية للمغرب العربي كبجاية ووهران وتلمسان وتونس وتبسة، بعد أن يتكفل التجار اليهود بنقله وبيعه بهذه المدن. سعيدوني، النظام ، مرجع سابق،ص 197.

[7] – كان يعرف عند الأهالي بالجزائر بقرش بومدفع، تحولت عنه إسبانيا منذ مطلع القرن السابع عشر الميلادي، أما نظام البسيطة(Las Pesetas)، فلم يظهر رسميا إلا سنة (1876م-1293هـ). نفس المرجع،ص201.

[8] –كان الجنيه الفرنسي هو الوحدة الأساسية للعملة الفرنسية حتى استبدل بالفرنك عند قيام الثورة الفرنسية، نفسه ص202.

[9] – نفس المرجع، ص 35..

خلال ذكرنا للعملات، أن أغلبها أجنبية ومازال استعمالها ساري المفعول في ذلك الوقت، هذا يعني أن الجزائر كانت سوقا مفتوحا على العالم. نظرا لإتساع دائرة النشاط الاقتصادي المتمثلة في حركة القوافل الأفقية والعمودية، وأهمية المنطقة الإستراتيجية للصحراء خصوصا والجزائر عموما.[10] **(انظر الجدول رقم: 05 في الملحق).**

ألغيت هذه العملات كلها بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وعوضت بالفرنك الفرنسي إلاّ أنه بقي البعض منها متداولا بالصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حينما غزا الأوربيون كل المناطق الصحراوية وسيطروا عليها، وقضوا على حركة القوافل التجارية من أصلها، وفرضوا العملات الأوروبية كأساس وقاعدة للتعامل التجاري.[11]

وقد تعدى التعامل التجاري الصحراء، فأصبحت القوافل التجارية بين الموانئ البحرية في الشمال، وأسواق واحات أعماق الصحراء الكبرى(التشاد والنيجر، ومالي وإفريقيا الوسطى والسينيغال وتوات والسودان الغربي حتى مدينة تمبكتو)[1]، ومن ميزات هذه القوافل التجارية أنها تتاجر بالبضائع المحلية وبضائع أوروبا المستوردة، فيستغل السكان مرورها ببلدانهم وقراهم في البيع والشراء.[2]

هذه القوافل بعضها يمر على البلاد الجزائرية عرضا، والبعض يعبرها طولا من الشمال إلى الجنوب والعكس، ومن ضمن هاته القوافل بين الشرق والغرب.التي تبدأ بتونس وتنتهي عند المغرب الأقصى وهي كالتالي:

---

[10] – نفسه، ص ص 197-202.

[11] chenntouf - Tayeb, Etudes d'Histoire de l'Algérie (18eme& 19eme siècles), opu, Alger, 2004, p 19.

[1] – إبراهيم مياسي: المرجع السابق،ص259.

[2] - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة أشغال المؤتمر الثالث للتاريخ وحضارة المغرب، وهران،1983،ص 153.

1-قافلة تونس إلى الكاف، و قسنطينة، و سطيف، وبرج حمزة، والجزائر ووهران، وتلمسان، وفاس، ومراكش.

2- قافلة قفصة إلى بسكرة، والأغواط، والبيض إلى فقيق. [3]

3- قافلة نفطة إلى واد سوف[4]، وتقرت، وورقلة، والأغواط إلى تافيلالت.

ومن ضمن القوافل التجارية بين الشمال والجنوب،أي من الموانئ البحرية شمالا إلى أقصى مدن الصحراء الكبرى جنوبا وهي:

4- قافلة سكيكدة إلى قسنطية، وبسكرة، وتقرت، وورقلة،والأغواط إلى تمبكتو.

5- قافلة وادي ميزاب إلى الأغواط، وبوسعادة، وقسنطينة، والكاف إلى تونس والعكس خلال العودة.

6- قافلة واد سوف إلى غدامس وطرابلس.

7- قافلة ورقلة إلى غدامس وطرابلس.

- قافلة طرابلس إلى غدامس و غات، وعين صالح وتمبكتو.

- قافلة عين صالح إلى غات والعكس.[1]

تجهز هذه القوافل التجارية البضائع في موانئ الشمال وتتجه إلى أعماق الصحراء[2] عبر طرق محددة وقرى عمرانية معروفة، ويلتقي معظمها في تمبكتو بمالي الحالية في السودان الغربي، التي كانت مركزا اقتصاديا وثقافيا وتجاريا مهما طوال قرون العصر الحديث واحتفظت بهذا المركز إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، عندما غزاها الفرنسيون وقضوا عليها وعلى نشاط القوافل

---

[3] – من أجمل واحات العالم، لأنه يجمع في آن واحد الجبال العالية والسهول الخصبة والواحات الخلابة، ويمتد إقليم فقيق على مساحة تقدر بـ 900كلم^2 بأقصى غرب جبال عمور، أي ما بين الحدود الجزائرية والمغربية على خط طول 32° شمالا، وهو على شكل مربع طول ضلعه 30كلم، ومطوق بجبال عالية تحميه من الرياح الشمالية الباردة والجنوبية الحارة، ويسقى هذا الإقليم من طرف ينابيع وأودية دائمة، ومظلل بعدد كبير من النخيل. مياسي ، مرجع سابق ص240.

[4] – كلمة سوف مشتقة من الاسم الأمازيغي سوف وباللهجة القبائلية العصرية "أسيف" تعني الأراضي المنخفضة على ضفاف الوادي ، لهذا أدغمت كلمة وادي مع سوف وأصبحت وادي سوف، للمزيد . مياسي، مرجع سابق ص84.

[1] – يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية، مرجع سابق، ص153.

[2] – نفس المرجع،ص 154.

التجارية[3]. وبالتالي أصبحت مدنا بلا تجارة مثلما كانت، فتحول الاهتمام من العناية بالتجارة إلى مقاومة الغزو الفرنسي.

فجميع سكان هذه الصحاري يعرفون صناعة البارود وطريقتهم فيه بجمع التراب من الأرض، أو من الملاط في القرى المهدمة، وهذا التراب الذي كان في الأصل من مادة مالحة يوضع في ماعون، ويصب عليه الماء، بنفس الطريقة التي يعالج بها الرماد عند صناعة الصابون ثم يغلي الماء إلى أن يصبح خاثرا، ثم يؤخذ رطل منه ويخلط معه أربعة أرطال من الكبريت وأربعة من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى.[4]

هذه العناصر المختلفة تخلط جميعا في غضون أربع ساعات، فتصير بارودا وفي الصحراء منجم عظيم من الرصاص، والعرب يأتون منه بكميات لبيعها ولا يقع هذا المنجم تحت سلطة أية قبيلة، وهو يقع شرقي أولاد نايل وهو يسمى بجبل الرصاص.[5]

أما مدينة الأغواط فيصفها ابن الدين أنها تضم المدن التالية: تجموت، وعين ماضي، وجبل عمور، ومتليلي،وادي ميزاب والمنيعة،ورقلة، وتوات، وتيميمون وأولف وعين صالح، والقرارة، واد سوف، وبلاد الطوارق، وتقرت، فهو تقريبا يحدد مواقعها الجغرافية والملاحظ من وصف الأغواطي[1] أن أغلب مياهها جوفية(آبار) وبيَّن تعاملاتها الاقتصادية حيث تطرق إلى تجارة العبيد الذين يتم إحضارهم من بلاد السودان والتمور وصناعة البارود، وصناعة الصابون،

---

[3] – نفسه ،ص156.

[4] - أبو القاسم سعد الله:أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،الجزء الثاني، م و ك، الجزائر، 1986. ص243.

[5] – نفس المرجع، ص 244.

[1] هو الحاج ابن الدين، وذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني،أنه لم يكن معروفا على مستوى الجزائر في وقته، رغم أن هذا الاسم –ابن الدين- كان موجودا في المناطق التلية بالجزائر. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء ،مرجع سابق،ص243.

وتجارة وتربية الإبل، وتراب الذهب والحناء، والشب الأحمر، كما يصطادون النعام بالجري وراءها لمدة أربعة ساعات حتى تبلغ درجة من الحرارة الذي يزيد من عطشها وبالتالي تكون سهلة المنال.[2]

أما عن توات فلها موقع إستراتيجي، وهي نقطة وصل بين أسواق الشمال وأسواق الجنوب، وبالتالي كان تجارها وسطاء لبيع البضائع، بحكم تواجدهم بهذه المدينة حيث تعتبر نقطة التقاء مهمة بين التجار.[3] وأصبحت من أهم المدن قاطبة في مجال التجارة مثل ورقلة ووادي سوف في الجنوب الشرقي للصحراء.

وإضافة إلى تجارة العبيد التي كانت تدِر أرباحا هامة، كان إلى جانبها تجارة الذهب الخام وريش النعام والعاج، حيث كانت هذه السلع متوفرة في أسواق توات الكبرى كتمنطيط وعين صالح، وتيميمون وغيرها، إضافة إلى المنتجات التواتية كالتمر الحناء وصناعة الطباق، التي كان الطلب عليها شديدا.[4]

وكنتيجة للعمليات التجارية، ودور القوافل التجارية ، وعبور هاته القوافل عليها (حجاج، وتجار)، إضافة إلى تنوع السلع المعروضة والرخيصة الثمن، ساهمت في ظهور أغلبية المدن والقصور في توات التي جعلت المنطقة آهلة بالسكان، وقد أشار إلى هذا كل من العياشي[1]، وجيرهارد روهلفس.[2]

---

(2) –نفس المرجع،ص254.
(3) –Flye Sainte Marie : Le commerce et l'agriculture au Touate ,Oran ,1905 ,pp12.09-
(4) –Malte, op cit, p101.
(1) –العياشي، الجزء الثاني، مصدر سابق،ص02.
(2) –Malte, op- cit, p 102.

وأبرز ديبورتر(Deporter) في تقريره أهمية مدينة عين صالح ووجوب فرنسا احتلالها[3] ويقول أن أول شيء يعرقل الزراعة هي فقر وملوحة التربة وندرة المياه وتوجد غالبية الأرض الزراعية[4] للأقاليم في مجاري الوديان القديمة بالقرب منها وإضافة إلى الصعوبات الأخرى، هناك مشكل هبوب العواصف الرملية والزوابع الترابية، مما يحتم على أصحاب البساتين والحدائق المزروعة إقامة سياج من البوص أو سعف النخيل حولها لمنع تراكم الرمال.[5] ومازالت هذه الطريقة تستعمل لحد الآن لمنع زحف الرمال.

كان رجال الأعمال من طبقتي الأشراف والأحرار يمتلكون البساتين والحدائق وكانت النسوة يقمن بصناعة غزل ونسيج الصوف والقطن لعمل الأبسطة والأغطية والبرانس، أما الصناعات التي تتطلب مهارة أو مجهودا كأشغال النجارة والحدادة وعمل الكوالين والأمشاط والأحذية والحقائب الجلدية يمارسها الرجال داخل حوانيتهم، أما تجارة الذهب والفضة فكان اليهود يسيطرون عليها، وهي الصناعة التي كان لها أسواق بالمدن الهامة مثل تمنطيط ، أدرار، عين صالح، وتيميمون.[6] واهتم الحرطانيون[7] بالحرف كدباغة الجلود وتحضير الفحم النباتي واستخراج ملح الطعام من بعض السبخات واستخراج الجير والجبس وملح البارود من الأماكن القريبة من سطح الأرض.

وسكن غالبية الشعانبة ضواحي توات، والتي أعطتها قيمة كبيرة كمحطة للقوافل بين الهضاب الصخرية لبني ميزاب والمناطق الكثبانية والتي تفصل جبال الطوارق.

---

(3) -45.0 pp4 –Deporter,op cit

(4) –Flye, op cit,p15.

(5) –Ibid,p17.

(6) - Coyne(A.) : Le Sahara de l'ouest, étude géographique sur l'Adrar et une partie du Sahara occidental, R.A, N°33& 34,opu, Alger, année 1889,p 128.

(7) – وهم الطبقة الثانية في منطقة توات، ويقال حرطاني أو حرثاني وتعني حر ثان، وما زالت هذه التسميات موجودة إلى حد الآن.

وبهذا بدأ البحث عن مكان صحي لتخزين التجارة وهي متليلي، وغرادية والأغواط، ولكن وضعية ورقلة أقرب إلى طوارق الشمال، وعليه وجب على فرنسا إيجاد محطة لها بورقلة، وتجعل على رأسها قائدا مواليا لها ولا يستأثر بالفائدة الشخصية أو المحلية.[1]

كان تجار القوافل التجارية يستعملون الإبل في حمل متاعهم وبضائعهم، بالرغم من أنَّ الدول الأوروبية، كانت تستعمل وسائل النقل البحرية والبرية المتطورة، ومثال ذلك السكة الحديد فيقول ج.س.باني(Panis J.C):" لحد الآن لا توجد صحراء تربطها سكة حديد من طرف إلى أخر، ولكن أعداء سكة الحديد أو بالأحرى أعداء المواصلات بأنواعها لا يدعون شيئا يمر هكذا، رغم ما تقدمه السكة الحديد من دعم للاقتصاد ، لكن ربما الشيء يختلف حسب الظروف الزمنية والمكانية وحظوظ النجاح."[2]

وبدأت عملية إنشاء خطوط السكة الحديد من الشمال وحتى بسكرة وتقرت ويقول ج.س باني (Panis J.C)حوالي سنة (1940م-1362هـ): "وسنبدأ في تجديدها لاجتياز الكثبان الرملية التي جلبتها الرياح لعدة قرون حيث ظل الجمل مطية الصحراء بين جنوب وشمال الصحراء ومن واحة إلى واحة وتجلب القوافل التجارية من السودان الأغطية والأسلحة،و الصوف، والحرير، والخردوات، والسكر، والشاي والتوابل وتقايض بالتمور والملح ، وتقايض كذلك مع المغرب الجلد المدبوغ القطن الجلد، الريش، العاج، المطاط الحنة و تجارة العبيد.[1]

ومع قدوم السكة الحديد إلى تقرت تضاعفت المنفعة، والتي من المحتمل أن تحمل المعادن حتى نيجيريا، وكذلك عن طريق الصحاري من بشار إلى قاو والتي لم تلغ كلية القوافل بين توات، وأدرار، وتمبكتو، ولو قدر النجاح لخط السكة الحديد

---

(1) - Coyne(A.) ,op cit, p129.

(2) – Panis J.C) : le chemin de fer de la méditerranée au Niger, les éditions de visscher, Bruxeller,1956,pp, 13-22.

(1) – Panis J.C) , op cit, p24.

سيكون من نتائج ذلك خروج إفريقيا الوسطى من عزلتها، كما تفتح لإفريقيا الشمالية آفاقا جديدة، وتخلق طرق وحيدة للتجارة دائمة تلم أطراف إفريقيا، وتنظم رحلات القوافل التجارية وقوافل الحجاج وتوفير الجهد والوقت والمال.[2]

وعلى الرغم من تزايد وفود الأوروبيون إلى الصحراء، إلاَّ أنَّ أغلبهم كان مصيرهم الموت، فلقد اغتيلت اليكساندرا تيني[3] (Alexandrine Tinné) سنة(1869م-1286هـ) في فزان من طرف الطوارق.كما اغتيل فلاترس مع بعثته سنة (1881م-1299هـ) عند بئر الغرامة، وهذا ما أخر فرنسا حوالي عشرون (20) سنة للوصول إلى الصحراء الوسطى على حد تعبير سوليه.[4]

هاته الصور جعلت من الطوارق وحوش في نظرهم ومع ذلك يقول دوفيريي أنهم رحبوا به وساعدوه في مهمته، وفي تقرير بريد الجزائر في عدده الخامس من شهر أكتوبر من طرف السيد دوسان امون (Dossan Amon) أخذ على عاتقه بأن الطوارق وأهالي فزان هم شعب يصنفون كقراصنة محيط الرمال وفي الحقيقة ما هم إلا حيوانات متوحشة، لكن هل يعني فرض إتاوة من أجل تأمين الطريق، وحماية بضائعهم هي قرصنة؟ هاته النظرة مازالت منذ القرون السابقة حيث أن الأوروبيين لم يتقبلوا نفسيا الإتاوة المفروضة عليهم.

ومن أجل إنشاء سكة حديد تربط ضفتي البحر الأبيض المتوسط، توجه الكولونيل فلاترس[1] جهة ورقلة(شمال الصحراء الجزائرية) يوم 05 مارس 1880م(1298هـ) صحبة 39 شخصا اتجهوا نحو الجنوب صعودا إلى وادي إغرغار عن طريق بايبة البيض وتماسين. ثم أخذوا الجنوب الشرقي لوادي إغرغار وتوقفوا يوم 16 أفريل 1880م(1298هـ) على حدود بحيرة منغوغ بالقرب من الطوارق ازدجر. واتجهت القافلة إلى أولاد ميا حتى اينفل، ثم واد

---

(2) – soleillet, L'avenir, op cit,p121.

(3) – ولدت سنة (1839م-1255هـ)، وتوفيت سنة (1869م-1286هـ)، قصدت في رحلة كل من الجزائر وتونس عابرة الصحراء، لكنها اغتيلت بعد رحليها عن مرزوق سنة (1869م-1286هـ) . إسماعيل العربي، الصحراء، مرجع سابق ص25.

(4) – soleillet, L'avenir, op cit,p122

(1) هو بول فرنسوا اكزافيي فلاترس،(Flatters (Paul François Xavier ضابط ومستكشف، ولد بلافال 16 سبتمبر(1839م-1255هـ)، بعد ما تقلد عدة مناصب قضى معظم حياته بالجزائر، استدعي إلى فرنسا ليكون عضوا في اللجنة العليا لدراسة إمكانية ربط الجزائر بالسودان عبر سكة حديد، اغتيل بالقرب من بئر الغرامة في الصحراء يوم 16 فيفري (1881م-1299هـ). larousse,op cit, P1323

انسوكي، ثم اتجهوا نحو الجنوب الشرقي عن مسقم بالإحاطة عن هضبة تادميت والعودة إلى أعالي وادي إغرغار إلى امقيد وواصلوا مسيرهم إلى سبخة أمدغار، إلى عسيو وهي نقطة مهمة للصحراء الوسطى، أين عرف فلاترس صعوبة في التوجه إلى السودان، وفي يوم 16 فيفري 1881م(1299هـ)، توقفت القافلة عند بئر الغرامة، وكان طوارق الهقار وأولاد سيدي الشيخ[2]، وأتباع الطريقة السنوسية على علم بمسارهم.[3]وهذا رغم كبر مساحة الصحراء، إلا أنَّ الأهالي كانت لهم دراية كاملة بما يحدث بالمنطقة من تحركات.

جاءت الفكرة من أجل إنشاء سكة حديد لربط إفريقيا الشمالية بإفريقيا الغربية و بدأها مع المهندس دو بونشال (Deponchel) سنة (1879م-1297هـ) مع اللجنة التي يرأسها فري سينات(Ferry Synate) لدراسة النتائج المتوصل إليها من خلال البعثة العلمية للصحراء مكوَّنة من بويان، وشورزي وفلاترس(Pouyanne,Chorzy et Flatters)، الأول درس الجنوب الوهراني، الثاني ناحية الأغواط إلى ورقلة والثالث للبحث وصولا إلى السودان، بين النيجر والتشاد، ولم يكونوا يحبذون وجود البعثة العسكرية، وإنَّما الحراسة تكون من الأهالي فقط.[1]

---

(2) (1) – سيدي الشيخ اسمه عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة، ولد سنة (1533م-940هـ)، بقصر العرباوات بين البيض والأبيض سيدي الشيخ، وينحدر أصل أولاد سيدي الشيخ من أسرة الخليفة أبو بكر الصديق-رضي الله عنه- وأسس الطريقة الشيخية، التي تستمد أصولها من عدة طرائق منها القادرية والشاذلية، وتتلخص في نقاط خمس وهي:تقوى الله في السر والعلانية-ابتاع السنة في الأقوال والأفعال-الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار-ارضى بما أعطاه الله-الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء، وذاع صيته في كامل الجنوب الغربي، والجزء الشرقي من المغرب الأقصى، وأصبح له العديد من الأتباع والإخوان والمريدين، توفي سنة (1616م-1025هـ)، مياسي مرجع سابق،ص130.

(3) : La pénétration saharienne de L'Algérie de 1830-1906, imp Algerienne, – Augustin Bernnard et N.Lacroix Alger, 1906,p 33.

(1) – Augustin Bernnard et N.Lacroix,op cit, p36.

المبحث الثالث: تحليل الجانب الاجتماعي.

عادة القبائل البدوية في الصحراء الترحال بحثا عن الكلأ وإيجاد المراعي لمواشيهم، فاستقرارهم تتحكم فيه الطبيعة [1] حسب نزول المطر، ووجود

---

(1) Les Beni Djellab sultans de Touggourt, Notes historiques sur la province de Constantine, R :- Charles Féraud(L.) .A, N°24 ,opu, Alger, année 1880 & N°28 année 1884 & N° 29 année 1885 & N° 30 année 1886,p 32.

الكلأ، يعني توفر الغطاء النباتي، وكانت هاته القبائل البدوية تتكون من عدة فروع، خاصة في منطقة ورقلة وأهم قبائلها هي: [2]

- قبيلة سعيد ظهرت في القرن الثالث عشر الميلادي ولها فرعان الأول يضم أولاد مولود الذين القاطنين نواحي تقرت، وسعيد عتبة، القاطنين نواحي انقوسة ولهما فرسان أقوياء أشداء ويتنقلون حتى الهضاب العليا بحثا عن الكلأ عبر مضيق تاجرونة شرق جبل عمور، وبعد أن يقيموا كامل الصيف بنواحي سرسو، يعودون مرة أخرى في فصل الخريف إلى ناحية ورقلة. أما الفرع الثاني لهذه القبيلة فتتكون من سعيد عمر المقيمين بتماسين، والحجيرة، والمخادمة المقيمين بين ورقلة والرويسات.[3] وظلوا يترددون على مراعي وادي مية والحماد الواقعة إلى الجنوب الشرقي من ورقلة.
- الشعانبة قبيلة هامة جدا نظرا لتعدادهم، والمساحة التي يشغلونها ظهروا في المنطقة منذ القرن السادس عشر الميلادي، وأهم فروع هاته القبيلة: شعانبة أولاد سعيد المعروفين بالشعانبة القبالة أو محادي القليعة نظرا لتوطنهم جهات القليعة وشعانبة هب الريح جنوب ورقلة، وشعانبة متليلي المعروفين بالبرازقة في النواحي الغربية من ورقلة.وشعانبة بوروبة أو شعانبة الشرق الذين يسكنون نواحي البور(نواحي ورقلة) ويجوبون العرق الشرقي الكبير ويترددون على مدينة ورقلة في بعض الأحيان.
- بني ثور: أتوا من جهات تونس وبالضبط بلاد الجريد في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، وانتشروا في النواحي الجنوبية لورقلة بالقرب من واحة الرويسات والشط وكانت لهم روابط متينة مع عشيرة المخادمة، وأحلاف وطيدة مع أولاد سيدي الشيخ منذ القرن السابع عشر الميلادي، ساعدتهم على ما يظهر في توطيد نفوذهم بالمنطقة والمحافظة على مراعيهم والوقوف في وجه سعيد عتبة.

---

[2] – نا صر الدين سيعدوني: ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، العدد 41، السنة السادسة جانفي1977، ص74.

[3] Romey (A.) :- Histoire toponyme et traduction orale d'une oasis arabe -berbère- M'Goussa,C^{EM} ecole pratique des Hautes Etudes(Sorbonne),1973-74,p95.

- الربايع أولاد نائل مواطنهم الأصلية تقع بالأطلس الصحراوي والهضاب العليا جنوب التيطري، لهم علاقة خاصة بورقلة بحلول فصل الشتاء لتصريف منتوجاتهم والبحث عن المراعي لمواشيهم.[1]

رغم بعد أهالي لمنطقة عن حكام الإيالة والبايلك، إلا أنها كانت تربطهم علاقة بحكم الهجرة المؤقتة للمناطق التلية في فصل الصيف، والحاجة الملحة للحصول على المواد الأولية الضرورية للعيش[2]، فالقبائل المقيمة بنواحي ورقلة وتقرت كانت تتردد على الأسواق الواقعة بالتل لتصريف منتوجاتها المحلية من أصوافها وجلد وتمور، والحصول على ما تحتاجه من حبوب ومواد استهلاكية لا تتوفر في الصحراء، وإيجاد المراعي الخصبة لمواشيها في أواخر الربيع وطيلة فصل الصيف. وتأتي في طليعة هذه القبائل البدوية التي كانت لها اتصالات منتظمة مع رجال البايلك: الشعانبة والأرباع وأولاد نائل[3].نظرا لقربها الجغرافي من بايلك التيطري.

إن الناحية الاجتماعية للصحراء من خلال التقارير، في القرن التاسع عشر الميلادي أوفر حظا فالرحالة والمغامرون، والمستكشفون أسهموا وأعطوا الكثير ، فمن بين هؤلاء هنري دوفيريي(Henri Duveyrier)، الذي أوضح ما غفل عنه سابقيه، أو تعرضوا بالذكر القليل، فنجده يحلل الحياة الاجتماعية ويذكر بطون القبائل ومضاربهم من ورقلة، ومما تتكون مثل الشعانبة، متليلي، سعيد عتبة، بني ثور، بني براهيم ، بني واقين بني سيسين. أو قبائل أولاد نائل، مثل الأرباع، أولاد عيسى، أهل بوسعادة، أما عن الطوارق ففروعها كثيرة[1]، وتختلف من قبائل الشرق، إلى قبائل الغرب، وتختلف التسميات للسادة أو الحكام أو الشيوخ ففي

---

(1) – نا صر الدين سيعدوني: ورقلة ومنطقتها ،مرجع سابق، ص76.

(2) -Carette(E.) : Du commerce de L'Algérie avec l'Afrique centrale et les Etats barbaresques, Paris, Guyot, 1844,pp.13-14.

(3) - Emerit (M.) : Les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au XVII et début du XIX siècles, travaux de l'I.R.S, T,x, N°1, 1954,p37.

(1) - ناصر سيعدوني: ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني،مرجع سابق، ص76.

منطقة الشمال يسمى الحاكم، وفي منطقة الصحراء ، يسمى الشيخ، وعند الطوارق يسمى امنوكل، أما في بلاد القبائل، وبني ميزاب والأوراس يسمى اقليد.

هناك ثلاث فئات عند الطوارق وهم:طبقة النبلاء وهي طبقة لا تشتغل لا بالزراعة ولا بالرعي وإنما يوكل كل شيء للخدام وهي الفئة الثانية، ويسمون بلغة الطوارق (أمرهيد) ويعني الرعايا من الناحية الاجتماعية فقط، أما الطبقة الثالثة فهي فئة العبيد،[2] والطفل عند الطوارق يتبع دم أمه، فإن كانت نبيلة فهو نبيل، وإن كانت خادمة فهو خادم وإن كانت عبدة فهو عبد ، وبالتالي فالمرأة في الميراث يتساوى نصيبها مع نصيب الرجل وهي التي تسير ثروتها لوحدها.[3]ربما ترجع إلى الأسطورة التاريخية المعروفة، بكون النساء ذادوا عن بلادهم ضد الأعداء، على العكس من تخاذل الرجال ومنها تساوت المرأة مع الرجل، وأصبح هذا الأخير ملثم الوجه من العار، إضافة إلى أن اللثام يقيه من الزوابع الرملية وحرارة الشمس الشديدة.

ومما هو ملاحظ أن التماسك الاجتماعي ظل قائما بين قبائل الصحراء رغم قسوة الظروف الطبيعية والأمنية، فهي قبائل متناثرة في الصحراء ومتنقلة بحثا عن المراعي والكلأ، أو تشتغل بالتجارة فهي دائمة الترحال، لكن نجد أن الدين هو العامل الموحد بين القبائل المترامية الأطراف، إضافة إلى اللغة العربية التي هي وسيلة للتفاهم، كما رأينا مثلما كان خلال القرن الثامن عشر الميلادي.

ومن أجل إتمام هنري دوفيريي لمهامه على أكمل وجه، فكان يملك مجموعة من المعارف ولذلك تعلم اللغة العربية، فأفاد بلاده بمعلومات عن القبائل المترامية الأطراف في الصحراء، ويذكر أحيانا انتشار الحمى في فصل الربيع

---

(2) – القشاطي، مرجع السابق،ص ص 59-63.

(3) –Daumas, le Sahara, op cit, p337.

والخريف عن طريق الحشرات وهجرة أغلبية سكان الجنوب الشرقي ابتداء من ورقلة إلى تونس.[1]

ويؤكد التركيبة الاجتماعية لتوات المتكونة من ثلاث فئات، البربر، العرب الزنوج (أو السود) وهم غالبية السكان، ووصفهم بأنهم من شبه الإثيوبيين، ويمتدون حتى منطقة فزان، وتسير المدينة من طرف سلطة الجماعة، والغريب أن لكل جماعة أو منطقة في توات جماعة خاصة بها، وهذا ما جعل دوفيريي يحتار في أمره في التعامل معهم، ولكنه كان مقتنعا أنه سيأتي اليوم الذي يسيطرون فيه على الكل[2].

واستطاع أن يميز الفرق بين الطريقة التيجانية والطريقة السنوسية، وقدم مقارنة شاملة بين الطريقتين على حسب تعامل هاته الطريقتين معه، وما قُدِم له من خدمات لكن بالرغم ما قيل من حماية زعماء الطريقة البكاوية لـ هنري بارث(Henri Barth) أو مساعدة التيجانية لدوفيريي،[3] فهذا لا يعني أبدا ولاء للأجانب ، بل من كرم وحسن الضيافة، وما هو أكيد أن كلتا الطريقتين دافعتا على الإسلام ورسختا قواعده في أرجاء الصحراء، وكافحتا سياسة التأثير الأوروبي، وحافظتا على هوية السكان.

وقد أوضح بول سوليه صراحة في كتابه مستقبل فرنسا في إفريقيا موقفه الاستعماري العدائي، في ضرورة ما تقوم به فرنسا.

- مستقبل فرنسا في إفريقيا يعني وجود الجزائر، الأرض الخصبة التي ستصبح أرضا فرنسية بمعنى الكلمة(شعبا، ثقافة، وملكية)، أو من خلال شعب يقبل القوانين الخاصة بفرنسا وعاداتها وأخلاقها من خلال الزمن، الاسم اللغة، وشرعية التأثير الفرنسي.

---

(1) Duveyrier Henri:Journal de route –, Publier et Annoté par ch. Maunoir et H-Schirmer, Paris ,1905. p 75.

(2) Ibid, p77. –

(3) Soleillet:Avenir, op cit –, p 65.

- مستقبل فرنسا في إفريقيا يعني أرض السينيغال هاته الأراضي كانت فرنسية على مر" عدة قرون.
- مستقبل فرنسا يعني وجود صحراء خصبة وشعب يجب أن يتحضر.
- مستقبل فرنسا يعني هو الانتقال إلى عالم أخر كبير وعصري والذي يقف في وجه أمريكا في ضفة البحر الأبيض المتوسط. ورغبتي أن نضم ضفاف البحر الأبيض المتوسط أعني العالم الجديد بالعالم القديم.[1] فبول سولييه يرى بأن فرنسا لا مستقبل لها دون السيطرة على الصحراء الكبرى، وجعلِها قارة واحدة بضم ضفتي البحر الأبيض المتوسط، لكن في الواقع هذا المشروع لم يكتب له النجاح، لعدة أسباب نوجزها فيما يلي:

- انعدام الأمن.
- التكاليف الباهضة.
- الأحداث الدولية والمحلية.
- سعي فرنسا لإثبات وجودها في المناطق' الشمالية، وخاصة أنها تلقت عدة مقاومات متفرقة في الزمن والمكان.

أما عن شارل دوفوكو فكان يرمي إلى السيطرة على المجتمع، بواسطة الأطفال والنساء وتعتبر نظرته هاته إستراتيجية بحتة، بالرغم تصريحاته التي ذكرها أن مرآه لديهم كالشيطان وتعمق في التجمع السكاني الطوارقي، بإتقان لهجة الطوارق حتى أنَّه ألَّف مجلدا في ذلك، وهو الآن يعتبر مرجعًا هامًا، للهجة الطوارق التي بقيت محافظة على خلاف اللهجات الأخرى التي اعتراها التغيير، بحكم الاحتكاك والتأثر بالمحيط المحلي والدولي.

المبحث الرابع: تحليل الجانب الاقتصادي.

---

(1) – soleillet ,Avenir, op- cit, p67.

لما كانت حياة القبائل البدوية في ترحال دائم بحثا عن الكلأ ومراعي جديدة باتجاه المناطق التلية، لعدة أسباب شجعت الاتصال البشري والذي دعمه الحكام الأتراك، لأنه قبل هذا التاريخ هاجر السكان إلى المناطق الداخلية هربا من الضرائب الباهضة والجباية التي أثقلت كاهل السكان، فوجد الحكام حلا بتقرب أهالي الجنوب من التل لتوطيد العلاقة من جديد، والبحث عن عهد وولاء جديدين، مقابل الاعتراف بالسلطة التركية والسماح لهاته القبائل بالتردد على الأسواق والمراعي [1]، وكانت هذه الضريبة الخاصة تعرف عادة بمناطق التيطري القريبة من المدينة برسم العسة أو المعونة، وهي تختلف باختلاف الجهات والقبائل والأسواق، بحيث تخفف على القبائل الموالية، ويزاد في مقدارها بالنسبة للعشائر المعادية للبايلك، مثل أولاد نائل الشراقة الذين كانوا يدفعون رسما مرتفعا من ضريبة العسة يقدر بـثلاثة الآلاف ومائة وخمسون(3150) خروفا و مائتان وسبعون(270) جرة زبدة غنم وتسعون (90)جملا بالإضافة إلى مبلغ من المال حدد بـألفين وسبعمائة (2700) ريال بسيطة.[2]

أما عن التبادل التجاري فكان يعتمد على حركة القوافل ونشاط التجار، فهو تعبير آخر ناتج عن كون ورقلة ومنطقتها ظلت بعيدة طيلة الفترة العثمانية، كما كانت في الفترة الإسلامية السابقة، ملتقى التجار ومركز المواصلات ومحطة للقوافل التي تعبر الصحراء وتربط أقاليم المغرب ببلاد العرب وجهات الشمال ببلاد السودان.[3]

---

(1) -Baudicour(louis) La guerre et le gouvernement de l'Algérie, Sagnier et Bray, Paris, 1853,p.290.

(2) Urbain (I.) :- Notice sur l'ancienne province du Titteri, in tableau de la situation en Algérie, 3années184 , -44 Paris, p.403.

(3) - Mauroy(M.) , op cit,p.63.

فالطريق الرئيسي الذي أعطى ورقلة أهمية خاصة والذي كان يعرف بطريق الواحات والقصور، كان ينطلق من تافيلالت نحو غدامس، ويتفرع من ورقلة إلى كل من غات، وتماسين، القليعة ، الأغواط، الزيبان، وهذا الطريق الرئيسي الذي سلكه ابن مليح السراج عام (1630م-1040هـ)[1]، ووصفه العياشي في رحلته عندما كان ذاهبا إلى الحج سنة (1663م-1043هـ)، حيث كان يمتاز بإستتاب الأمن وكثرة الأرباح التي يحصل عليها التجار بواسطته[2]، بحيث يصبح التاجر موسرا بعد أن يشارك في رحلة أو رحلتين عبر هذا الطريق[3]، فضلا عن كون هذا الطريق أقصر مسافة من طريق التل الواصل بين فاس وتلمسان والجزائر وقسنطينة وتونس[4]، فهو لم يتجاوز الألف كلم، بين منطقة متليلي ووادي ميزاب وبين مدينة تونس، مرورا على مدينة ورقلة. نتيجة الأمن والآمان التي تتمتع بها هاته الطرق.

وهناك طريق أخر لا يقل أهمية عن الطريق السابق فهو الطريق المعروف لدى الرحالة، الجغرافيين العرب بطريق الذهب، الذي كان يمر بورقلة وتقرت ويربط موانئ بلاد المغرب العربي بالمدن الرئيسية لممالك السودان كأغاديس وكانو وتمبكتو، فبفضل هذه الطرق أصبحت ورقلة ومنطقتها محطة ومستودعا مؤقتا وسوقا استهلاكية لمنتوجات الصحراء والتل والسودان. يعني أنها منطقة وسطية، ونقطة التقاء للقوافل ما زادت من قيمتها الاقتصادية والاجتماعية.

فالصحراء كانت تزودها بالتمور والأصواف والجلود والملح والحنة والمواشي والجمال ومختلف الأنسجة، كالبرانيس، والحياك والأغطية، فضلا عن الملح اليود وأنواع السكاكين والسيوف، والحلي الفضية.

---

(1) – له كتاب أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منهى الآمال والمآرب.

(2) -Prax)M(.Commerce :259-4pp,1849 ,Rouvier-Just ,Paris ,et le Soudan Mecque la avec l'Algérie de

(3) - Emerit, les liaisons, op. cit, p39.

(4) - Carette, op.cit,p22.

والتل كان يمد الصحراء بالحبوب والزيوت، والأسلحة والعطور، مع بعض المنتجات المستوردة عن طريق البحر كالأقمشة المتنوعة، والقهوة، والسكر، والشاي والورق، بينما السودان كان يصدر عن طريقها، البخور الأسود، والعاج، والفلفل والفول السوداني، بكميات معتبرة من التبر وأعداد وفيرة من العبيد السود.[1]

وقد كان لهؤلاء العبيد الذين كانت تقوم عليهم تجارة العبيد[2] والنخاسة أهمية خاصة في حياة ورقلة الاقتصادية طيلة العهد العثماني، بعد أن تضاءلت كميات التبر المستورد من السودان، وبعد أن ارتفعت أسعار الدقيق الأسود بصفة خاصة نتيجة تزايد الطلب بالمناطق الشمالية لاقتناء العبيد للخدمة في المنازل ، وبعد أن أصبحت القرصنة توفر العدد الكافي من الدقيق الأبيض.

كما يعود ارتفاع أسعار الدقيق أيضا ، إلى ازدياد تكاليف النقل بالصحراء منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ففي هذا الصدد نجد أن مدينة تقرت مثلا كانت تستقبل كل سنة خمسمائة (500) فردا من الدقيق، يقدر ثمن الواحد منهم في نفس المكان من مائة وخمسون(150) إلى مائتان وخمسون (250) فرنكا، لكن بعدما ينقلون إلى التل يصل ثمن الفرد منهم إلى أربعمائة (400) أو خمسمائة (500) فرنكا[3] . وقد يرتفع هذا الثمن إلى خمسة الآلاف (5000) بوجو (حوالي 3000 فرنكا) عند توفر المواصفات والشروط المطلوبة[4]، على أن الشيء الذي يلفت انتباهنا في هذا النشاط التجاري متمثل في جلب العبيد واقتناء السلع والبضائع المتبادلة بها، هو كونه كان إحدى الوسائل التي مكنت حكام إيالة الجزائر من ممارسة نفوذهم وتأكيد سلطتهم وإسماع كلمتهم لدى سكان منطقة ورقلة في وقت كان فيه أهل المناطق الجنوبية الشرقية يحرصون على إبقاء العلاقات التجارية مع

---

(1) -Escaray De Lautune, E:Thount. Le désert et le Soudan, Paris, 1853, pp540.561-.

(2) - كيروف زوبرينسكي: المشاعة، الرق، الإقطاع، التشكيلات الاجتماعية و الاقتصادية، ، 1978، ص117.

(3) -Emerit, op.cit,p29.

(4) (P.) Boyer:.-La vie quotidienne d'Alger à la veille de l'intervention française, Hachette,Paris, 1963,p166.

مدن الشمال، لأنهم يرون أن رخاء منطقتهم مرهون بانتظام القوافل التجارية وزيادة حمولتها.

وقد لاحظ ليون الإفريقي أهمية المبادلات التجارية في حياة المنطقة ، عندما ذكر بأن قبيلة سعيد عتبة الغنية بمواشيها، كانت تمارس التجارة مع ورقلة، وتوفر اللحوم لكل الجهات المحيطة بها في فصل الصيف.[1]

كما ذكر العياشي عند وصوله لورقلة صادف"دخول قافلة من أعراب الأرباع قدِموا بسمن كثير وغنم وإبل وزرع، اشترى الناس منهم ما احتاجوا إليه بأرخص ثمن وقدمت قافلة أخرى بعدها بيوم واحد تحمل مثل ذلك وأكثر فتنعم الناس في اللحم والتمر والسمن".[2]

ويقول كولونيو(Colonieu) عن مدينة ورقلة أنها: " ملكة الواحات المدعوة واحة السلاطين، كانت عاصمة مملكة صغيرة جدا بعيدة عن الصحراء المترامية الأطراف في وسط الرمال كأنها جزيرة خضراء في خضم من النار محصنة بسور مبني"بالطابية" يصونه خندق تتعهده السلطة بالإصلاح".[3]

ويقول أيضا: "رجال القوافل الجريئون الراجعون منها السائقون لقطر الإبل الطويلة محملة بالتمور لم ينسوا أن يقصوا قصصا شتى ملؤها العجائب، وكان لرحالة الصحراء هؤلاء هيئة تضفي على قصصهم تارة معركة دامية بين حين وحين وتارة معركة بين ورقلة وانقوسة وأحيانا بين ركام غابة النخيل في الطرق المظلمة الملتوية المؤدية إلى أبواب القصبة الملكية، وتريك تلك القباب المبيضة أبنية دينية شيدت لتذكر بالأولياء المحترمين المقدسين أو تسمعك أغاني الليل في الجنان على ضفاف السواقي النابعة من الآبار الارتوازية".[4]

التجارة الصحراوية رفعت في القرن التاسع عشر الميلادي، إلى الخيال الحقيقي والتي جعلت من المكتشفين والرحالة الأوروبيين ، يهتمون بذلك وكتبوا تقارير إدارية

---

(1) Léon l'Africain, op.cit ,-v ,II ,439p.

(2) –العياشي نفس .،ص46.

(3) Voyage dans le Sahara algérien :- Colonieu (V.) collect, tour du monde, 1863,N°169 p 161.)

(4) –Ibid,p 163.

هامة ومتعددة ، فالنقود في مناطق الصحراء لم تكن محل أنظار أو اهتمام، والدراسات التي تناولت الموضوع شحيحة جدا، فالنقود تقربنا من حقيقة الحياة الاقتصادية، وليس من باب التاريخ الاقتصادي للمناطق الصحراوية من خلال اللقاءات والتبادل بين الشمال والجنوب الصحراوي.[1]

فالتجارة أصبحت مباشرة بالحالة النقدية بعدما تحولت، لأنها أصلا كانت مقرونة بالمقايضة، إلاَّ فيما بعد أصبح التعامل بالنقود، فتنظيم وتخزين المال له أن يسهل أو يصعب العملية التجارية فيما يخص التبادل، وأي عملية تتم في هذا الشأن تدخل ضمن الشروط الاقتصادية(حرب، أو انعدام الأمن، أو تغييرات سياسية).[2]

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، نسجل دخول البضائع التجارية الأوروبية عن طريق البحر الأبيض المتوسط، أو عن طريق المحيط الأطلسي، هاته التجارة أصبحت هامة بعد (1870م-1287هـ). أما عن التطور النقدي في كل من القرارة، توات، وتيديكلت لم تكن لها نقود خاصة بها، وإنما كانت نقود أوروبية، أو نقود مغربية قديمة، أي أنها كانت سوقا مفتوحة على العالم، وأخذت النقود الفرنسية مكانتها يوما بعد يوم في التداول بتلك المنطقة، وهذا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ولكننا نلاحظ غياب سك النقود في ذلك الزمان والمكان حتى سنة (1886م-1304هـ) استخدمت المنقطة "الفراك التواتي والريال التواتي" وقيمته بين 0.90 فرنكا إلى 1.90فرنكا.[3] وتمَّ التداول بالفرنك الفرنسي، بعدما سيطر الاحتلال الفرنسي على كامل المنطقة.

يقول بول سوليه أن أفكاري قد تلقى التدعيم من بعض النَّاس سواء في التجارة أو لإخصاب الصحراء، وإعمارها بشعب السود، وأخر لا يرى سوى دخول القاطرة قارة الصحراء، إن ما شاهدته قد يتعدى الفلسفة لكن يجب أن يتحقق هذا التحول في إفريقيا بمختلف الوسائل.[4]

ففي مجال التجارة يجب أن تكون هناك ثورة في النقل (خط السكة الحديد) لكن من أين تكون هاته الثورة بدون سواعد، ولا دون إعمار مناطق الصحراء، كما

---

(1) chentouf - (T.),Etudes, op cit, p 18.

(2) – Ibid, p 20.

(3) –- Colonieu (V.), op- cit, p164.

(4) – Paul Soleillet, op- cit ,p68.

يجب معرفة الأهمية الإستراتيجية عند ضم ضفاف البحر الأبيض المتوسط لفرنسا، وهذا ما قامت به روسيا وأمريكا و بريطانيا، وكذلك المصريون، فهل نحن عاجزون أمام هاته القارة اللغز.[1]

ونلاحظ في القرن الثامن عشر الميلادي، أنه لم يكن أوفر حظا من القرن التاسع عشر الميلادي، من ناحية التقارير، أو عدد الرحالة الذي جابوا الصحراء واختلفت طريقة تناولهم في الملاحظة والدقة، وحتى من ناحية المواضيع المعالجة، فمن الناحية الاجتماعية، كما رأينا أعطوا العدد الدقيق للسكان، ومختلف القبائل والفروع والمضارب التي يسكنونها وطريقة الحياة الاجتماعية من عيش وزواج وطلاق واحتفالات بالمواسم الدينية كالحج مثلا، أما من الناحية الاقتصادية فذكر التداول ظل قائما، مع ظهور العملات، والتداول بها مع اختلافها وتعددها.

وكما ذكرنا سعت فرنسا لعقد اتفاقية مع رجال الطوارق بغدامس، وكذلك اتفاقية مع بني ميزاب، حيث أن فرنسا لم تكل، ولم تملَّ في الكشف عن أسرار الصحراء والبحث عن المجالات الواسعة فيها، ولإيجاد طرق جديدة للتجارة الفرنسية، حيث أبرمت في هذا الصدد معاهدة غدامس بين الفرنسيين وزعيم الطوارق الشيخ ايخنوخن،[2] حيث سارعت فرنسا إلى ترويض زعماء هذه المناطق، باستدعائهم إلى الجزائر العاصمة وإلى باريس وربط صداقة معهم؛ لذلك قَبِل رؤساء الطوارق إبرام معاهدة في 26 نوفمبر 1862م(03 جمادى الثانية 1279هـ)، بغدامس مع البعثة الفرنسية، التي توجهت إلى هناك، وأهم أعضاء الوفد هم على الخصوص:- ميرشار (Mircher)، قائد سرية الأركان، مرافق جنرال الفرقة العسكرية دي مارتيمراي(De Martimprey)، ونائب حاكم الجزائر.

---

(1) – هذا ما ذكره بول سوليبه في كتابه مستقبل فرنسا في السيطرة على القارة الإفريقية.

(2) –إبراهيم مياسي، مرجع سابق،ص 273.

- دي بولينياك (De Polignac)، نقيب الأركان، منتدب بالمكتب السياسي للشؤون العربية.

-دي فاتون (De Vatonne)، طبيب عسكري.

- إسماعيل بوضربة، مترجم عسكري.[1]

انطلقت البعثة من الجزائر عن طريق البحر، متجهة إلى ميناء طرابلس يوم 28 سبتمبر 1862م(02 ربيع الثاني 1279هـ)، وبعد أيام اتجهت البعثة نحو غدامس يوم 04 أكتوبر، والتحقت بها إلاَّ يوم 21 من نفس الشهر.

وفي 24 نوفمبر 1862م(01 جمادى الثانية 1279هـ) اجتمعت البعثة مع الوفد التارقي المكون من الحاج جابور رئيس قبيلة آمانغازاتن، والشيخ عثمان المرابط والزعيم الديني لتيماسينين، لقبيلة ايفوغاس، وعمار الحاج، أخ ايخنوخن ونائبا عنه[2] وبعد محادثات طويلة، وقعت المعاهدة بين الطرفين، ومن أهم بنودها:

1)- إقرار الصداقة والتبادل المشترك لحسن النوايا بين السلطات الفرنسية ومختلف فروع قبائل الطوارق.

2)- بإمكان الطوارق أن يمارسوا تجارتهم بكل حرية لبضائعهم، وبضائع السودان داخل الأسواق بالجزائر، دون أي شرط، ماعدا أداء المكوس العادية.

3)- التزام الطوارق بتسهيل وحماية التجار المفاوضين الفرنسيين، والأهالي الجزائريين المارين عبر مواطنهم وإلى بلاد السودان، ذهابا وإيابا، وكذلك حماية بضائعهم التجارية على أن يدفعوا حقوق الرسوم.

4)- تلتزم الولاية العامة للجزائر، وزعماء الطوارق، بتحديد الطرق التجارية المربحة وفتح السبل للتجارة الفرنسية إلى السودان، ولإثبات حسن النوايا نحو موطن الطوارق فإن ريع هذه التجار ستعود بالفائدة على الجميع بتحسين أحوال الطرق، وحفر آبار جديدة وإصلاح ما هو قائم بها.[3]

---

(1) - Henri Duveyrier: les Touaregs, op cit ,9p49.

(2) – Vuillot (P):l'exploration du Sahara, Paris;challamel,1895,p61.

(3) – إبراهيم مياسي،مرجع سابق،ص 275.

وبعد الموافقة على هذه المعاهدة، وإمضائها من قبل الطرفين، احتفظ كل طرف بنسخة مكتوبة بالعربية والفرنسية، لضمان تطبيقها، ثم أردفت هذه المعاهدة ببنود إضافية خاصة بقبائل آزجار[1] هذا نصها:

1)- طبقا للتقاليد القديمة المنظمة للعلاقات التجارية بين دول شمال إفريقيا، ومختلف عشائر الطوارق، فإن عائلة الشيخ الحاج ايخنوخن تبقى مكلفة بضمان آمن كل القوافل الآتية من الجزائر، والمارة عبر بلاد آزجار، وتستمر العلاقة التجارية القائمة إلى حد الآن كما هي ما بين عائلات آزجار ومختلف أعراش الشعانبة وسوف.

2)- من أجل الضمانات الأمنية، تدفع القوافل الفرنسية أو الجزائرية الذاهبة إلى السودان ضريبة للشيخ ايخنوخن، أو وكلائه، أو ورثائه، على أن تحدد قيمتها فيما بعد.

3)- تسوى الخلافات التي قد تحدث ما بين المتعاملين والوسطاء الطوارق بالود والانصاف من طرف الشيخ أو ممثليه بمقتضى الأعراف المعمول بها في البلد.

4)- يلتزم الشيخ الحاج ايخنوخن، والقادة السياسيون الآخرون للطوارق آزجار، عند عودتهم من غات، بربط علاقات طيبة مع قبيلة كل وي، من أجل تهيئة الظروف الحسنة لاستقبال المفاوضين الفرنسيين والجزائريين، وكذلك مرور قوافلهم عبر بلاد الآبير.[2]

نلاحظ من خلال هاته الاتفاقية بين فرنسا وقبائل الطوارق، أهمية هاته القبائل المنتشرة في الصحراء، وقوتها في فرض سيطرتها على الطرق التجارية والتحكم فيها. لتأمين الحركة التجارية بين فرنسا وبلاد السودان.

---

[1] – مياسي ابراهيم: مرجع سابق،ص 276.

[2] – Vuillet (P.), op cit, pp 70-73.

الفصل الثالث: **مقارنة الدراسة التقييمية للتقارير بين القرنين**

المبحث الأول:دراسة تقييمية للمصادر الأجنبية.

كانت الجزائر منذ أن ألحقت بالحكم العثماني سنة (1518م-925هـ) محل اهتمام بالغ، ودارسات ومواضيع متواصلة من أبحاث مختلفة من طرف الفرنسيين، وكانت الجزائر أوفر حظا من البلدان المغرب العربي، من حيث الإنتاج الفكري الأدبي والتاريخي والعسكري.[1]

ونجد اهتمام مبالغ فيه بالنسبة للجزائر على خلاف البلدان الأخرى، وهذا نتيجة ازدياد نفوذ الجزائر على الساحة الدولية، وفي بعض المرَّات يتحول إلى كراهية وسخط، فكانت موضوع دراسة وتحليل، حاولوا إيجاد ثغرات تبرر غاراتهم فهذه النزعة السائد

وهذا ما عبر عنه دي غرامون(De Grammont)[2]، في كتابه "تاريخ الجزائر تحت الهيمنة التركية (1516م-1830م-)(922هـ-1246هـ)"، وفي أول صفحة يقول أنَّ "الجزائر كانت مصدر للرعب، والملجأ المفضل للقراصنة البربريسك...سياسة القرصنة التي سلكتها الجزائر، كانت أمرا حيويا لوجودها واستمراريتها، فهي دولة لا تتوفر على تجارة، ولا على صناعة، ولا زراعة"[3] أو وصف بلاد وادي ميزاب بالعقم بالرغم ما أنتج وهو في عصور الانحطاط أو وصف أهل بسكرة من آكلي لحوم الكلاب، وذكر الدكتور شو (Shaw) في كتابه أن أحد الدايات رد على احتجاجات قنصل انجليزي ضد اعتداءات البحارة الجزائريين:"أنهم يشكلون عصابة والداي رئيسها"[4]، وهناك

---

(1) Turbet Delof :– Bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française 1532-1715,SNED, Alger, 1976, p 53.

(2) –هو جاك دلماس دي غرامون (Jacques Delmas De Grammont)، (1796م-862م)(1211هـ/1279هـ) جنرال ورجل سياسة فرنسي . Larousse ,op cit, p 1360.

(3) –Grammont, Histoire d'Alger, Adolphe Jourdan - Alger ,1890,p210.

(4) – Shaw,op cit, p414.

من يعلل التواجد الفرنسي في الجزائر، مثل شارل روكس (Charles Roux)في كتابه العلاقات الفرنسية- المغربية قبل(1830م-1246هـ) ويبرر ذلك أنَّ الاستعمار الفرنسي جاء نتيجة حتمية للقضاء على عش القرصنة، وما فيه من همجية وبربرية.[1]

وقام السيد هورنمان(Horneman)[2]، برحلة ترك لنا فيها سجلاً حافلاً بالأحداث التي صادفها، على أنَّ النجاح الحقيقي الذي سجله في استكشاف الصحراء غطت عليه حروب نابليون الأول، ويتمتع الرحالة بمعرفة واسعة بالجغرافيا الإفريقية، وبدراسة أحوال الشعوب والمناطق التي سيتجول فيها، وخصوصا بمعرفة محترمة باللغة العربية، وفي سنة (1828م- 1244هـ) وصل المستكشف رينه كاييه (René Caillié)، إلى نهر النيجر ثم دخل تمبكتو، وعرف أسرار المدينة الإفريقية العربية، فكان أوَّل أوروبي يعود بوصف دقيق للمدينة، أما الدكتور هنري بارث(Henri Barth)، فقد اهتم خلال رحلته بصفة خاصة بالتاريخ والحفريات والاتنوغرافيا، فقد تمكن من جمع معلومات قيِّمة عن البلاد التي تجوَّل فيها، وقد أهلته لذلك معرفته بالأعمال العلمية العديدة، ثقافته الواسعة وإرادته الفولاذية.[3]

أما هنري دوفيريي(Henri Duveyrier) فسجل ملاحظات ومذكرات بعناية ودقة متناهية في كتاب قيم عن الطوارق، الذي مازال يعتبر من الوثائق الأساسية التي لا يستغني عنها باحث في معرفة الطوارق،[4] وهو عبارة عن دراسة شاملة لمنطقة الطوارق الشمالية، ويتضمن الجغرافيا الطبيعية، وطبقات الأرض والأحوال الجوية وموارد المياه، كما يشمل ملاحظات تتعلق بالحيوانات والنباتات وأحوال المعيشة والطقوس الدينية، وأخلاق الطوارق وعاداتهم وتقاليدهم وأصلهم[5]. فتقريبا دراسته هذه دراسة شاملة غطت كل الجوانب الحضارية فهو مصدر لا غنى عنه.

ودرس جيرهارد روهلفس(Gerhardt Rohlfs) بعناية مجموعة من الواحات من توات، وايغلي، وبني عباس، وأدرار، إلى عين صالح، أما عن

---

(1) - Panis(J.C),op cit, p 66.

(2) – وله كتاب عنوانه:Voyage dans L'Afrique septentrionale depuis le Caire jusqu'à Mourzuk.

(3) –إسماعيل العربي، الصحراء، مرجع سابق،ص .133

(4) –نفس المرجع،ص.134

(5) - Henri Duveyrier, les touareg,op cit, p500.

أوسكار لانز(Oscar Lanz)، فكتب كتابا[1] سجل فيه عملا جليل القدر، وثورة عظيمة من المعلومات والملاحظات العلمية، وهو كذلك من المصادر الهامة.[2]

علاوة على التبشير بالدين المسيحي الذي حاول محاصرة وتطويق العالم الإسلامي بالاستيلاء على عدة نقاط من الصحراء، وخير دليل على ذلك تصريحات الكاردينال لا فيجري(Lavigerie)، أو الأعمال التي قام بها الأب دوفوكو(De Foucauld) فالصراع الديني قائم ، ورجال الكنيسة يُملون ما يريدون ومصادر المؤرخين رهبان غلاة حتى أن الأميرال الانجليزي اكسموث(Exmouth)، قائد الحملة على مدينة الجزائر سنة (1816م-1232هـ) – بالإضافة إلى حملة الانجليز على الجزائر سنة (1824م-1240هـ)، يقول أنَّ جنوده "محاربون من أجل قضية المسيحية النبيلة" ووصف أهل الجزائر بحشد من المتعصبين.[3]

لكن التعصب في حد ذاته بدأ بظهور التيار الديني بأوروبا، أثر على إيديولوجية أدب تلك الحقبة، التي استمدتها من جذور الأحداث المتمثلة في الصراع بين المسيحية والإسلام، وتجسد ذلك في ظهور المخططات العديدة والمتنوعة لتفكيك الإمبراطورية العثمانية، بصفتها مركز الخلافة الإسلامية، ومحاصرة العالم الإسلامي وتطويقه، ومع تعدد المبعوثين الذين كان مصيرهم الموت (الاغتيال)، إلا عزائمهم لم تأفل. بل كانوا يعتقدون أنَّ رسالتهم نبيلة وهدف يجب أن يتحقق، وأنَّهم ماتوا في سبيل الله.[4] ومع ذلك خاب أملهم لأنَّ الدين الإسلامي هو دين الفطرة.

ونجد كذلك الرحالة والمكتشفين استغلوا المصادر العربية بما يخدم مصالحهم، وما يحقق لهم الغاية، ثم تجاهلوا كل ما يعاكس ذلك، ومع هذا فلقد

---

(1) – Tombouctou, Voyage au Maroc au Sahara et au Soudan.

(2) - مولاي بلحميسي: موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني، م ت، العدد 05، الجزائر،1988،ص105.

(3) – نفس المرجع، ص106.

(4) – إسماعيل العربي، الصحراء، مرجع سابق، ص135.

وصفوها بالغير مجدية، أو هي في حاجة إلى الدقة والتفصيل، ولكن لولا المصادر العربية ابتداء من الدكتور شو (Shaw)، دوفيريي(Duveyrier) دوماس(Daumas) سوليه(Soleillet)، وغيرهم كثير لما توصلوا إلى الدقة التي يقصدونها، فهاته المصادر سهلت عليهم عناء البحث والاستكشاف وأصبحت كتاباتهم مكملاً للمصادر المحلية، فتناولت أحداث داخلية ونشاط اقتصادي وعلاقات اجتماعية، ونجد أنفسنا أمام حتمية الاعتماد على هاته المصادر الأوروبية، التي نجدها تعتمد كثيرا على ما كتب ابن خلدون الإدريسي، الوزان، البكري وابن بطوطة.[1]

ومع أهمية المصادر الأجنبية ونقلها لصورة حية عن التجمعات السكانية وحصيلة النشاط الاقتصادي من مقايضة وتبادل تجاري على المستوى الداخلي والخارجي، وتقصي أخبار القوافل ورصد طرقها، وتطور الحياة الاجتماعية وتعدد التركيبات الاجتماعية، وذكر الاحتفالات والطقوس الأخرى، من زواج وطلاق وميراث، إلاَّ أنَّها لا تمكننا من تجديد النظرة وإعادة صياغة ما كتبوا حتى وإن كانت هذه الصياغة فهي لا تتعدى السطحية التي تصور الواقع التاريخي في حد ذاته.

أغلبية الرحالة والمكتشفين الذين دوَّنوا ما رأوا، هم كتاب عسكريون بالمهنة أو تراجمة عسكريون، اعتمدت عليهم الإدارة الفرنسية في تسيير شؤون الأهالي وهم ضباط تكونوا تكوينا خاصا، وكان هؤلاء العسكريين على صلة مباشرة بالجزائريين أثناء كتابة تاريخ الأهالي، أمثال ذلك دوفوكو (De Foucauld) الذي كتب قاموسا عن لهجة الطوارق ، وهانوتو(Hanoteau)

---

[1] –مولاي بلحميسي: المؤرخون الفرنسيون في العهد العثماني،م أ، العدد 14 و 15، الجزائر، 1973،ص72.

عن اللهجات القبائلية[2] لكن رغم بحث الفرنسيين عن المصادر الأهلية، فهم يشككون في قيمتها واتهموها بالتجريد والمبالغة، وعدم الاهتمام بها مثلما قال وليام مارسي(Marçais,W.)، ودي سلان(De Slane)، وستيفان غزال(Gsell, S.)، بل هم ينادون بالاعتماد على رحلات الأوروبيين، وأرشيف الدول الأوروبية[1]، والواقع أن دي غرامون(De Grammont) قد سبقهم في رفض كتابة تاريخ الجزائر العثمانية، والاعتماد على المصادر الأهلية لعدم الثقة فيها، ومع ذلك ترجموا العديد من الرحلات المحلية واعتمدوا على مترجمين عرب من أمثال بن أبي شنب[2]، العنتري[3]، وغيرهم ومن الكتب المترجمة:

- تاريخ باشوات الجزائر لابن المفتي.
- الزهرة النيرة للتلمساني.
- غزوات خير الدين وعروج لمؤلف مجهول.
- الحلل السندسية وعجائب الأسفار لأبي راس الناصري[4].
- بهجة الناظر للمشرفي.
- رحلة الباي محمد الكبير لابن الهطال.
- رحلة الورثلاني، ورحلة ابن عمار، وكشف لرموز لابن حمادوش.
- تاريخ قسنطينة لابن المبارك.[5]

---

[2] –إسماعيل العربي،الصحراء، مرجع سابق،ص 135.

[1] –أبو القاسم سعد الله:منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، م أ، السنة الثالثة، العدد14و 15، الجزائر، 1973،ص15.

[2] - هو محمد بن أبي شنب، ولد سنة (1869م-1286هـ)، بنواحي المدية، باحث وأديب معروف بعدد من الدراسات اللغوية والأدبية وبترجمة بعض الكتب وتحقيقي مخطوطات نفسية، له تحقيق مخطوط "البستان" لابن مريم، وترجم رسالة لأبي حامد الغزالي في تربية الأطفال، وإجازة الشيخ عبد القادر الفاسي، توفي سنة (1929م-1348م). المصدر: أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة،ص307.

[3] – هو صالح العنتري بن محمد بن أحمد العنتري بقسنطينة في أوائل القرن التاسع عشر، له مؤلفات منها: تاريخ بايات قسنطينة، وهدية الإخوان في موافقة التاريخين وتوقيعات الزمان وفوائد متفرقة لها شأن، وإخوانيات، توفي بعد سنة (1876م-1293هـ). ناصر الدين سعيدوني، مشاهير ، مرجع سابق،ص395.

[4] – هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر الراشدي المعروف بأبي راس الناصري الجليلي المعسكري،فقيه مالكي مفسر، ومؤرخ نسابة وخطيب وقاض مفت، ومدَّرس للعلوم الشرعية، وإماما وحافظا للمتون المختلفة ولكتب الحديث والتفسير والمذاهب، له عدة مؤلفات نذكر على سبيل الحصر لكثرتها (نحو الخمسين كتابا) وهي در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة، وزهرة الشماريخ في علم التاريخ،وأقوال التأسيس عما وقع وسيقع مع الفرنسيس. توفي سنة (1823م-1238هـ). مشاهير، نفس المرجع،ص530.

[5] – أبو القاسم سعد الله، الثقافي، مرجع سابق، ص299.

- مذكرات (لكل واحدة مذكراته)، حمدان خوجة، بوضربة، سي عزيز بن الشيخ الحداد، الحاج أحمد باي قسنطينة.
- تاريخ بني زيان للتنسي.
- تاريخ العدواني، والفارسية لابن قنفذ.[1]

بالإضافة إلى العديد من الوثائق والرسائل والشعر الملحون، وكتب الفقه والنحو والأصول، كما اهتموا بالطرق الصوفية ورجالها كمصادر للتفكير الأهلي.

ونجد من هؤلاء الكتاب والباحثين، لم يكونوا مؤرخين بالمعنى، بل معظمهم من الهواة ، ومن كتب الثقافة العامة، والانطباعات والمذكرات والتقارير الرسمية فأغلبهم ضباط عسكريين يجمعون بحماس شديد كلما يقع بين أيديهم من مصادر مكتوبة أو شفوية، ومن آثار قديمة وحديثة، بهدف الوصول إلى فهم السكان، وليس بغرض العلم، ويحصلون على تلك المصادر بالإغراء أو بالقوة، وكما كان يفعل بيربروجر(Berbrugger) في تتبعه للجيش حيثما يذهب، ويجمع من كل مدينة المخطوطات العربية من الزوايا والجوامع والمكتبات الخاصة، ويعود بها إلى العاصمة.[2]

لقد استفاد الباحثون الفرنسيون من جمع المصادر والآثار وحفظوها في المكتبات والمتاحف والسهر عليها، كما قاموا بترجمة ونشر الكثير من الآثار العربية الإسلامية، وأحيانًا ينشرونها كما هي[3]، وبذلك ساعدوا على بقائها، كما استخدموا تقنية حديثة في البحث كتصنيف المواد والفهارس والأبجديات، وازداد

---

[1] – هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي المعروف بابن الخطيب لتولي جده وأبيه الخطابة، وبابن قنفذ شهرة عائلته ولد وتعلم بمدينة قسنطينة،وولد قبل سنة (1356م -759هـ)، من آثاره: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، والوفيات وحظ النقاب عن وجوه أعمال الحساب وهو شرح لتلخيص ابن البناء، وأنس الفقير وعز الحقير في التصوف، توفي سنة (1406م-809هـ).مشاهير، مرجع سابق،ص451.

[2] – أبو القاسم سعد الله: منهج، المرجع السابق،ص 17.

[3] –مولاي بلحميسي:موقف المؤرخين مرجع سابق، ص105.

البحث العلمي ثراء، وشيوع التضامن العلمي بينهم، وتبادل الخبرات عن طريق نشر الدوريات والكتب وعقد الملتقيات والمؤتمرات، وتوفير المادة الضرورية لجمع المعلومات ونشرها بأقرب الطرق، وتوجيه نقد للمصادر والوقوف منها موقف الشك والتحفظ وهذه وحتى إن كانت نقطة إيجابية ومن ظواهر البحث الحديث، فهم طبقوها على المصادر العربية والإسلامية، فأصبحت وكأنها ظاهرة غير علمية في هدفها، رغم أن أساسها علمي واضح.[1]

لكن رغم هذه الاستفادة، إلاَّ أنَّهم أهملوا تاريخ الجزائر بحيث كتبوا عنها بأنَّها منطقة تداولت عليها الدول والشعوب ابتداء من الفينيقيين وصولا إلى الفرنسيين، وليس هناك في نظرهم شعب أو أمة أو كيان، أو مجتمع متماسك وإنَّما هي قبائل متنافرة، وفي حروب مستمرة، ولا تخضعها إلاَّ القوى الاستعمارية كالرومان والأتراك والفرنسيين.[2]

---

[1] – مولاي بلحميسي:موقف المؤرخين ، مرجع سابق،ص 107.

[2] –أبو القاسم سعد الله: منهج ، مرجع سابق، ص20.

المبحث الثاني: دراسة تقييمية للمصادر المحلية.

إنَّ أكثر ما كتبه الباحثون عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، هو تاريخ مكتوب من مصادر أوروبية، وفي نظر بعضهم أن تاريخ الجزائر من القرن السادس عشر الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي، يجب أن يدرس بصفة رئيسية من خلال ما رواه مراقبون غربيون، وبواسطة وثائق تاريخية، لكن معظم الكتابات والرحلات العربية هي أقدم من الاحتلال الفرنسي في حد ذاته، رغم القيمة الإخبارية للمصادر الأجنبية، إلا أن بها نقصا كثيرا، علاوة على الأحكام المسبقة الخطيرة التي تشتمل عليها، ولا غنى لنا عنها، لأن المصادر العربية فيما يخص هذه الحقبة نادرة وخاصة في دراسة المناطق الصحراوية، في جميع الجوانب الحضارية، وكذلك الرحلات النثرية بتراجم الأولياء جد قليلة بأي خبر عن البلاد، بالرغم ما وجدناه إلاَّ أنَّه قليل جدًا، لأن أغلب مؤرخو العصور الحديثة والمعاصرة يحملون طابع البيئة التي عاشوا فيها.[1]

واحتلت الدراسات الدينية مكانة مرموقة في قلوب سكان المغرب فباستثناء الفنون التي يستعان بها على فهم الدروس الدينية مثل النحو واللغة العربية، كعلم البلاغة والمنطق في خطب الوعظ والإرشاد وعلم التوحيد، ومبادئ الحساب اللازمة لتقسيم المواريث، وعلم الفلك الذي يهدي لمعرفة أوقات العبادة وأدائها.[2] إلاَّ أنَّه يبقى غير كاف للإلمام بجميع الأدوار.

---

[1] – مولاي بلحميسي: المؤرخون الفرنسيون ، مرجع سابق،ص73.
[2] – أبو القاسم سعد الله: منهج الفرنسيين ،مرجع سابق،ص 22.

ولهذا اختلفت هاته المصادر العربية، من حيث النية في الكتابة، فنجد من الرحالة العرب الذين كتبوا عن الجزائر، كانت رحلاتهم من أجل طلب العلم، فإذا ما أتم الدارس تعلمه في بلاده، سافر بعيدا إلى إحدى العواصم العربية، يجالس أشهر علمائها ويحضر دروسهم ويسعى في الحصول على إجازتهم،[3] فيقيد ما حدث ويلخص ما اقتطف، ويصبه في تقاييد ، وهو هيكل كتاب يعرف فيما بعد بالرحلة في طلب العلم مثلما فعل محمد المكي الدرعي الناصري(أواسط القرن الثامن عشر الميلادي) صاحب الرحلة المراكشية وقبله ابن زاكور الفاسي (المتوفى سنة 1708م-1120هـ) الذي قضى شهورا بالجزائر العاصمة ، يأخذ عن علمائها ويتضلع في الفقه والمنطق والتوحيد فصوَّر هذه الإقامة الدراسية في "نشر أزاهير البستان..."[1].

وهناك نوع أخر من الرحلات الاستطلاعية، والتي يخطر لمحب التجوال والمغامرة، أن يرتحل لمدة كثيرا ما تستغرق شهورا أو سنوات يدوِّن أثناءها ما يعجبه أو يجلب اهتمامه، أو يخالف ما أَلِفه[2].

وهناك نوع ثالث من الرحلات وهي رحلة للسفارة وتعرف اليوم بالرحلة الدبلوماسية، حيث ظهر هذا النوع في القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) فكان السلاطين السعديون، وبعدهم العلويون يعينون بعض المقربين لهم للقيام بمهمة في البلدان الأجنبية، أو الإسلامية[3]. وأخيرا النوع الرابع الرحلات الحجازية، وما أكثرها ومن بين أولئك: العبدري صاحب الرحلة المغربية، والعياشي صاحب رحلة ماء الموائد، وعبد الرحمان بن محمد الخروب المجاجي صاحب رحلة معروفة بإسمه.

---

[3] – نفس المرجع، ص23.

[1] –مولاي بلحميسي: المغاربة ، مرجع سابق، ص10.

[2] – من بين هؤلاء أبو حميد الغرناطي (1080م-1169م (476هـ-565هـ)، له مؤلف تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ولسان الدين ابن الخطيب(1313م-1374م) (704هـ-776هـ)، وله مؤلف خطرة الطيف رحلة الشتاء والصيف، وهي رحلة مغربية، والرحالة الحسن بن محمد الوزان الفاسي له مؤلف وصف إفريقيا بلحميسي: المغاربة ، نفس المرجع،ص 11.

[3] –مثلما وقع لأبي الحسن بن علي بن محمد بن علي التمقروتي(1560م-1594م) (968هـ-1003هـ)، عندما كلفه أحمد المنصور بالذهاب إلى اسطنبول، وما جرى للوزير الغساني سنة (1786م-1201هـ)، مبعوث مولاي إسماعيل لدى ملك اسبانيا ، وله مؤلف رحلة الوزير في افتكاك الأسير، نفس المرجع،ص16.

و تعاني المصادر العربية نقصًا، في الاهتمام من ناحية الدراسات الجادة على خلاف الغرب، الذين اهتموا بها، ومعظمهم من التجار والقناصل والمغامرين، وما من شك أننا نجد فيها الكثير مما يساعد على تتبع الحوادث،[4] أو تصور الحقائق غير أن نظرة الغربيين وتحليلهم يصيب أحينا ويخطئ أحيانا كثيرة، وقد ركزوا على ما يهمهم فقط وتركوا الباقي، مقارنة بالمصادر العربية فهي ضئيلة، ولا تستطيع أن تنافس أو تزاحم التأليف الأوروبي الخاصة بالجزائر في العهد العثماني.[1]

وهذا ما زاد الرحلات المغربية أهمية لما فيها من أخبار وإشارات حول المدن والتل والصحراء، والقبائل المتعددة، والتجارة، وكتَّاب الرحلات أو من ألفوا للواقع المغاربي عموما، هم من أهل العلم والمعرفة والإطلاع على ماضي المغرب الأوسط وحاضره وينتمون إلى طبقات اجتماعية عالية، وهم في أول الأمر عرب ومسلمون لا يوقفهم حاجز اللغة مثل ما وقع للأوروبيين، وبعيدون عن الأفكار المسبقة والنوايا السيئة، فلقد وصفوا الجزائر ودوَّنوا أخبارها، وتحدثوا عن شعبها، ووصفوه بحسن الكرم والضيافة.

إن لهذه الرحلات فوائد تاريخية جمة، نظرا لقلة المصادر العربية التي يعول عليها لرفع الغبار، وسد الفراغ وإلقاء الضوء حول فترة دامت ثلاثة قرون، وهي أكثر غموضا أو تشويها، فرحلة العياشي المشهورة (ماء الموائد) بها مجموعة من الأخبار الهامة التي تساعد الباحث على معرفة أوضاع الجنوب الجزائري في القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري)، سياسيا، اقتصاديا وثقافيا، فهو من أدرى الناس بصحراء المغرب الأوسط ،لأنه حج ثلاث مرات ذهابا وإيابا، في وقت كان الرحالة يمرون على تلمسان، أو معسكر، أو قسنطينة، أو ورقلة، وعني العياشي عناية بالغة بأخبار الماء في الصحراء، فذكر أماكن الماء، وكيفية استخراجه وتوزيعه وقيمته.

---

[4] – أبو القاسم سعد الله، الثقافي، مرجع سابق، ص300.

[1] – إبراهيم مياسي، مرجع سابق،ص 58.

كما عني المجاجي بها كثيرا منذ انطلاقه من الغرب الجزائري إلى البقاع المقدسة فهو يصف بدقة الأماكن التي زارها، ويذكر الآبار التي شرب منها ويصف المدن مدينة تلو الأخرى.[2]

أما عن مشاهير الرحّالة المسلمين فلدينا: شهاب الدين ياقوت الحموي صاحب موسوعة (معجم البلدان)، [3] **احتوى كتاب رحلته على** جميع معارف القرون الوسطى عن الكرة الأرضيّة بما فيها تراجم مشاهير البلدان وإحداثيّات المدن وتاريخها.

وأبو الحسن المسعودي صاحب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الذي وصل برحلته إلى الصين ، وإلى سواحل أفريقيا الشرقيّة، وتقصّى فيها مصادر الاطّلاع بالوصف والتعليل.[1]

ومحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المشهور بابن بطوطة صاحب (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) الذي زار بلاد العرب، والهند وجزيرة سيلان، والصين، والقسطنطينيّة، وعدداً من البلاد الأفريقيّة.

وأبو الريحان البيروني صاحب (الآثار الباقية من القرون الخالية) الذي وصف الهند وصفاً دقيقاً.

والرحّالة المراكشي الحسن بن محمد الوزان الشهير بجان ليون الإفريقي الذي وصف إفريقيا وصفاً دقيقاً في كتابه (وصف إفريقيا).[2]

والرحّالة أبي دلف الخزرجي الذي وصف بلاد تركستان والصين والتبت والهند وسجستان.

والرحّالة ابن جبير الأندلسي الذي رحل إلى المشرق ثلاث رحلات استغرقت إحداها ثلاث سنوات.

---

[2] –الخروب المجاجي، مصدر سابق،ص ص08-09.

[3] – الحموي ياقوت، مصدر سابق، ص95.

[1] – أبو القاسم سعد الله، الثقافي،مرجع سابق، ص 302.

[2] Note sur les grands voyage de Léon l'Afrique, Héspéris,Paris, 1954, p155.: - Manny(R.)

والرحّالة إبراهيم بن يعقوب الأندلسي الذي وصف ألمانيا وأوروبا الوسطى.

وابن رشيد السبتي صاحب (ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة).[3]

وأبو عبد الله محمد بن أحمد القياسي الملقب بابن مليح صاحب (أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآجال والمآرب سيّد الأعاجم والأعارب).[1]

ومحمد بن الطيّب الفاسي الملقب بابن كسيران صاحب كتاب (الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك المالكيّة).[2]

وعبد المجيد بن علي الحسني صاحب كتاب (بلوغ المرام بالرحلة إلى البيت الحرام).

وأبو عبد الله محمد بن محمد العبدري صاحب (الرحلة المغربيّة) أو(رحلة العبدري).

ومحمد بن عبد السلام الدرعي صاحب كتاب (رحلة ابن عبد السلام) المشهورة (بالرحلة الناصريّة) تحدّث فيهما عن رحلتي حجه الأولى والثانية وسمّاهما الكبرى والصغرى.

وخالد بن عيسى بن أحمد البلوي صاحب (تاج المفرق في تجلية علماء المشرق) تحدّث فيه عن أخبار رحلته إلى الديار المقدّسة.

وابن سعيد المغربي صاحب (النفحة المسكية في الرحلة المكيّة).[3]

---

[3] ـالثقافي، نفس المرجع، ص 303.

[1] - أبو القاسم سعد الله: الثقافي،مرجع سابق،ص 201.

[2] – نفس المرجع،ص 202.

وخير ما ألّفه الأندلسيّون من كتب في هذا الباب كتاب (المغرب في حلي المغرب) لأبي الحسن علي بن موسى، وصف فيه بلاد المشرق والمغرب وكتاب (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب) لابن الخطيب، وصف فيه المغرب وآثاره، ومساجده، ومدارسه، ولقي فيه الصالحين؛ وكما تخصّص البيروني بالهند وتخصص أحمد الهمذاني بجزيرة العرب فكتب (صفة جزيرة العرب) وكتب ابن فضلان عن تركيّا وأجزاء من روسيا، وخاصّة منطقة نهر الفولغا[1].

ومن مشاهير الرحالة المؤرّخين موفق الدين البغدادي صاحب كتاب (الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر).

ومحمد بن محمد التامراوي صاحب كتاب (رحلة التامراوي).

والقاسم بن يوسف التجيبي صاحب كتاب (مستفاد الرحلة والاغتراب).

وإدريس بن عبد الهادي العلوي صاحب كتاب (رحلة إدريس العلوي).

وعلي بن محمد القرشي القلصادي صاحب كتاب (رحلة القلصادي).

وأحمد بن محمد الهشتوكي صاحب كتاب (رحلة الهشتوكي). [2]

وعبد الله بن محمد العياشي صاحب الرحلة المشهورة (ماء الموائد) أو (رحلة العياشي).[3]

ومن مشاهير الرحالة المصنّفين المحدّثين، علاّمة الحجاز الشيخ حمد الجاسر صاحب الرحلات المشهورة، وملخّص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغرب . [4]

---

[3] – ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص150.
[1] – أبو القاسم سعد الله، الثقافي، مرجع سابق،ص 212.
[2] – نفس المرجع، ص213.
[3] – مولاي بلحميسي، المغاربة ، مرجع سابق،ص 45.

وعلي مبارك صاحب (الخطط التوفيقيّة الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة).

وقبل أن يبادر المسلمون بركوب البحر في رحلة البحث عن العالم الجديد فإنهم تخيّلوا وجود هذا العالم المجهول، فقال الشيخ محي الدين بن عربي إن وراء المحيط أمماً من بني آدم وعمراناً.[1]

ونقل ابن خلدون عن ابن رشد الثاني في المقدّمة قوله:" أما ما وراء خط الاستواء في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال".[2]

وممن تخيّلا وجود أمريكا ومهّدا السبيل للبّحار (كريستوف كولومبس) أبو الثناء محمود الأصفهاني ، وقطب الدين الشيرازي.

ولم تتوقف تطلّعات البحارة العرب عند حدود العالم القديم، بل مدّوا بأبصارهم خلف المحيطات، وقد أعانهم على ذلك همّة عالية، ونظام سياسي مستقر وعدل يحفظ حقوق العباد من طغيان الأقوياء.[3]

وتحدثنا كتب التراث عن رحلة الفتى خشخاش البحري، مع جماعة من فتيان قرطبة، من ساحل الأندلس الغربي، حيث توغّلوا في بحر الظلمات، ثم عادوا بغنائم كثيرة.

ويحدّثنا الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) أو الكتاب الروجاري، نسبة إلى الملك (روجر) عن قصة (الإخوة المغرورين) وهم ثمانية رجال كلّهم أبناء عم، بنو مركباً وحملوا معهم الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر، ثم دخلوا بحر الظلمات فبقوا فيه ثلاثين يوماً، من مدينة لشبونة، (الجزء البحري

---

[4] – نفس المرجع،ص 47.
[1] – ابن سعيد المغربي،مصدر سابق، ص 155.
[2] – ابن خلدون،مصدر سابق،ص 263.
[3] – مولاي بلحميسي: موقف المؤرخون الفرنسيين،مرجع سابق،ص74.

منها يسمى الحمّة) إلى القارّة الأمريكيّة، في رحلة استغرقت ثلاثين يوماً، ووصلوا إلى جزر (أزورس) ثم إلى جزر الأنتيل (كفاريس) قبل أن يكتشفها (كريستوف كولومبس) بخمسة قرون.[4]

إذا لم تكن الرحلة المثيرة التي قام بها الفتية العرب في القرن التاسع الميلادي، من ميناء لشبونة غرباً، ووصولهم إلى أرض قيل أنها إحدى جزر الأنتيل أو أحد موانئ المكسيك، والتي روى تفصيلاتها الشريف الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق) قد أثارت مطامع الملاّحين الأوروبيين، في احتذاء حذوهم، حتى أن (كريستوف كولومبس) أقدم على تلك المغامرة بعد ذلك بنحو خمسة قرون، فحسبنا أنّ عالماً حراً من علماء العرب هو أبو الثناء الأصفهاني قد لفت الأذهان إلى إمكان تحقيق تلك الفكرة[1].

---

[4] –الإدريسي،مصدر سابق،ص 241.

[1]-Manny(R.), op cit, p 156.

المبحث الثالث: النتائج الاجتماعية والاقتصادية من خلال التقارير.

كان من نتائج استقلال إمبراطورية السنغاي (1493م-1591م)(899هـ-1000هـ) تغير وجهة القوافل التجارية نحو الشرق، بعد تحرر دولة السنغاي من نفوذ الماليين(نسبة إلى مالي)، وإقامتهم لعاصمة جديدة هي مدينة قاو، فتحول محور اهتمام القوافل شرقا، الأمر الذي جعل المقيمين في ولاته - وكانت تابعة لإمبراطورية مالي - جعلهم يتحولون تدريجيا صوب جارتها الشرقية قاو، وكانت تمبكتو تشكل حلقة وصل، ومحطة مهمة لابد من المرور بها بين المدينتين (قاو وولاته)، ثم ما لبثت أن استقطبت النخب، وأصحاب المال من المدينتين، فتدفقت فيها دماء جديدة أضافت لها حراكا، وحيوية جديدين، فكان ذلك بداية لتعاظم دور تمبكتو على حسابهما على المستويين الاقتصادي، والثقافي،[1] واستقبلت في الفترة ذاتها الكثير من الشماليين من كل الحواضر الإسلامية - تقريبا - من بلاد المغرب، ومصر ومن بلاد الأندلس بعد سقوط غرناطة، آخر المعاقل الإسلامية هناك ومن بلاد الحجاز واتسعت رقعة المدينة بشكل ملحوظ، وتضاعفت مساحتها وأعيد بناء المنازل بشكل أكثر جمالا، وتأنقا، ونظمت الشوارع، والحارات والساحات العامة.

---

[1] -!عبدالقادر زبادية،مرجع سابق، ص100.

وقد سجلت في هذه الفترة هجرات منظمة لشعب السنغاي من (جني وهمبري، وقاو، وبقية المناطق المجاورة) ربما كان ذلك بقصد إعادة التوازن إلى المدينة بين العرب، والطوارق، والسنغاي، وحتى لا تترك فرصة لإبتعاد المدينة عن محيطها الديمغرافي القريب[2].

ومع ذلك ظلت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة الجامعة بين كل الأطياف والعناصر، والإثنيات، فكانت لغة التعليم، والعلم، ولغة التجارة، والإدارة، بل والحكم.

برزت قبيلة كنته التي تدعي الأصل العربي، وأصبحت تمثل قوة قبلية وثقافية ودينية ضاربة في جل المجالات الصحراوية؛ من شرق منطقة القبلة (في موريتانيا) إلى تمبكتو، وأخذت القبيلة تلعب دور الوسيط فيما بين ضفتي الصحراء خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين(الثاني عشر والثالث عشر الهجريين) خاصة فيما بين واحات توات[1] - حيث منطلق الزاوية الكنتية الأول - وأزواد - في مالي -، وقد تمكنت الأسرة الكنتية من لعب دور بالغ الأهمية على المستوى الديني، و السياسي[2]".

ويبدو أن مدينة تمبكتو كانت الحاضنة لهذا النفوذ، ثم مركزا أساسيا لإنطلاق الدور الكنتي في عموم الصحراء، وبلاد السودان، خاصة في مراحله الأخيرة قبيل الغزو الفرنسي للمنطقة.[3]

---

[2] – نفس المرجع، ص125.

[1] Etude sur la population et de l'habitat d'une région du Sahara Algérien, Le Touat, Rev :- Sutter(K.) géographique, alpine,Grenoble, T XII, 1953, p60.

[2] p 321. ,- Caillié(René), op cit

[3] – عبد القادر زبادية ، مرجع سابق،ص 145.

وكان الشيخ سيدي المختار الصغير الكنتي (1773م-1853م) (1187هـ-1270هـ)، وهو الشيخ الأكبر لعموم القادرية في شمال، وغرب إفريقيا في التوسط بين أهل المدينة، وملك الفلان، شيخو أحمدو، وإبرام عقد صلح وتفاهم بين الطرفين على الوضعية الجديدة للمدينة، وإنَّ ذلك كان بداية استقرار الشيخ سيد المختار الصغير الكنتي في تمبكتو، ومقدمة لما سيضطلع به - لاحقا - من مكانة محورية في تحمل مسؤولية الشأن العام في المدينة، ومحيطها الحيوي.[4]

وكانت تدار هذه الإتصالات بين الشيخ، والإنجليز من الممثلية البريطانية في طرابلس الغرب، والتي كانت بطريقة أو أخرى هي علاقة تبعية، أو تنسيق مع السلطان العثماني في اسطنبول، ويبدو أن السلطات في طرابلس، وكذلك الباب العالي على دراية تامة بما يجري بين الشيخ الكنتي، والإنجليز[1]، لتسهيل ومباركة هذه الإتصالات وكانتا راضيتين عنها، وتشجعانها، إما من باب النكاية بالنفوذ الفرنسي الزاحف والسعي لإعاقة تقدمه المتوقع باستخدام الإنجليز لصده، بترغيبهم بمكاسب موعودة في المنطقة وإما للتحرش بالوجود المغربي المتقادم والقضاء على بقية الولاء الروحي المتبقي له في النفوس ، ربما كان ذلك على خلفية الصراع القديم، الجديد على النفوذ بين المغاربة والعثمانيين في منطقة المغرب العربي ومجالها الحيوي[2].

والمؤسف حقا هو أن هذه المعارك، وهذا الصراع كبد المنطقة خسائر كبيرة في الأرواح، وفي الاقتصاد، بل وحتى على مستوى العلاقات بين الإثنيات المكوَّنة للنسيج السكاني للمنطقة فقد خلق شرخا، وانقساما طائفيا و طرقيا حادا وغير مسبوق في البلاد بين القادريين أهل المنطقة الأوائل، والتجانيين الذين قدموا بمعية الحاج عمرتال الفوتي لبسط سيطرتهم على المنطقة، ويذهب الكثير من

---

(4) - Oscar Lanz, op cit, P75.

(1) - لوفران جورج: تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث،د.ت. ص33.

(2) Mausell(R.):- People and land in Africa south of Sahara, New York, Oxford university press, 1972,p 144.

الباحثين إلى أن هذا الصراع غير المبرر بين الطريقتين، كان من الأسباب التي ساهمت في إضعاف البلاد وسهلت للاحتلال الفرنسي مهمتهم في السيطرة على المنطقة برمتها، وبسط سيطرتهم على كامل الإقليم الصحراوي، السوداني في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي.[3]

وقد شهدت المنطقة في هذه الحقبة تدفقا كثيفا للهجرات القادمة من بلاد المغرب ومصر، والحجاز، وبلاد الأندلس، ربما بسبب ما بلغهم من احتفاء الأسقيا بهم وعنايته بعلمائهم، وتجارهم، وربما بسبب الرخاء الاقتصادي، والأمن والاستقرار السائدين في المنطقة، أو لهذه الأسباب مجتمعة، وهي بلا شك أسباب مغرية.

فكان كل ما تقدم، مقدمة طبيعية لنهضة ثقافية علمية، ازدهرت في بلاد السنغاي، واحتضنتها مدينة تمبكتو، واستفادت منها أكثر من بقية مدن الإمبراطورية ربما بسبب تمركز هجرات الشمال فيها، حيث كانت المجموعة العربية في المدينة من أهم العناصر التي ساهمت في نهضتها، ورقيها، وكان العرب يشكلون الجزء الأكبر من تجار المدينة، كما كانوا أغنى العناصر المشكلة للخريطة السكانية للمدينة، وهنا يقرر أحد الباحثين الغربيين دور الشمال في نمو وتطور تمبكتو فيقول : " إذا أردنا أن نعرف أصل مدينة تمبكتو فيجب أن نبحث في اتجاه آخر لأن ماضيها ارتبط بالحضارة العربية في شمال إفريقيا. " [1]

وعن أهمية المدينة كملتقى للتبادل التجاري بين سكان ضفتي الصحراء، تعد تمبكتو مكان التقاء لكل الذين يسافرون بالقوافل، أو القوارب،وهي محطة رئيسية

---

[3] – عبد القادر زبادية، مرجع سابق،ص146.

[1] - محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة،د.ت،ص 27.

للقوافل القادمة من الشمال؛ توات، و تلمسان، ومنطقة الجريد في تونس، وغدامس وطرابلس الغرب، وفاس، ومراكش، وسجلماسة، وتافيلالت، وبلاد السوس.[2]

وهي ميناء، ومرسى للقوارب النهرية القادمة من أعالي روافد نهر النيجر وكل المنطقة الجنوبية، وقد ساعد موقعها المميز أصحاب القوارب في الوصول إليها حيث تقع عند مخارج فروع الروافد عند نقطة ينثني فيها النهر بشدة من المجرى الغربي إلى الشرقي، على شكل ذروة سنام الجمل، وهنا يسهل الالتقاء بين الشمال والجنوب، والمدينة هي أول مكان آمن، تتوفر فيه المياه، يستقبل أصحاب القوافل القادمين من الشمال، بعد رحلة شاقة ومضنية، استمرت لأربعين يوما أو لشهور بالنسبة للقادمين من مدن الشمال البعيدة، وهي كذلك آخر نقطة يمكن أن يصل إليها أصحاب القوارب النهرية القادمين من الجنوب، والذين يبذلون الجهد لإيصال منتجاتهم وسلعهم في الوقت المناسب إلى أسواق المدينة[1].

ربما يكون من المناسب هنا ذكر لمحة عن تجارة القوافل القادمة من الشمال إلى تمبكتو، وهي قافلة الملح، وتربط بين ضفتي الصحراء، حيث المعدن المبارك وضفاف النهر، حيث تمبكتو، التي يحلو لبعض الغربيين بتسميتها بفلورنسا الصحراء[2].

ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي كان لقبيلة البرابيش العربية دورا مهما في تنمية، واستمرار حركة قافلة الملح بين تاودني وتمبكتو.

وفي البداية كانت القوافل تأتي أساسا من المدن، والحواضر الواقعة في الشمال وكانت تحمل نصف حمولتها تقريبا من النقاط التي تنطلق منها عند بداية الرحلة، وتتركز في مجملها في المنسوجات القطنية والحرير، والألبسة الجاهزة والمصنوعات الفضية والنحاسية، والأسلحة؛ (سيوف ورماح)، ومصنوعات جلدية مختلفة، ومختلف أنواع الأثاث

---

(2) Exploration scientifique de l'Algérie pendants les années1840-1841-1842, Tome VI, imp :- Pellissier(E.) Royale, Paris,184,p 53.

(1) L'exploration du Sahara, Guillimard, Paris, 1938,p 153.:- Eydoux(HP)

(2) –عبد القادر زبادية، مرجع سابق،149.

المنزلي؛ (كالحنبل والدوكالي، والقطيف والقرض، وكلها تسميات لمصنوعات من وبر الإبل، وشعر الأغنام)[3] **وغيرها، وهي معروفة في المنطقة، ومن تلك السلع الخيل وأسرجتها، فقد كانت الحرائر منها مطلوبة عند الملوك، وأثرياء البلاد، والورق، والكتب - لاحقا - بل وكل بضائع، وسلع حوض المتوسط، ثم تكمل القافلة بقية حمولتها من (ملح الطعام)** عند مرورها بنقاط استخراجه في منتصف الطريق إما من موقع تغازى[4]، أو من موقع تاودني، ويقع موقعهما الآن في أقصى شمال جمهورية مالي، وبعد حمل ما أمكن حمله من الملح تتجه القافلة إلى تمبكتو.

كان هذا قبل أن تكبر تمبكتو، وتتسع، ثم بعد ما نمت وكبرت، وكثر سكانها من تجار الشمال، فقد أصبحت قوافل الملح تنطلق من تمبكتو نفسها، وتضم مجموعات مختلفة، ويشكل البرابيش، والرقاقدة، والهمال أغلبهم وهي مجموعة قبائل تسكن تمبكتو وأخرى تنطلق من منطقة آضغاغ، وتضم قبيلتي، إيفوغاس وكنته، وتتجه إلى مواقع استخراج الملح المذكورة، والعودة به تمهيدا لتسويقه جنوبا، وكان ذلك أمرا متكررا ومعتادا طوال العام.[1]

وتتكون القافلة عادة من أعداد كبيرة من الجمال تتراوح ما بين(600و1000) ستمائة إلى ألف جمل، يقودهم، ويشرف عليهم عدد من الرجال الأشداء يتراوحون ما بين (300و500) ثلاثمائة إلى خمسمائة رجلا، هذه هي الرحلات الرئيسية ما بين ديسمبر إلى يناير... ورحلة أخرى تكون ما بين جويلية إلى أوت، أما القوافل الصغيرة فإنها تتحرك في أغلب شهور السنة، ولكن أعدادها أقل بكثير، ولا تتجاوز في الغالب (60و100) من ستين إلى مائة جمل لا أكثر.[2]

---

(3) Les blés des oasis du Sahara, thèse science, Alger,1962, p223.:- Erroux(J.)

(4) – عبد القادر زبادية، نفس المرجع ،ص 151.

(1) – عبد القادر زبادية ، المرجع السابق،ص152.

(2) Méharées, exploration du Sahara, Ed, sers , Paris,1973,p 105.:- Monod(T.)

و تعتبر منطقة تاودنِي التي يستخرج منها الملح، من أكثر مناطق العالم جفافا وتصحرا، فلا أشجار، ولا نباتات، ولا زرع، ولا ضرع هناك، والمياه القليلة المتوفرة غير صالحة للشرب، بسبب ملوحتها الزائدة، وأقرب مكان توجد به مياه عذبة يبعد عن تَاودَنِي حوالي ستين كلم (60) أو يزيد، ما يعادل مسيرة يوم ونصف اليوم للجمل.[3]

فالملح ، هو السلعة التي كانت عند الكثير من الشعوب تصل إلى مرتبة التقديس فكانت في الثقافة اليونانية سلعة مقدسة، ومباركة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن إسم الملح كان يعني عندهم الحكمة : " sel de la sagesse " وكذلك كانت عند شعوب شمال إفريقيا، وجنوب الصحراء سلعة مميزة، ولها المرتبة الأولى في الأهمية بين سائر السلع، منذ فجر التاريخ.

ويستخرج ملح تاودني، من تحت طبقة رملية، (سبخة) تزيد، وتنقص حسب استخراج المعدن من المكان، ففي البداية قد تجده على عمق بضع سنتمترات، ثم يزيد العمق إلى أن يصل إلى طول قامة الرجل، وعندما يصل العمال إلى الملح نفسه يجدونه على شكل طبقة ممتدة إلى مساحة كبيرة أحيانا، ثم يقطعونه إلى كتل وألواح بطول (95/90) سم.[1]

وعندما يستخرج الملح في أول أمره يكون رطبا لزجا، ويقطع على أشكال تشبه أعمدة الرخام الأبيض، وبالإمكان الكتابة عليه في الحين، والبعض يكتب عليه العلامة أو الوسم الذي تضعه قبيلته على حيواناتها، ومواشيها، وحمولة الجمل العادي من هذه الألواح تكون من أربعة إلى ستة ألواح من الملح (6/4)، ولا تزيد.

---

[3] – عبد القادر زبادية، نفس المرجع ،ص 153

[1] – عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص154.

ويذكر الرحالة ابن بطوطة[2] الذي زار المدينة سنة(1353م-759هـ) أن حمولة البعير الواحد من الملح في مالي يصل ثمنها إلى عشرة (10) مثاقيل من الذهب وقد تتجاوز ذلك بكثير في المناطق الداخلية البعيدة حيث تصل إلى أربعين(40) مثقالا من الذهب الخالص، وظلت أسعار الملح ترتفع في مالي إلى أن وصلت في القرن السادس عشر الميلادي(العاشر الهجري)(16 م- 10هـ)، إبان زيارة حسن الوزان للمنطقة، وصل ثمن حمل البعير من الملح إلى ثمانين (80)مثقالا من الذهب.[3]

وهذا يدلنا على الطلب الكبير على سلعة الملح كلما توغلنا جنوبا، ويمكن أن نجمل أسباب ارتفاع ثمن هذه السلعة في الجنوب إلى الأسباب التالية:[1]

منها بعد أماكن استخراجه من المناطق الداخلية البعيدة فالمسافة تزيد على ألف وسبعمائة كيلو مترا (1700 كلم)، ثم المشقة الكبيرة التي يعانيها مستخرجي الملح إضافة إلى مخاطر الطريق، ثم حاجة أهل الجنوب الماسة، والضرورية للملح، وله استخدامات متعددة عندهم، فهم يحتاجونه لتعويض أجسامهم عما يفقدونه من الملح أثناء التعرق الزائد، وهم يستخدمونه كذلك لعلاج بعض الأمراض المستعصية هناك.[2]

كما أن الملح استخدم في مرحلة ما في هذه المناطق كعملة مقبولة في كل الأسواق، والمدن في الجنوب، حيث يقطع إلى وحدات صغيرة، ويحمل في أكياس خاصة، وتستطيع أن تشتري به ما تريد من بضائع وسلع، بعكس بعض العملات

---

[2] –هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، والملقب بشمس الدين ولد في طنجة سنة (1304م-706هـ)،دقيق الملاحظة، له رحلاتان، توفي سنة (1377م-779هـ). مشاهير ، مرجع سابق،ص83.

[3] –عبد القادر زبادية، نفس المرجع، ص155.

[1] - لوفران جورج، مصدر سابق، ص98.

[2] –نفس المصدر، ص 102.

التي قد تقبل في سوق، وترفض في سوق آخر، كما ذكرنا من قبل، أن ظهور العملات كان حديثا مقارنة بالمقايضة وتبادل السلع.

المبحث الرابع: أوجه الشبه والاختلاف بين التقارير.

اختلفت نيات الرحالة والمغامرين والجغرافيين المكتشفين، في كتابة مواضيعهم ومقاصدهم من وراء ذلك، فالعرب عموما دوَّنوا رحلاتهم الحجازية كالعياشي مثلا دوَّن لنا ما رآه وسمعه، وامتاز بدقة الملاحظة والتدقيق في الأمور الاجتماعية والاقتصادية ، لكن ليس بالقدر الذي تناوله الأوروبيون، ولكنه أعطانا إلى حد كبير نظرة شاملة عن الأوضاع الخاصة، بالحالة المعاشة وعن المدن التي زارها، وكذلك رحلة عبد الرحمان بن محمد الخروب المجاجي،[1] الذي كتب لنا قصيدة نثرية ذكر فيها يومياته من الغرب الجزائري إلى البقاع المقدسة، وما رأى من مدن وقرى، أو الرحلات الغير حجازية كرحلة حمدان خوجة، أو رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي بطلب من القنصل الأمريكي آنذاك، وهي رحلة وصفية جغرافية بحتة، وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن صاحب الرحلة كان على وعي كبير

[1] – أحد الرحالة الحجيج الذين زاروا البقاع المقدسة مرتين، وفي إحدى الرحلتين، مرَّ على الصحراء الجزائرية،ودوَّن رحلة أسماها بإسمه.

بحيث لم يكتب كل شيء عن أخبار البلاد، لأن الأصل في الرحلة كانت بتكليف حيث تلقى ثمنها، وليس من تلقاء نفسه.[2]

واهتم الأوروبيون بالبحث في نشر الآثار السابقة عن الجزائر، كما أنشئوا اللجان العلمية للقيام بعمليات البحث والجمع والتعريف بالآثار التاريخية في البلاد وتكوين الجمعيات المختصة، والصحف والدوريات التي تحفظ المكتشفات التاريخية وفي هذا السياق، فقد نشروا منذ سنة (1830م-1246هـ)[3]، كتب الرحلات والانطباعات التي كتبها الأوروبيون عن الجزائر خلال العهد العثماني، مثل شيلر(Shaler) شو(Shaw)،بانانتي(Pannanti)، ورونودو(Renandot) وهايدو(Haedo) وفانتور دي بارادي(Venture de Paradis)،[1] ثم عادوا إلى لنشر كتب الرحالة والمؤرخين العرب، كابن خلدون، البكري، العياشي، وحسن الوزان وغيرهم كما نشروا مراسلات الدايات مع حكام فرنسا، ومذكرات وتقارير القناصل والجواسيس الفرنسيين أمثال ديبوا تانفيل(Dubois-Thanville) وبوتان(Boutin) واهتموا بأرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا، وبتقارير الشركات الفرنسية التي توالت على حصن فرنسا(Bastion de France)[2]

---

[2] – أبو القاسم سعد الله، الثقافي، نفس المرجع،ص 215.
[3] –أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الحديث-بداية الاحتلال، القاهرة،1970،ص56.
[1] –عائشة غطاس، مرجع سابق، ص 117.
[2] – وليام مارسي: التاريخ ومؤرخو الجزائر، باريس،1931، ص 120.

خاتمة:

انتقلت أفكار الرحالة والمكتشفين الأوروبيين من الرحلات البحرية، إلى الرحلات البرية لأنها لم تعد تشفي الغليل، وبالخصوص اكتشاف الصحارى، ومحاولة معرفة أغوارها وخباياها رغم صعوبتها، وما التصق بها من أسطورة الجوع والعطش، و الحيوانات المفترسة، والحشرات السامة و قطاع الطرق.

فصحراء الجزائر كانت رابطا أساسيا بين شمال افريقيا والسودان الغربي وحلقة وصل بين كل من الجزائر، وبلاد السودان ، والمغرب الأقصى، وأوروبا حيث لعبت دور الوسيط، وتنبهت فرنسا لتقارير الرحالة والجغرافيين والعسكريين على ضرورة امتلاك هاته النقاط الإستراتيجية الهامة في الصحراء الجزائرية، ما أدى إلى أفول تجارة القوافل وتحوُلِها عبر المحيط، لأنها كانت مستودعا للبضائع التي تنقلها القوافل إلى الشمال.

وبالرغم من قسوة الصحراء إلاَّ أنَّها كانت مزدهرة تجاريا، بسبب مرور القوافل التجارية وقوافل الحجاج العابرة للصحراء، حيث مكنت طلبة توات من الرحيل إلى كل من تلمسان ، وفاس، وتونس، و طرابلس والمشرق طلبا للعلم.كما ساهمت في نشر الطرق الصوفية كالقادرية، والتيجانية، والسنوسية، بحيث أصبحت بعض المدن الصحراوية قاعدة خلفية لعلماء الدين الإسلامي نحو السودان الـغربي (الشيخ عبد الكريم المغيلي الذي اتخذ توات مركزا له ابتداء من عام (1456م/ 882هـ). ولكن برغم كل المحاولات الاستعمارية بقي الدين الإسلامي عاملا هاما في التماسك الوحدوي للقبائل في مضارب الصحراء، وولائها للطرق الصوفية(التيجانية، الرحمانية السنوسية وطريقة أولاد سيدي الشيخ، وطريقة أحمد بن البكاي التمبكتي الذي استنفر جميع أنصاره في المنطقة للهجوم على الفرنسيين عندما اعتدوا على ورقلة سنة (1854م-1271هـ) وصادف الدكتور بارث(Barth) الألماني أن كان في حماية البكاي آنذاك، وهو أوَّل أوروبي يدخل تمبكتو علنا ويخرج منها سالما بفضل حماية البكاي له.

وازدهار التجارة نوَّع من المصادر الاقتصادية (التجارة، الزراعة الرعي، ، وإتاوة التأمين على الطريق)، الذي شجع فرنسا في التفكير بإنشاء وسيلة أخرى للنقل، وهي خط السكة الحديد لربط ضفتي البحر الأبيض المتوسط واقتداء بأمريكا التي وصلت كافة مناطقها بخط سكة حديد.

إنَّ اهتمام فرنسا الزائد بهاته الشبكة الطرقية لمختلف القوافل، جعل هاته الأخيرة تتناقص لانعدام الأمن، وتطور وسائل النقل البحرية، ولم ترغب فرنسا أن تضيع الفرصة لأنها رأت في الجنوب مستقبلها الزاهر، فحاولت إحياء التجارة. وعلى ما يبدو أنَّها متأثرة بالدول الأخرى كبريطانيا فيما يخص حفر قناة السويس في مصر، لتسهيل الوصول إلى الهند الشرقية، وربط أمريكا لأجزائها بالسكة الحديد. أرادت فرنسا أن توحِد القارتين الأوروبية والإفريقية بضم ضفتي البحر الأبيض المتوسط عن طريق سكة حديد.

وعُرفت ظاهرة القصور في المدن الصحراوية (توات، تيكورارين، ورقلة ووادي ريغ)، و هي كلها محاطة بجدران، وأحيانا بسور محاط بخندق، وهذا دليل على قلة الأمن في تلك المناطق ماعدا قصر عين صالح فكان قصرا بلا أسوار خارجية نظرا لكثرة عددهم وقوة بطشهم.فالقصور المحاطة بالأسوار الخارجية المنيعة مربعة الشكل وتقام على أضلاعه الأربعة أبراج مراقبة والحراسة وقت الخطر وبها أبواب تغلق ليلا وتفتح نهارا في كل من (ورقلة، وغرداية، وتوات وتيميمون).

ولمعرفة المزيد من طبائع الأهالي تقرب الرحالة والمستكشفون منهم وتطبعوا بطبائعهم لمعرفة المزيد عنهم، ، وهناك من كوَّن صداقات مع الأهالي مثلما فعل كل من دوفيريي وبول سوليبه وهنري بارث ، ورغم ذلك كراهية الأجنبي ظلت قائمة لدى الأهالي، فكلما توغلنا إلى الجنوب، سجلنا عمليات اغتيال للرحالة، والمستكشفين، والمبشرين،ولعل هذا يرجع إلى خصوصية كل منطقة بالرغم من وجود بعض الأحكام المطلقة التي تحتاج إلى تمحيص مثل وصف الطوارق بقراصنة محيط الرمال، ووادي ميزاب بالعقم بالرغم من نهضة علمائها الإصلاحية، وهذا يدل على بقاء تلك الأحكام السابقة التي كانت في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين .وساهمت التقارير بشكل كبير في تغيير وجهة طرق القوافل التجارية ، وإحياء مدن بدل التي كانت، بسبب توغل فرنسا إلى هاته المناطق، فماذا كانت تسعى فرنسا من خلال سيطرتها على أهم المراكز التجارية؟.

وهكذا تحول اهتمام الكتَّاب والمؤرخِين والرَّحالة من شمال الجزائر إلى جنوبها، وذلك لأنَّ اكتشاف الشمال اكتمل بالمخططات الاستعمارية والهجمات على السواحل، وظلت الصحراء بعيدة عن الأنظار وما زادهم رغبة في السيطرة عليها، تجارة العبيد التجارة المربحة ، حيث كانت بلاد السودان تموّنها حتى القرن التاسع عشر الميلادي، بالرغم من زوالها في أوروبا كاملة. فالشمال يعتمد في

اقتصاده على الأرض وتربية المواشي والثروات البحرية والغابية، أما الصحراء فالعناية بالأرض كانت تولى إلى الخماسين والخدام، إضافة إلى مورد الواحات من التمور بأجود أنواعها، ولهذا اهتم الأوروبيون بالشمال لعدة قرون وعن طريق البحر (الوندال، والفينيقيين،والبيزنطيين، والرومان، وحديثا البرتغال والإسبان والإنجليز، وفرنسا)، واقتصروا على المناطق الشمالية المحاذية للبحر لقربها منه فلعل أقصى نقطة وصلها الرومان هي ورقلة، فالجزائر هي تلك الأرض الخصبة الغنية بثرواتها التي جعلت فرنسا ترسم حلما لها وطبق في الواقع.

وللقوافل التجارية عدة فوائد خصت الجوانب الحضارية والإنسانية، بحيث ساعدت على تنشيط التجارة الداخلية وتغذية الجبايات الحكومية والمساهمة في توفير مجالات التشغيل وترقية الذوق في الاستهلاك والاستعمال، وأي توقف للقوافل التجارية ينتج عنه ارتباك في حياة السكان بالسودان الغربي، ولعل الأهم من هذا كله، هي الحركة العلمية التي تساهم في ترقية مجالات الاتصال الإنساني المتمثلة في دور العلماء وتداول الكتب بين الناس، وهذا جعل السودان الغربي يدخل في حيز الحضارة منذ وقت مبكر، وخاصة بالنسبة للتاريخ الإسلامي قبل غيره من أجزاء إفريقية أخرى.

ويعود الفضل الكبير للمؤرخين والرحالة الفرنسيين في اكتشاف الصحراء وخاصة هنري دوفيريي، بول سولييه(Soleillet)، وفلاترس(Flatters)، أما دوفوكو (DeFoucauld) عني بلغة الطوارق، وهي التماهاق وبشعرهم، حيث وضع قاموس في هذا الشأن من الفرنسية إلى الطارقية والعكس، هذا التواصل والتنسيق بين الأوروبيين على مختلف نواياهم الاستكشافية أو الجغرافية أو الدينية من خلال الكتابات والتقارير، سهل المصاعب على من يريد البحث والاستكشاف لكن الفضل الأكبر يعود إلى ما كتبه العرب في السابق، لأنَّ جلَّهم اعتمدوا كلية على ما كتبه ابن خلدون، والإدريسي، والبكري، وحسن الوزان، والعياشي فلمن يعود الفضل إذن؟ في الأسبقية الزمنية أم لترويج الكتابات من خلال الجمعيات

الجغرافية، وهذا هو الفرق بين العرب والغرب، فالبرغم من أن العرب بناة حضارة إلا أننا لا نهتم بكتابات سابقينا على عكس الغرب فهناك مجال كبير للتواصل.

يدين الرحالة والمكتشفون الأوروبيون، لمن سبقوهم من العرب في وصف وتحديد الأماكن ومعرفة طبائع المجتمعات، وإحصاء اقتصاديات هاته الصحاري والمجتمعات السكانية، فأخذ عن هؤلاء، وكتبوا ما رأوه نافعًا لبلدانهم بأدق التفاصيل ونظرة الاستعلاء والتكبر تبدو في كثير من المواقع، بالرغم ما تلقوه من الدعم والمساعدة في عبور الصحراء، لأن تلك النظرة مازالت فيما عدا بعض الرحالة الذين كتبوا بموضوعية أكثر. فمن التعابير التي تدل على الروح العدائية للإسلام ومحاولة تطويقه بالمبشرين، والاعتماد على الماديات في نشر المسيحية وشراء الذمم، (الصحراء محيط والطوارق قراصنته، ووصف وادي ميزاب بالعقم رغم ما يزخر به من حياة اقتصادية واجتماعية وعلمية).

إن الإنسان كما تصوره لنا الحضارات التي وصل إليها، هي نتاج لعديد من القرون من مختلف الطبائع والعادات والتقاليد، فأفضلية جنس عن أخر لم تكن إلا عند المستعمرين والذين يرون أحقية في تحضر بقية العالم من خلال ما اكتسب من حضارة، لكن هذا خطأ كبير ، لأن لكل بلد خصوصيته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإنسانية، فلا يعقل أن تسير البشرية على نمط واحد من السلوك.

إن النزر القليل الذي توصلنا إليه، مازال في أنفسنا شيء من الصحراء لأن هناك العديد من الأفكار التي في اعتقادنا أنها مازالت مغمورة، ولم تنل حظها من الكتابة، رغبة في الوصول إلى الحقيقة، وكشف اللثام عنها، في جميع الجوانب الحضارية.يعني أن تاريخ الصحراء عبر الأزمنة يجب أن ينظر إليه بعين الاهتمام لأننا تركنا الرحالة الأوروبيين هم الذين يهتمون بتاريخنا والبحث فيه

نأمل لأن يكون هناك ملحق لمركز للدراسات التاريخية بالصحراء، وتكليف مجموعة من الباحثين والمهتمين بتاريخ المنطقة، في كشف أغوار تاريخها.

وكما ذكرنا استطاع الرحالة الأوروبيون التأقلم مع طبيعة الصحراء وتحمل مشاقها، ومنهم من تقرب إلى الأهالي من أمثال الدكتور هنري بارث (Henri Barth) الذي عبر الصحراء بحماية المختار البكاي أخو أحمد البكاي صاحب الطريقة البكاوية. فما هو سر التقرب يا ترى؟ في حين نجد أن هاته الطريقة نشرت الإسلام في تلك المناطق ووقفت حجرة عثرة للأوروبيين؟

إضافة إلى المعاهدات التي أبرمت بين فرنسا وشيوخ بني ميزاب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي؟ ومع شيخ الطوارق ايخنوخن آنذاك؟ ماذا كان يسعى صاحب كتاب مستقبل فرنسا في إفريقيا !؟ وماذا كان مصير فرنسا لو طبقت ما كان يسعى إليه الكاتب؟.

هاته التقارير الأجنبية التي كانت تكتب إلى الجمعية الجغرافية، أو إلى الغرف التجارية في فرنسا مازال يكتنفها الغموض والإبهام، ونحتاج إلى كثير من الجهد والوقت للاهتمام بها. حيث ما نلاحظه هو اهتمام الكثير من الباحثين بالحياة الحضارية للشمال وللبايلِك الأخرى، في حين أن الجنوب ، كان حافلا بالأحداث الهامة والمهمة سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية والتي لا تزال تحتاج إلى البحث.

فالعرب من يصنعون التاريخ، لكن لا يهتمون به، ولا يكتبونه وغيرنا من يهتم بذلك و يستفيد منه ويطوره لصالحه، فهل من لبيب؟.

الملاحق:

إسم المكتشف	تاريخ الرحلة	اتجاه الرحلة	ملاحظات
كريستوف كولمب	1492م-1504م (898هـ/910هـ)	التوجه نحو الهند الغربية عبر الغرب لكنه وصل إلى جزر الانتيل	وصل كريستوف كولمب إلى جزر الانتيل في الرحلات التي قادها ،عاد منها إلى اسبانيا بسلام وقدم للملكين الاسبانيين مواد :توابل، ذهب، قطن عبيد (هنود حمر)
امريكو فيسبوتشي	1512م(918هـ)	التوجه نحو الهند الغربية لكنه وصل إلى شواطئ القارة الأمريكية	اخذ العالم الجديد اسم أمريكا نسبة لامريكو.
ماجلان + الكانو	1519م-1521م (925هـ/928هـ)	الخروج من اسبانيا وعبور مضيق ماجلان والاتجاه نحو الهند لكن اعترض القراصنة في الفلبين طريقه فقتل ، ثم أتم الكانو الرحلة بنجاح إلى اسبانيا.	أكدت هذه الرحلة بالدليل القاطع كروية الأرض.
بيكافيتا	1522م(929هـ)	رافق ماجلان	دون خلال الرحلة المعلومات المتعلقة ب:حالة السفن/ الموانئ /المؤن /الأمواج / وصعوبة الرحلة/ والأمراض التي أصابت البحارة....

الجدول رقم (01): مساهمة إسبانيا في الرحلات البحرية. وهؤلاء رحالة اكتشفوا بلاد ما وراء البحار.أوردناه لكي نبين كيف انتقلت الاهتمامات من الاكتشافات البحرية إلى الاكتشافات البرية.

المصدر: من خلال دراستنا للمجموعة من المصادر خرجنا بنتيجة في إحصاء هؤلاء الرواد ووضعها في هذا الجدول.

الدولة	اسم المكتشف	تاريخ الرحلة	المناطق المكتشفة
إسبانيا	بنيدا	1519م-1521م(925هـ/928هـ)	خليج المكسيك
البرتغال	كورت ريال	1500م-1502م(906هـ/908هـ)	أيسلاندا.
فرنسا	فرازانو	1534م-1536م(941هـ/943هـ)	كريبي.
انجلترا	دافيس+بافان +هودسن	1576م-1610م(984هـ/1019هـ)	قرينلند

الجدول رقم (02): مساهمة بعض الدول الأوروبية في الرحلات البحرية، وهؤلاء رحالة اكتشفوا ما بلاد وراء البحار.

المصدر: من خلال دراستنا للمجموعة من المصادر خرجنا بنتيجة في إحصاء هؤلاء الرواد ووضعها في هذا الجدول.

الدولة المهتمة بالاكتشاف	اسم المكتشف	تاريخ الرحلة	المناطق المكتشفة
انجلترا	هيوتون	1790م-1205هـ	مصب نهر غامبيا
انجلترا	مونقو بارك+ليدلي	1795م-1210هـ	ساحل غامبيا وبيزانيا.
انجلترا	ريشارد ولاندر	1815م-1832م(1231هـ/1248هـ)	مصب نهر النيجر وخليج غانا.
انجلترا	غوردن لانغ	1825م-1241هـ	وصل إلى مدينة تمبكتو.
فرنسا	رينيه كايبه	1816م- 1828م(1232هـ/1244هـ)	تمبكتو والصحراء التي تفصل إفريقيا عن النيجر.
فرنسا	هنري بارث	1850م-1267هـ	بحيرة تشاد.
فرنسا	الضابط دو كولومب	1856م-1273هـ	قصور تنقورارين وتوات وتيديكلت.
فرنسا	هنري دوفيريي	1859م-1276هـ	بلاد الطوارق.
فرنسا	الرائد كولونيو وبوران	1860م-1277هـ	محاولة فاشلة لاكتشاف تنقورارين وتوات.
فرنسا	جيرهارد روهلفس	1862م-1873م(1279هـ/1290هـ)	أول من عبر إفريقيا الغربية، واكتشف بعض الواحات في صحراء ليبيا
فرنسا	بلجرينو ماتوشي و الفونسوا ماريا ماساري	بعد سنة 1878م-1296هـ	سواكن، كردافان،واداي، بورنو، كانو والنيجر.
فرنسا	بول سوليه	1872م-1289هـ	المنيعة وعين صالح.
فرنسا	دورنو، دوبرة وجوبار	1873م-1290هـ 144	كانت لهم طموحات في اكتشاف الصحراء طولا

			وعرضا.
فرنسا	الآباء برنمييه،مانوري وبوشار	1876م-1293هـ	ضواحي حاسي إينفال.
فرنسا	الأبوين ريشار وكيرمابون	1879م-1296هـ	بلاد الأزجار.
ألمانيا	أوسكار لانز	1879م-1296هـ	تندوف إلى تمبكتو.
فرنسا	الملازم مرسال بالات	1885م-1303هـ	قصور تيديكلت لكنه لم يكمل بسبب قتله سنة 1886م-1304هـ

الجدول رقم (03): مساهمة بعض الدول الأوروبية في الرحلات البرية، وهؤلاء رحالة اكتشفوا ما الصحراء الكبرى.

المصدر: من خلال دراستنا للمجموعة من المصادر خرجنا بنتيجة في إحصاء هؤلاء الرواد ووضعها في هذا الجدول.

جدول رقم (04): التركيبة الاجتماعية للطوارق

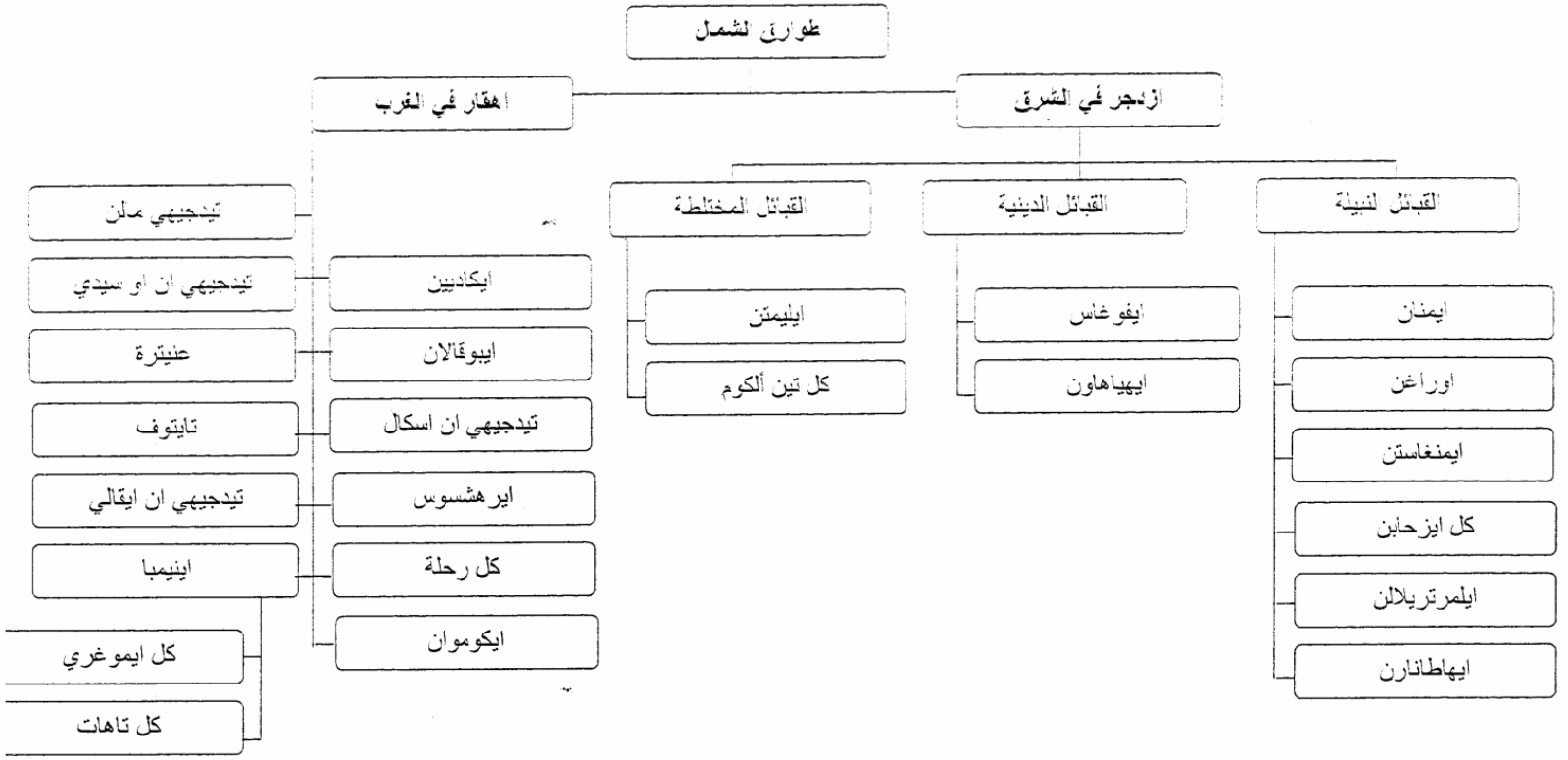

المصدر:

Daumas Eugène: Le Grand désert ou itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des nègres, imp. & librairie centrales de Napoléon, Paris,1848.

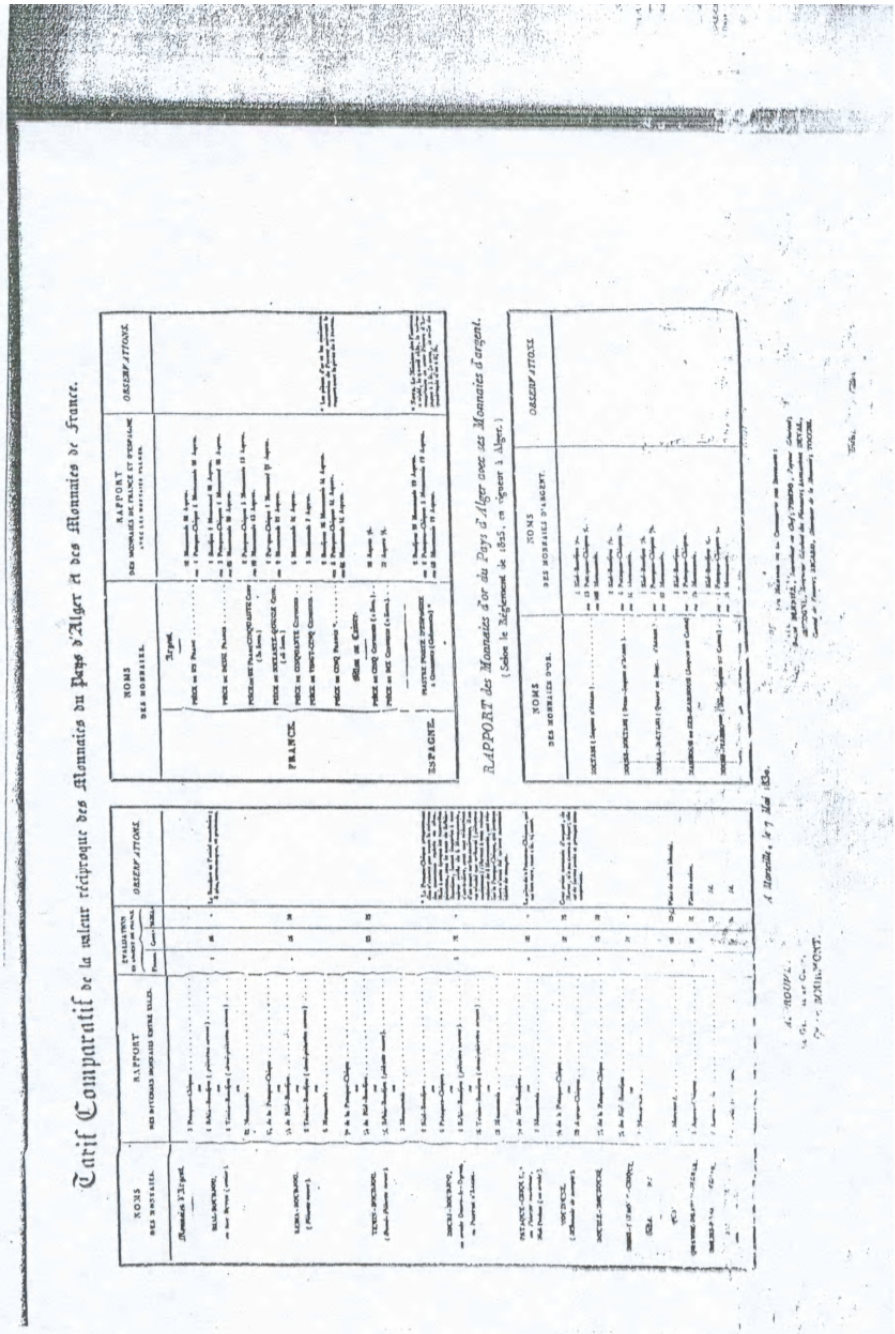
Tarif Comparatif de la valeur réciproque des Monnaies du Pays d'Alger et des Monnaies de France.

RAPPORT des Monnaies d'or du Pays d'Alger avec les Monnaies d'argent.

جدول يبين مختلف العملات المتداولة في تلك الفترة، بعدما كانت المقايضة هي أهم العمليات التجارية.

المصدر: ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م.

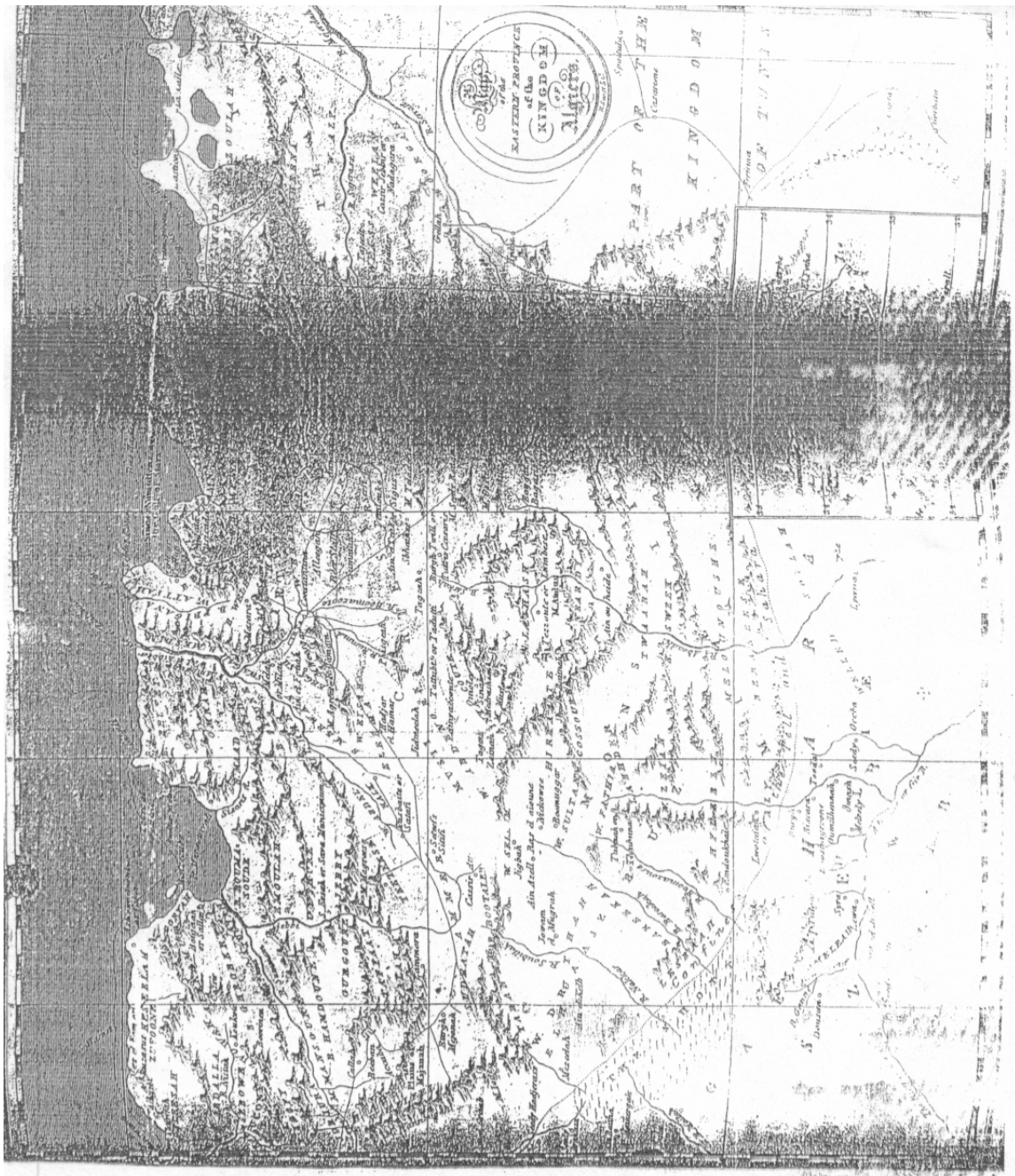

خريطة توضح إيالة الجزائر استعملها الدكتور توماس شو (Thomas Shaw)

المصدر :

Shaw (T.) : Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais, J. Mac carthy, Paris, 1830.

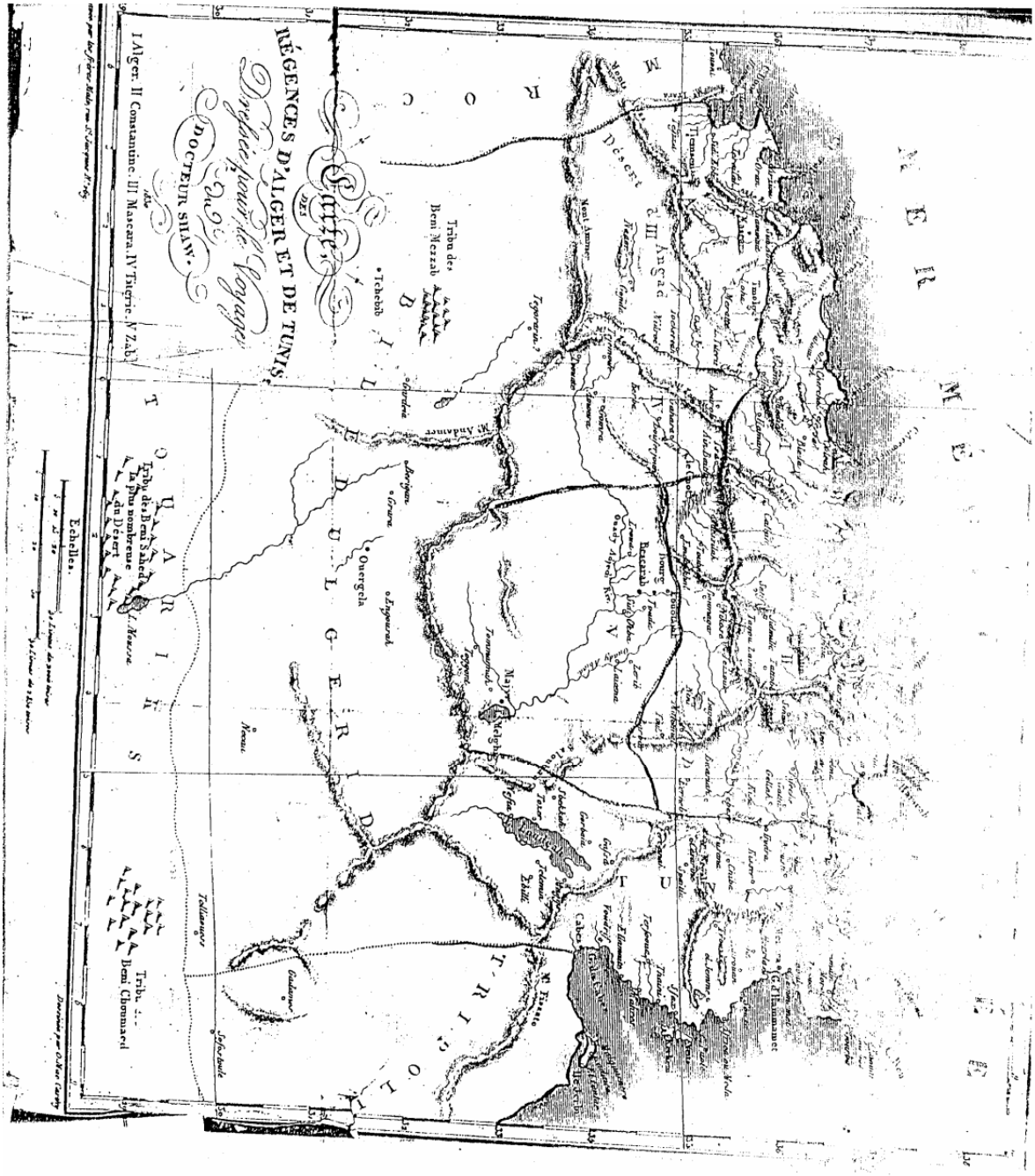

خريطة توضح ايالة الجزائر استعملها الدكتور توماس شو (Thomas Shaw) المطبوعة

Shaw (T.) : Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais, J. Mac carthy, Paris, 1830.

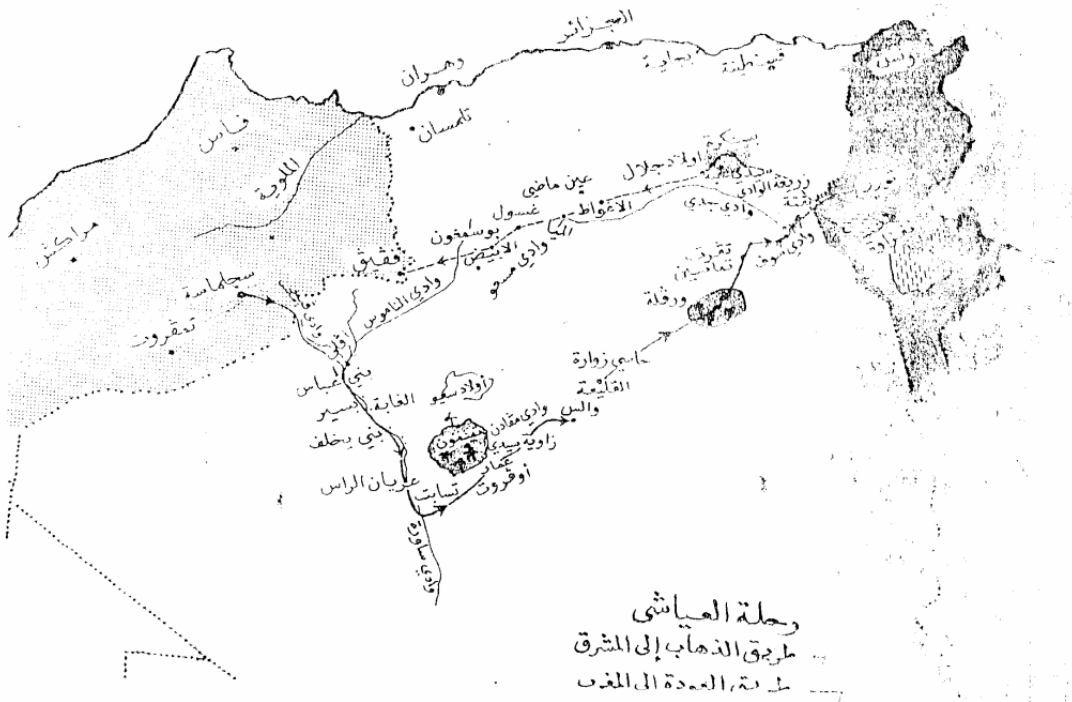

خريطة توضح الطريق الصحراوي الذي سلكه العياشي أثناء رحلته إلى البقاع المقدسة

المصدر:

مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الطبعة الثانية، ش و ن ت ، الجزائر،ص 94.

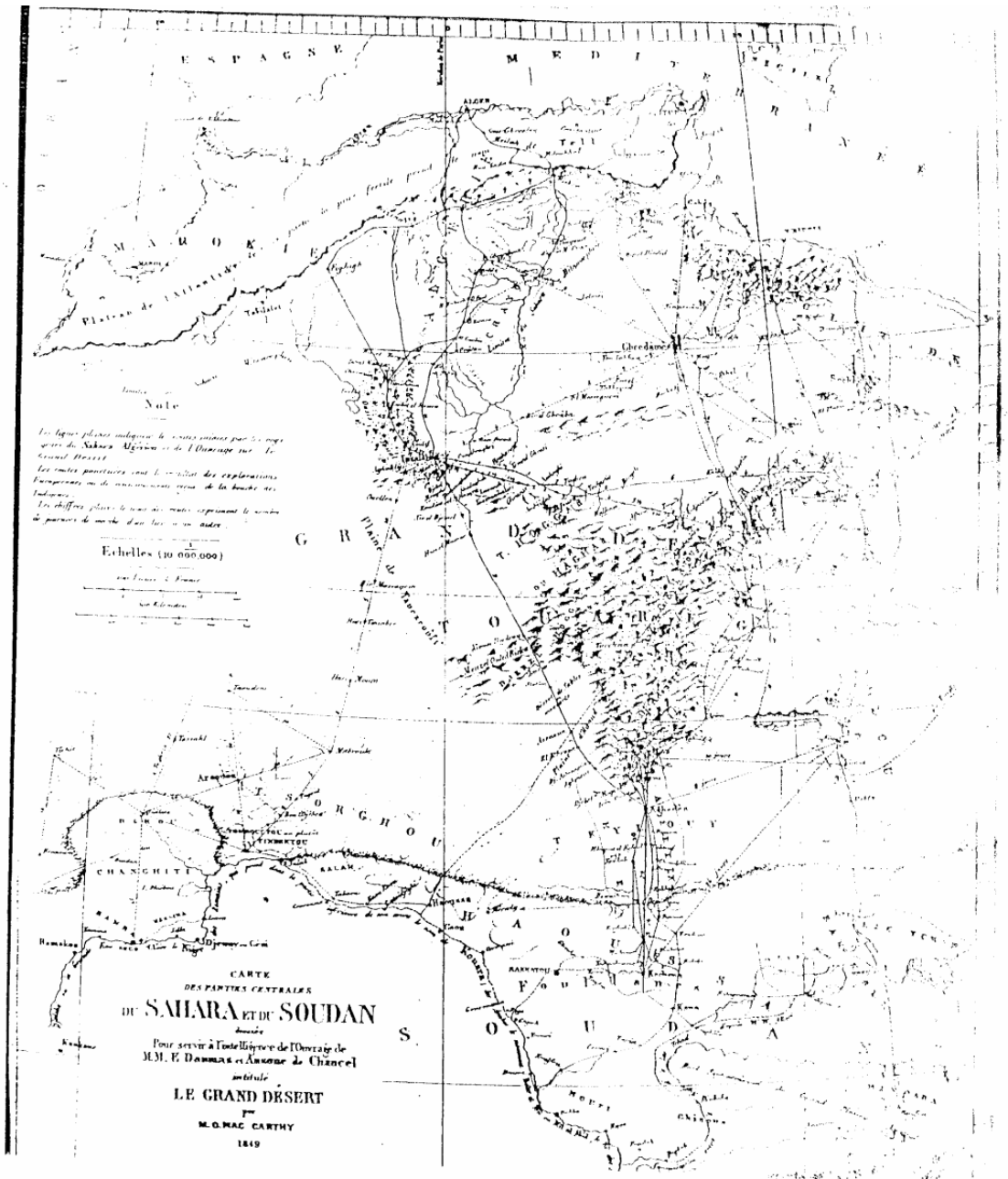

خريطة توضح الصحراء و السودان، التي استعملها دوماس وشونسال

المصدر :

umas (Eugène) ,et Chancel(A.) : Le grand désert, chais, Paris, 1849..

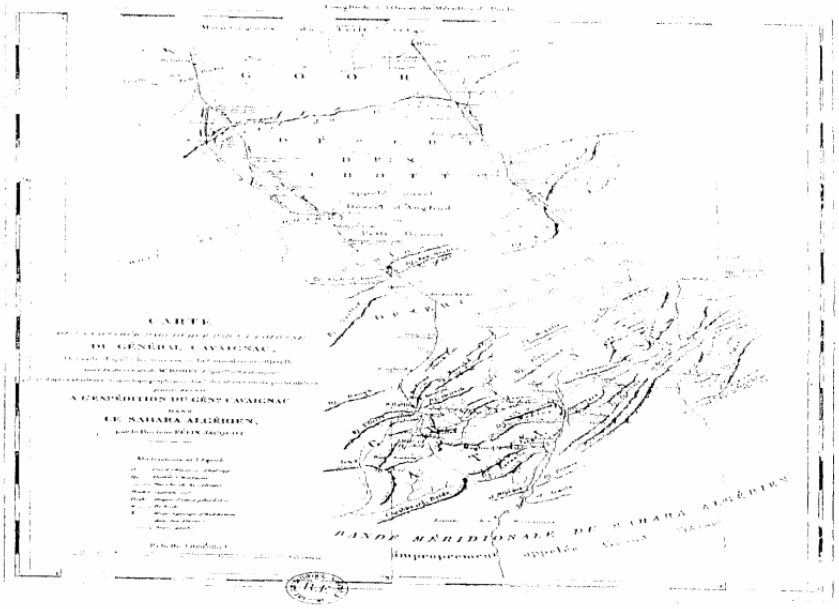

خريطة توضح مسار الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية

المصدر :

Félix Jacquot : Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérien en Avril et Mai 1847, relation du voyage exploration scientifique souvenirs impressions, etc. Gide Baudry libraires éditeurs, PARIS, 1849

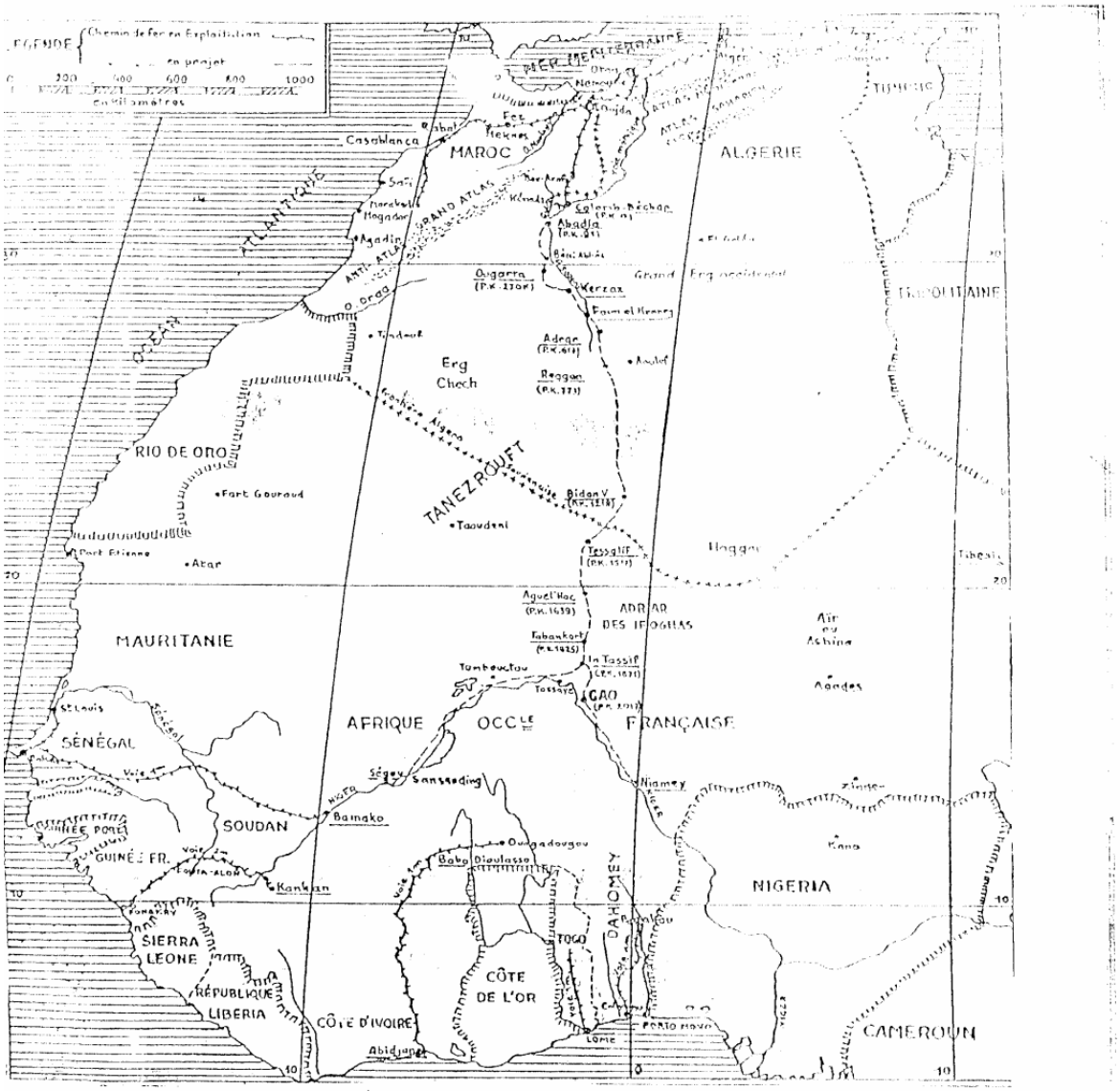

خريطة توضح طريق السكة الحديد العابر للصحراء الجزائرية نحو إفريقيا الوسطى

المصدر :

Panis(J.C): Le chemin de fer de la méditerranée au Niger, Les éditions de visscher, Bruxelles, 1956.

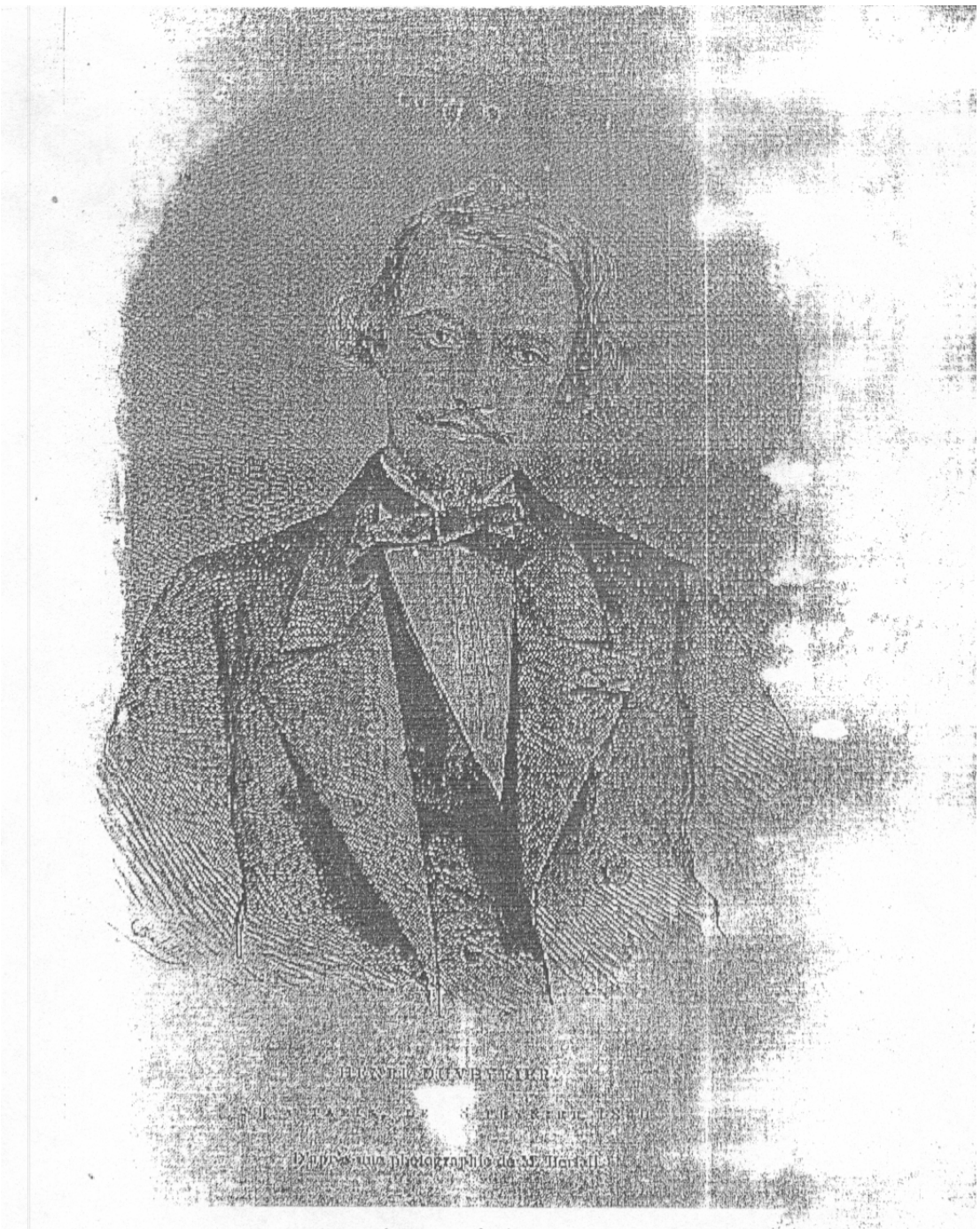

صورة الرحالة والمكتشف هنري دوفيريي (Henri Duvyerier)

المصدر:

www.cosmovisions.com/chronosahara, 05/03/2005.

LIEUTENANT-COLONEL FLATTERS.

ولد (1839م-1255هـ)، واغتيل بالقرب من بئر الغرامة في الصحراء يوم 16 فيفري (1881م-1299هـ)
وهو أحد منفذي فكرة السكة الحديد بالصحراء

المصدر :

HENRI BROSSELARD :Deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar, deuxième Édition, Librairie Furme, Jouvet et Cie Éditeurs, Paris,1889.p04

ولد سنة (1842م-1258هـ)، وتوفي في سنة (1870م-1287هـ)، ويعتبر كمفكر إستراتيجي افرنسا من خلال كتابه مستقبل فرنسا في إفريقيا

المصدر:

Paul (Soleillet), l'Afrique occidentale, Algérie, Mzab, Tidikelt, avingnon imp. de J.seguin Aîné,B rue bouquerie ;13,1877.

CHARLES DE FOUCAULD

(١٣٣٤ - ١٢٧٥ هـ) (١٩١٦ - ١٨٥٨ م)

صورة للمبشر المسيحي شارل دوفوكو .

المصدر :

Vicomte Charles de Foucauld : Reconnaissance au Maroc, Journal de route, société d'éditions, Paris, 1939.

René Caillé

(م 1254 - م 1214) (م 1838 - م 1799)

صورة الرحالة رينيه كايية.

المصدر :

Caillié(René) : journal d'un voyage à Tombouctou et l'intérieur de l'Afrique pendant les années 1824 -1825-1826-1827-1828, Tome II &III, imp Royale, Paris, 1828.

Type de Touareg

صورة لأحد الطوارق كما تخايه هنري بروسيلار.

المصدر :

Henri Brosselard : Deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar, deuxième Édition, Librairie Furme, Jouvet et Cie Éditeurs, Paris,1889.

TYPES TOUAREG.

D'après des photographies de M. Crémieux.

صورة لأحد الطوارق كما تخليه الرسام كريميار.

المصدر :

Duveyrier Henri:Journal de route, Publier et Annoté par ch.Maunoir et H-Schirmer, Paris,1905.

ملحق رقم :

2 ـ نماذج من العملة الجزائرية المضروبة بدار السكة

1144 – 1240 هـ 1731 – 1824 م

نصف سلطاني «النوع القديم»
ذهب ، ضرب بالجزائر 1144هـ

خمسة دراهم صفار
ضرب بالجزائر 1137 هـ

نصف سلطاني او نصف
سكة ذهب ، ضرب
بالجزائر 1147 هـ

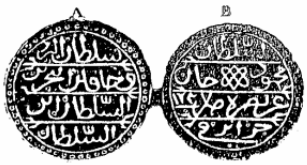

سلطاني «سكة الجزائر»
ذهب ، ضرب بالجزائر
1237 هـ

ربع سلطاني «ربع سكة»
ضرب بالجزائر 1240 هـ

نصف سلطاني « ذهب »
ضرب بالجزائر 1237 هـ

صورة لبعض النقود التي كان يتداولها الأهالي.

المصدر : ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، 1792–1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م،ص 266.

ملحـــق رقـم :

1 ــ نماذج من العملة الجزائرية المضروبة بدار السكة من 1144 الى 1240 هـ (1731 ــ 1824)

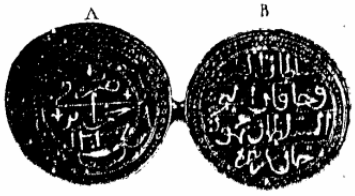

ريال بوجو « فضة » ضرب بالجزائر سنة 1238

بدقة شيك « ربع بوجو » النوع القديم « فضة » ضرب بالجزائر 1185 هـ

زوج دراهم صغـــار « اثنين : اسبرشيك » نحاس ، الجزائر 1237

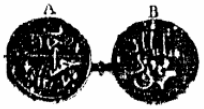

خروبة « نحاس مغلف بالفضـــة » مضروبـــة بالجزائر 1237 هـ

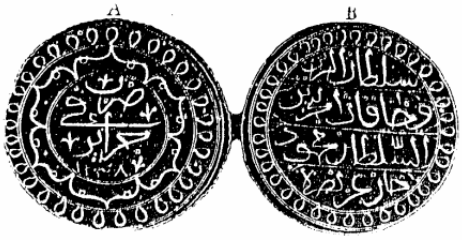

زوج بوجو «دورو فى الجزائر»

صورة لبعض النقود التي كان يتداولها الأهالي.

المصدر : ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص267.

قائمة المصادر والمراجع:

أ/ المصادر:

*** باللغة العربية:**

1- ابن حوقل: صورة الأرض،طبع دار الحياة، بيروت،د ت.

2- ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، تحقيق:يوسف اسعد ادغر، وإبراهيم الأبياري،ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2001.

3- عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه ، أبو القاسم: كتاب المسالك والممالك،تقديم: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1988 .

4- ابن سعيد المغربي علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد العنسي المدلجي، أبو الحسن، نور الدين: كتاب الجغرافيا ، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري،بيروت، 1970.

5-عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، أبو عبيد: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، تح: دوسلان، الجزائر،1957.

6- الزهار الحاج أحمد الشريف: مذكرات، دار البعث، الجزائر.

7- الحموي ياقوت بن عبد الله الرومي ، أبو عبد الله، شهاب الدين: معجم البلدان، تح: وستنفيلد، خمسة أجزاء، طبع بيروت.

8- الحميري محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور، أبو عبد الله: الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق: إحسان عباس، الناضر مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، 1980.

9- الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي أبو عبد الله: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، تح: دوزي ودوخوية، ليدن،1864.

10-المقدسي أبي عبد الله البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: دوخوية، ليدن، 1872.
11-العياشي أبي سليم عبدالله: رحلته "ماء الموائد"، طبعة فاس الحجرية، الجزء الثاني ،المغرب.
12-اليعقوبي:كتاب البلدان، تحقيق: دي غويه،ليدن، 1892.
13-حمدان خوجة:المرآة، تر: محمد العربي الزبيري، م وك، الجزائر.
14-عبد الرحمان بن محمد الخروب المجاجي: رحلة المجاجي، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر.
15-لوفران جورج: تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث،د.ت.

*** باللغة الأجنبية**:

1. Augustin Bernard et N.Lacroix: La pénétration saharienne de L'Algérie de 1830-1906, imp. Algérienne, Alger, 1906.

2. Barges(P.) : Tableau de la dynastie de Beni Djellab, Sultans de Touggourt, Paris,1858.

3. Caillié(René) : journal d'un voyage à Tombouctou et l'intérieur de l'Afrique pendant les années 1824 -1825-1826-1827-1828, Tome II &III, imp Royale, Paris, 1828.

4. Carette (E.), Du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les Etats babaresques, Paris,1 844.

5. Colonieu (Comt V.) : Voyage dans le Sahara Algérien de Géry ville à Ouargla (collection Tour du monde),1862.

6. Daumas (Eugène) : Le Sahara Algérien, études Géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissement français en Algérie Fortin, Paris,1845.

7. (_____) : Le Grand désert ou itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des nègres, imp & librairie centrales de Napoléon, Paris,1848.

8. (_____) ,et Chancel(A.) : Le grand désert,chais, Paris, 1849.

9. Deproter : La question du Touat Sahara Algérien, Alger,1891

10. Duveyrier (H.) : Les Touareg du nord, Challamel Ainé, Libraire-éditeur, Paris, 1864.

11. Duveyrier Henri:Journal de route, Publier et Annoté par ch.Maunoir et H-Schirmer, Paris,1905.

12. Félix Jacquot : Expédition du Général Cavaignac dans le Sahara Algérien en Avril et Mai 1847, relation du voyage exploration scientifique souvenirs impressions, etc. Gide Baudry libraires éditeurs, PARIS, 1849.

13. Fromentin (E.) : un Eté dans le Sahara, librairie plon, Paris,1856.

14. Gardel Gabriel : les touareg Ajjer, Editions Baconnier, Paris, 1961.

15. Guyon (M.) : Voyage d'ALGER au Ziban l'ancien Zèbe en 1847, imp du gouvernement, ALGER, 1852.

16. Henri Brosselard : Deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar, deuxième Édition, Librairie Furme, Jouvet et Cie Éditeurs, Paris,1889.

17. L'abbé Léon Gorard(M.) : (Ancien curé de Laghouat), Les soirées Algérienne, Corsaires esclaves et martyrs de barbarie,N^{lle} édition, Tours, 1857.

18. Léon l'Africain : Description de l'Afrique, ED A. épaulard maison neuve, 02 Vol, Paris, 1956.

19. Louis (Régis) : Constantine voyages et séjours, calamanne lévy, éditeur ancienne maison michel lévy frères, paris,1880

20. Malte : Résumé historique et géographique, Paris, 1866

21. Oscar Lanz : Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara, et au Soudan, 1886.

22. Paul (Soleillet) : l'Afrique occidentale, Algérie, Mzab, Tidikelt, avingnon imp de F.seguin Ainé, B rue bouquerie .

23. (_____), Avenir de la France en Afrique, Challamel ainé, librairie ED, Paris, 1876.

24. Pellissier(E.) : Exploration scientifique de l'Algérie pendants les années1840-1841-1842, Tome VI, imp Royale, Paris,1844.

25. Pline L'ancien :Histoire naturelle, tra : Beaujeu,(J.),éd Hachette, Paris, 1950.

26. Polybe :Histoire, tra :Roussel(D), collection pliéad, 1970.

27. Shaw (T.) : Voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais, J. Mac carthy, Paris, 1830.

28.Strabon :Géographie, trad.:Amédée Tardien, éd, Hachette, Paris,1880.

29. Vicomte Charles de Foucauld : Reconnaissance au Maroc, Journal de route, société d'éditions, Paris, 1939.

30. Vuillot (P):l'exploration du Sahara, Paris; challamel,1895.

ب/المراجع:

* **باللغة العربية:**

1- أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، القاهرة، 1970.

2- (_____): تاريخ الجزائر الثقافي، ثلاث أجزاء، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

3- (_____): أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.

4- بلحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.

5- بن يوسف تلمساني: الطريقة التيجانية ومواقفها من الحكم المركزي في الجزائر (السلطة العثمانية _ الأمير عبدالقادر- الإدارة الاستعمارية) 1782-1900، جامعة الجزائر، 1998.

6- بوقيروس أحمد: الحركات الإصلاحية في إفريقية جنوب الصحراء، إبان القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي؛ رسالة ماجستير جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر-قسنطينة؛ 2001م.

7- وولف جون: الجزائر وأوروبا، تر: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م.

8- حمو محمد موسى عيسى النوري:دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قيما وحديثا، المجلد الأول،دار البعث، قسنطينة،د.ت

9- سعيدان الحاج تومي:سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، مطبعة دار هومة، الجزائر،2005

10- العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، م و ك، الجزائر،1983.

11- زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، 1989م.

12- محمد فارس خيري: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، مطابع ألف-باء، الأديب، دمشق،1969.

13- فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين، الجزائر، 1977.

14- القشاط محمد سعيد:التوارق،عرب الصحراء الكبرى، دار المحيط العربي، د م ط، دت.

15- قنان جمال: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1987.

16- كيروف زوبرينسكي: المشاعة، الرق، الإقطاع، التشكيلات الاجتماعية و الاقتصادية، 1978.

17- محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة،د.ت.

18- المنظمة العربية للتربية: مسألة الرق في إفريقيا، تونس، 1985.

19- مياسي إبراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، الجزائر،2002.
20- سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م.
21- وليام مارسي: التاريخ ومؤرخو الجزائر، باريس، 1931.

*** باللغة الأجنبية:**

1. Baudicour (L.): La guerre et le gouvernement de l'Algérie, Sagnier et Bray, Paris, 1853.

2. Bison(J.) : Le Gourara, étude de géographie humaine, ALGER, Bull de l'IRS, 1957.

3. Boyer (P.) : La vie quotidienne d'Alger à la veille de l'intervention Française, Hachette, Paris, 1963.

4.Chentouf(A.) : Les juifs d'Algérie, 2000 ans d'existence,1999.

5.Chentouf(T.) : Etudes d'histoire de l'Algérie au 18 et 19 siècles, Opu, Alger, 2004.

6.Dominique Casajus : Henri Duveyrier et le désert des saint simoniens.

7.Emerit(M.) : La situation économique de la régence d'Alger en 1830,I.H , Mars-Avril 1952.

8.(_____) : les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du nord au XVIII siècle et au début de XIX,T.I.R.S1.9,1954.

9.Erroux(J.) : Les blés des oasis du Sahara, thèse science, Alger,1962.

10.Escaray (De Lautune) : Le désert et le Soudan, E.Thount, Paris,1853.

11.Eydoux(HP): L'exploration du Sahara, Guillimard, Paris, 1938.

12.F.élie de la Primandie: Le commerce et la navigation de L'Algérie(R .A .C, juin1860.)

13. Flye Sainte Marie: Le commerce et l'agriculture au Touate, Oran,1905.

14. Gsell,(St.): Textes relatifs l'histoire de l'Afrique du Nord, Hérodote, Paris,1916.

15. Julien(CH.A): Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation 1827,1871,P.U.F, Paris,1964.

16. Manny(R.): Note sur les grands voyage de Léon l'Afrique, Héspéris, Paris, 1954.

17. MAUROY: Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale, Paris,1845.

18. Mausell(R.): People and land in Africa south of Sahara, New York, Oxford university press, 1972.

19. Monod(T.): Méharées, exploration du Sahara, Ed, sers , Paris,1973.

20. Panis(J.C): Le chemin de fer de la méditerranée au Niger, Les éditions de visscher, Bruxelles, 1956.

21. PRAX(M.): l'Algérie, commerce de l'Algérie avec le Mecque et le Soudan just, ronvier, Paris,1849.

22. Urbain(I.): Notice sur l'ancienne province du Titteri, in tableau de la situation en Algérie, 1843-1844,Paris.

23. Schacht(J.): Sur la diffusion des formes architectures religieuse musulmane à travers le Sahara, Travaux, IRS, Alger, T XI, 1ersem.1954.

24. Sutter(K.): Etude sur la population, de l'habitat d'une région du Sahara Algérien, Le Touat, Rev géographique, alpine,Grenoble, T XII, 1953.

25. Van Berchem(M.): Sedrata, une ville au moyen âge, Alger, 1953.

26. Turbet Delof : Bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française 1532-1715, SNED, Alger, 1976.

ج/<u>المجلات</u>:

*** باللغة العربية:**

1- سعد الله أبو القاسم: منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، م أ، السنة الثالثة، العدد 14و15، الجزائر، 1973.

2- غطاس عائشة: نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني، م ت، العدد الخامس، الجزائر، 1988.

3- بوعزيز يحي: طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، م ث، السنة الحادي عشرة ، العدد59، الجزائر، سبتمبر-اكتوبر1980م.

4- (_____): الحالة الاقتصادية و الاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة أشغال المؤتمر الثالث للتاريخ وحضارة المغرب، وهران، 1983.

5- بلحميسي مولاي: موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني، م ت، العدد 05، الجزائر، 1988.

6- (_____): المؤرخون الفرنسيون في العهد العثماني، م أ، العدد 14و15، الجزائر، 1973.

7- (_____): سياسة الضرائب بالجزائر في العهد العثماني، مجلة أشغال المؤتمر الثالث للتاريخ وحضارة المغرب، وهران،1983.

8- سعيدوني ناصر الدين:ملكية الأراضي أواخر العهد العثماني وتأثيرها على البيئة الاجتماعية بالريف، مجلة أشغال المؤتمر الثالث للتاريخ وحضارة المغرب، وهران،1983.

9- (_____): ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، م أ، العدد 41، السنة السادسة، جانفي 1977.

*** باللغة الأجنبية:**

1- Bévia(J.),Notes pour servir l'histoire d'Ouargla, R .A, N°64, Opu, Alger,1923.

2- Féraud Charles (L.),Les Beni Djellab sultans de Touggourt, Notes historiques sur la province de Constantine, R .A, N°24 année 1880 & N°28 année 1884 & N° 29 année 1885 & N° 30 année, opu, Alger 1886.

3- Commandant Seroka : Le sud constantinois de 1830 à 1855, R .A, N°56, opu, Alger,1912.

4- Coyne(A.),Le Sahara de l'ouest, étude géographique sur l'Adrar et une partie du Sahara occidental, R.A, N°33& 34 année 1889.

5- Goichon(A.M), la vie féminin au M'zab, étude de sociologie musulmane, R.A N°69 préface de M.William Marçois, un volume XIX pl XN et 345p, in-4°Genthiner, opu, Alger,1928..

6- Laperrine , Fêtes principales des Sédentaire d'Ouargla(Rouagha), R .A, N°53, opu, Alger,1908.

7- Mangin(E.),Notes sur l'histoire de Laghouat, R .A, N°38, Opu, Alger,1894.

8- Maulia(Daniel.), chef de bureau des affaires indigènes :l'organisation hydraulique des oasis sahariennes, in 8°-305 pages,1carte,alger,jules carbanel R.A, N°68, Opu, Alger,1927.

9- Motylinski(A de C), Notes historiques sur le M'Zab-Guerre depuis sa fondation ,R A N°28,Opu, Alger,1884.

10- Mercier Marcel ,La vie féminine au M'Zab, R .A, N°69,Opu, Alger,1928.

11- Service des affaires arabes et communiquée par le gouvernement de l'Algérie, Notes pour servir à l'historique d'Ouargla 1885, R A N°64 , 3° et 4°trimestre, opu ,Alger, 1923.

د/ المعاجم والقواميس:

1- خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ثمانية أجزاء، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين بيروت،1980.

2- معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر، 1995.

2- Le Petit Larousse illustré, Paris, 1987.

هـ/ الأطالس:

1- شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي، الطبعة الثانية،دار الفكر، دمشق،2003.

2- شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، الطبعة الأولى،دار الفكر، دمشق،1984.

فهرس الأماكن والبلدان

أ

البرواقية 69.
البيض 18-51-77-87-89.
البندقية 17.
البرج 30-34.
الجزائر 5-8-9-11-13-18-22-23-24-25-26-32-33-34-35-36-39-43-
44-46-53-56-59-62-67-68-70-73-74-76-77-78-79-80-81-83-85-
89-94-95-107-708-109-110-111-112-113-114-115-118-119-
120-134.
الحويطة 15.
أدرار 92-94-113.
العسافية 15.
العطف 61.
القليعة 46-47-48-68-71-72-77-80-81-97-103.
الأغواط 15-23-36-63-64-66-68-69-70-77-78-79-80-81-87-89-94-
96.
الأصفهاني 124-125.
الأطلس(الصحراوي) 63-85.
الوطاية(بسكرة) 30.
الوطية(الأغواط) 13.

الأوراس 17-42-91.
العمري 30-34.
ألمانيا 121.
الهند7-26-116-124-125.
الأندلس 121-122-124-126-128.
أمريكا80-101-107.
أورلال 30-34
أوماش30-34
أوروبا 49-69-73-75-89-113.
أونوري 63.
أولاد جلال 13-34.

ب

بادس 30-34
باريس 71-72-73-107
بجاية 29
برانس 30
برج حمزة 89.
بريان 63-66.
بسكرة 13-14-19-25-59-61-62-71-86-89-93-111.
بوسعادة 36-68-86-89-99.
بنغازي 75.
بنورة 63.

بوغار79-80-86.
بوشقرون 28-31-34.
بني عباس 43-82-113.
بن تيوس 40.
بني ثور 20-98.
بني يزقن 63-66.
بيقو 30-34.

ت

التل14-15-19-26-27-34-73-85-86-88-98-102-103-104-120.
تاجرونة 97.
تاجموت 15.
تاغيت 43.
تافيلالت 53-69-73-77-85-89-102-129.
تاهودة 29-30-34.
ترامونتان 30
التركي27-35-36-42-62-70-83-102-111.
تشاد 36-75-89-96.
تقرت13-15-19-28-35-38-62-76-79-80-81-89-91-93-94-97-103-104.
تلمسان22-24-76-85-89-103.
تماسين18-37-95-97-103.

-103-94-90-89-81-80-79-77-76-73-69-68-60-59-42-41-33-18
.131-130-129-127-126-112
تمنراست 82.
تمنطيط 91-92.
توات 14-15-16-17-40-43-47-48-49-53-59-60-61-64-72-76-77-
.129-127-113-106-100-94-93-92-91-89
تونس13-15-19-23-29-51-76-81-85-89-98-100-103-129.
تيديكلت 46-49-64-69-72-106.
التيطري 84-98-102.
تيميمون 48-50-51-60-72-76-91-92.
تيهرت 67.

ج

جبل(عمور) 15-91-97.
الجريد (بلاد) 12-49-98.
الجلفة 15-68-79.

د

الدوسن 14-34.

ر

رحات 17.
الرويسات 97-98.

ز

الزاب(الزيبان) 19-25-28-29-30-31-32-33-35-36-38-63-103.
زعاطشة 30-34.
زريبة(الحامد) 30.
زريبة(الوادي) 30-34.
زاوية (العابد) 30.

س

سجلماسة 129.
سدراتة 25-37.
سرسو 97.
سطيف 89.
سكيكدة 89.
سريانة 30-34.
اسطنبول 127.
سهيرة 30-34.
السودان 20-22-28-33-38-39-40-57-60-73-76-77-78-79-81-86-87-89-90-91-93-95-96-102-103-104-108-109-127-128.
سيدي(خالد) 32-34.
سيدي (خليل) 30-34.
سيدي(عقبة) 30-34.

سيلان (جزيرة) 121.
السينيغال 35-80-89-101.

ش

شتمة (بسكرة) 30-34.
شرشال 74.

ص

الصحراء 4-5-6-7-8-10-11-14-18-20-23-24-26-28-32-35-36-39-40-41-42-43-44-46-47-51-53-59-62-64-69-70-71-73-75-77-78-79-81-86-87-88-89-90-93-94-95-97-98-99-100-101-102-103-104-105-106-107-109-111-113-120-127-129-130-132.
صنغاي 126-129.

ط

طبنة 27-28.
طرابلس 18-59-75-89-90-108-128-129.
طولقة 27-30-34.

ع

عين صالح 17-49-51-52-55-63-69-72-73-76-77-78-79-80-85-90-
91-92-113.
عين ماضي 17-80.
عين الناقة 26.

غ

غات 75-76-77-85-90-103-109.
غدامس 17-20-51-59-73-76-78-89-90-62-107-108.
غرداية 63-64-65-67-85-104.
اغادز 82.
اغرغار (وادي) 99.
غرناطة 119.

ف

افريقيا 6-9-10-11-18-30-36-37-38-39-76-77-79-80-81-83-84-93-
98-99-100-117-122-124-127.
فاس 27-70-105-107-115-117-124.
فرنسا 3-8-77-86-91-96-99-103-104-129.
فرفار 30-34.
فزان 20-74-84-99-102.
فقيق 94.
فلاوش 30.

فوغالة 27-30.
فيلياش 30.

ق

قاو 99-120.
قرارة 63-65-66-67-68-79-95-102-103-105.
قسنطينة 13-14-19-22-61-64-83-84-94-107-111-116.
قفصة 28-94.
قصير (الرومانة) 29
قير (وادي) 83.

ك

كانو 10-37-80.
الكاف 94.
كورة (بسكرة) 30.

ل

لمبرطخ 65
ليانة 27-30.
ليبيا 36-81-82.
ليشانة 27-30.
ليونة 30-34.

م

متليلي62-68-69-95-90-95-98-101-104-109-111-117.
مخادمة 19-30-67-68-108-110.
المغرب 10-14-16-20-22-23-35-36-60-69-79-86-91-93-98-102-104-116-117-121-123-124.
مراكش 3-24-82-94-108-115-117-124.
مصر 16-24-32-80-81-82-102-118 -120-121-124.
مكاريس 47.
ملغيغ 33-80.
مليكة (غرداية) 63-65-66.
مالي 36-83-94-121-122-126-128.
مليلي 30-34.
منغوغ (بحيرة) 99.
المنيعة 78-79-95
موريتانيا 81-82-122.
موقادور 82-98.

ن

الإنجليز 3-8- 33-75-79-80-90-110-123.
انقوسة 13-19-35-108-119.
نفطة 94.

نوميديا 28-29-82.
النيجر 9-10- 36-74-77-83-93-100-108-124.
نيجيريا 99.
النيل 3-9-10.

و

وادي(جدي) 30.
وادي مزي 76.
وادي(ميزاب) 8-13-21-22-35-36-37-62-63-64-66-67-68-69-77-83-
86-87-91- 94-95-97-104-11-107.
وادي (ريغ) 19-21.
واد سوف 33-38-41-69-83-90-94-95-96-104-1114.
ورقلة(وراجلان) 7-13-19-21-22-29-35-36-37-64-68-77-78-79-83-
84-90-94-95-96-97-98-99-100-101-104-108-110-111-112-114-
116-117-118-119
وهران 90-94-100-114.

فهرس الأعلام

أ
ابن بطوطة 115
ابن حمادوش 109.
ابن حوقل 24-34
ابن خلدون 2-17 -24 -50-108-117-127.
ابن الخطيب 116.
ابن جبير 115.
ابن الدين(الأغواطي) 75-127.
ابن رشد 117.
ابن زاكور (الفاسي) 113.
ابن مليح 117.
ابي دلف (الخزرجي) 117.
ابي راس (الناصري) 109.
ابن فاطمة 3.
ابن قنفذ 109.
ابن عمار 109.

ابن المفتي 109.
أبو دبوس بن أبي العلي 3.
ابو القاسم (سعد الله) 96.
البكاي (أحمد) 29-30
البكري (أبوعبيد) 96-108.
البيروني 114-115.
الحاج ناصر 71.
الحداد 109.
الحميري 34.
الحموي(ياقوت) 23-25-114.
الإدريسي 3-25-26-34- 108-124.
الفاسي(محمد بن الطيب) 115.
المجاجي (عبد الرحمان بن محمد الخروب) 22-127.
المغيلي (محمد بن عبد الكريم) 36-37
العياشي 15-24-26-34-71-76-97-99-113-114-117-127.
الورثلاني 109.
الوزان(الحسن بن محمد) 8 -24-25-26-34-38-115-126-127.
الهشتوكي (أحمد بن محمد) 117.
الهمذاني (أحمد) 117.

ب

بارث(هنري) 9-10- 30-55-92-106-135.
برنارد (دي باليسي) 59.

بلين 61-62.
بن سالم 58.
بن نصير(موسى) 25
بتولمي 29-62.
بوضربة (اسماعيل) 62- 114.
بوليب 61.
بوليمي 30-56.
بومبونيوس 61
بونشان 30-56.
بوتان 135

ت

التامراوي (محمد بن محمد) 116.
تيني (اليكساندرا) 29-79.

ث

الثميني (عبد العزيز) 45.
الثوري (سفيان) 36.

ج

جرانت 3.
جوبير 61

جوردن (لاين) 56-60.
جيمس بروس 8.
جيرهارد(روهلفس) 15-55-60-76-107.

ح

حمدان خوجة 35-109-127.

خ

خالد بن عيسى 116.

د

الدرعي (محمد بن عبد السلام) 116.
دوبونشال 80.
دورنو دوبيري 63.
دوفيريي(هنري) 29-34-79-90-92-93-94-95-106-108-134
دوفوكول(شارل) 28-40-90-91-92-112-113.
دوما (اوجان) 53-112.
دي غرامون 110-113.
دي سيلان 119.
ديبوا تانفيل 101.
ديبورتر 73.

ر

رفانال 9.
روشي دي هريكور 9.
رينيه كاييه 9-10-15- 55-106.

ز

زمباز وبرتون 9.

س

سانت لويس 67.
سان (مارتن) 3.
سبيك 3.
سترابون 62.
سيسيبيون 62.
سولييه 26-55-56-57-58-59-64-65-79-92-100-108-135.

ش

شارل (روكس) 123
شو(توماس) 13-18-28-29-30-31-32-34-105-107-127.
شورزي 77.
الشيرازي (قطب الدين) 123.
شيلر 127.

ص

صالح (باي) 27-41.

ط

اطفيش (محمد بن يوسف) 45.

ع

عبد الهادي العلوي (ادريس) 116.
عبد المجيد بن علي الحسني 114.
العبدري 113-114.
عربي (بن محي الدين) 119.
عمر تال الفوتي 109.
العنتري 108.

غ

غزال (ستيفان) 107.

ف

فريننـاد (دي ماجلان) 6.
فاسكو(دي غاما) 6.
فسبوتشي (أمريكو) 6.
فانتور (دي برادي) 100.
فلاترس 22- 29-79-80-135.
فوجيل 9.
فيليب (لويس) 63.
فيكتوريا(نيانزا) 3.

ق

قواشون 44.
قويون 54.

ك

كريستوف كولومب 6- 117.
كوبنيون 9.
كلابرتون 9.
كومب 9.

ل

لابيرين 91.

لافيجري(الكاردينال) 30-56-94-91.
لينفينغ ستون 9.
لانز (أوسكار) 107.
ليون(الإفريقي) 8-13-17-18-26-29-51-58-61-99-115.

م

محمد المكي (الدرعي) 113.
محمد (اسقيا) 37-122.
محمد بن عبد الله (اللواتي) 115.
محمد بن عثمان (باشا) 70.
المعز لدين الله (الفاطمي) 37.
موتلينسكي 46.
موفق الدين البغدادي 108.
مولا(أحمد) -41.
مولاي (علي بن الحاج عيسى) 59.
مولاي (اسماعيل بن علي) 61.
موليا دانيال 42.
مونقو(بارك) 9.
المهلبي(أبو جعفر بن حفص) 26
ميرشر 63-66.
مينوره 30

هـ

هانوتو 109.
هورنمان 119.
هايدو 127.
هيرودوت 17-37-51-60-62.

و

ويفان (الجنرال) 63.

فهرس القبائل

أ

الحرزالة 13.
الحاج (أولاد) 87.
الأرباع 13-26
العرام 46.
المور 43-62.

ب

بخة (أولاد) 45- 46
بلقاسم (أولاد) 87.
بني ميزاب 1-2-31-32-41-42-54-45-46-47-48-56-57-62-64-65-69-71-72-74-81-86-94-123.
بني عبد المؤمن 3.
بوحمو (أولاد) 87.
بولحوم (أولاد) 46

بلاط 46.

ج

جلهان (أولاد) 46.

ح

حمو بن براهيم (أولاد) 46.

خ

خليف (أولاد) 13

د

دريس (محمد بن الحاج) 59.
الدغامشة 87.

ر

رحمان 13-47.
الرواغة 59.

س

ساسي (أولاد) 47.
سائح (أولاد) 47.
سيدي أولاد عمور 47.
سعيد(عتبة) 14-47-89-90-91-98.
سيدي الشيخ (أولاد)16-49-62-80-83-87-90.
سيدي عطا الله (أولاد) 13
سيدي بن سيد مالك (أولاد) 50.
سيرين (أولاد) 13

ش

الشرفة 46-47-49-50.
الشعانبة 43-46-47-48-60-66-77-81-90-91.
شعيب (أولاد) 13.

ص

صلاح (أولاد) 31-47.

ط

الطوارق 8-16-30-33-39-49-50-51-52-54-55-75-77-79-80-81-86-87-91-94-95-101-102-105-106-108-119-132-135-136.

ع

عطاطشة 46.
عيسى (أولاد) 47.

ق

قاسي بن ناصر (أولاد) 46.

ل

لحية (أولاد) 46.

م

مرزوق(أولاد) 46.
المخاليف 13-47.
مختار(أولاد) 13- 87.
المرازي 47.
مليانة (أهل) 87.
مولات (أولاد) 47.
منجور (أولاد) 86.

ن

نائل (أولاد) 14-33-47-90-91-96.
نوح (أولاد) 57.
ي
ايفوغاس 49-50-65-79-102-124.

فهرس المصطلحات المختلفة

حصن فرنسا 128.
الجيتول 18-32-33.
الحرطاني (الحرثاني) 14-77.
بربر 14-17-23-33-43-44-59-60-61-78-81-82-88-92-106.
البحر المتوسط 7- 10- 55-61-67-79-93-100-101-134.
البريطانية (الممثلية) 121.
البرابيش 123.

البقاع (المقدسة) 15-22-35-36-71-87-114-127-132.
التجارة (الصامتة) 37
التيفيناغ 93.
جزر الانتيل 118.
الخلافة (الإسلامية) 30
الدولة (العثمانية) 32-68-69-70-103-104-110-112-113-117.
الروماني(الاحتلال) 12-60-61-111.
الزواية 13-29-120.
زناتة 36-83.
زنوج 14-32-92.
العبيد 7-13-15-31-38-43-51-52-54-64-71-75-76-78-84-87-88-91-97-98.
المحيط الآطلسي 100.
الموحدين 03
الاغريق 61.
الاسبان 53.
اليهود 43-56-57-77.
فارسية 13.
القرآن الكريم 36-48.
القرطاجنيون 13.
الفنيقيين 111.
السلطة (العثمانية) 30.
أميرال باشا 14
كوكو (إمارة) 32.

الكنتية (الزاوية) 120.
المرابطين 13-37-48-50-51-57-83-85-87-88.
المذهب المالكي 23-44.
الهنود الحمر30.
عرب 14-43-45-47-48-49-51-55-56-57-59-68-69-75-82-83-87-
92-96-97-102-103-105-106-107-108-109-110-112-113-114-
115-116-117-118-119-120-121-122-123-127-136-137.
العزابة 33
الأتراك 28-29-48-54-55-56-69-70-96.
الاحتلال (الفرنسي) 30-56-57-58-63-64-73-94-101—103—107-
108—114-117-118-119.
الحكم العثماني 26-29-31- 32-34.
الحكم (الأوروبي) 38
الأسرة العلوية 13
الإسلام 37-38
الأوروبيين 14-16-25-29
التيجانية 16-29-91-108.
الرحمانية 25.
الصوفية 16-29-30-36-100.
الصين 113.
الفاطمية 36.
القادرية 16-29-36-108.
السنوسية 16-29-91.
المسيحية 16- 29-30-38-55-56-95-116.

وهبية 26.

نكار 26.

أباضية 26-45-47.

خوارج 26.

الفهرس **الصفحة**

مقدمة:

مدخل:نظرة عامة عن الرحلات بين القرنين السادس عشر والسابع عشر.

نبذة تاريخية عن الرحلات ودور العرب فيها.....01

دوافع الرحلة.....04

الكتابات العربية.....04

الرحلات أثناء القرن السادس عشر.....05

الرحلات أثناء القرن السابع عشر 07

الفصل الأول: البيئة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن الثامن عشر.....12

المبحث الأول: تقارير الأجانب عن الصحراء.....13

المبحث الثاني: مقارنة الرحلات من وجهة نظر المغاربة والجزائريين.....22

المبحث الثالث: تحليل الجانب الاجتماعي.....32

المبحث الرابع: تحليل الجانب الاقتصادي.....38

الفصل الثاني: البيئة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن التاسع عشر.....44

المبحث الأول: تقارير الأجانب عن الصحراء.....45

المبحث الثاني: مقارنة الرحلات من وجهة نظر المغاربة والجزائريين.....79

المبحث الثالث: تحليل الجانب الاجتماعي.....92

المبحث الرابع: تحليل الجانب الاقتصادي.....100

الفصل الثالث: مقارنة نتائج الدراسة التقييمية للتقارير بين القرنين.....108

المبحث الأول: دراسة تقييمية للمصادر الأجنبية.....109

المبحث الثاني: دراسة تقييمية للمصادر المحلية.....116

المبحث الثالث: النتائج الاجتماعية والاقتصادية من خلال التقارير.....124

المبحث الرابع: أوجه الشبه والاختلاف بين التقارير.....132

خاتمة.....134

الملاحق.....141

قائمة المصادر والمراجع.....163

الفهارس.....176